دراسات باحث

فصلية تُعنى بالقضية الفلسطينية والصراع العربي . الإسرائيلي

تصدر عن مركز «باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية» ش . م . م

ربيع
2021م-1442هـ

70

دراسات وبحوث

- تطوّر العلاقات التاريخية بين طهران وبكين: اتفاقية الشراكة» تُنهي عصر عزلة إيران — د. علي دربج
- نيوم: أول مستعمرة إسرائيلية في العالم العربي — د. ع د
- الجنائية الدولية بعد إعلان اختصاصها الإقليمي في أراضي الـ67: بين مواقف الأطراف وتداعيات القرار — براءة درزي
- إنفاق 740 مليار دولار على الدفاع لم يجعل أميركا أكثر أماناً — بقلم ماندي سميثبرغر وويليام هارتونغ
- استراتيجية القوة الناعمة على صفحات الفيسبوك الرسمية التابعة لإسرائيل — زهرا باديانـي - د. جواد ركابي شعرباف

ندوات المركز الدورية

- حلقة نقاش خاصة: قراءة في اتفاق التعاون الاستراتيجي الشامل بين الصين وإيران
- حلقة نقاش خاصة: القدس - غزة: معادلات القوة والنصر

قراءة في كتاب

- قاسم سليماني: الشخصية، والدور، والاستراتيجية — مراجعة: حسن صعب

ملحق خاص بالشهيد قاسم سليماني

- إضاءة على ما تضمنه إعلان يوم القدس العالمي
- يوم القدس والحراك الشبابي — رامز مصطفى
- القدس تدق على الأبواب — حمزة البشتاوي
- يوم القدس العالمي في ظل الصمود والمقاومة — مروان عبد العال
- في يومها العالمي - القدس حامية القضية الفلسطينية وعنصرها الموحّد — هيثم أبو الغزلان
- يوم القدس العالمي يتحدى يومَ القدس اليهودي — سمير أحمد
- يوم القدس العالمي - يوم قيامة المستضعفين وهزيمة المستكبرين — د. مصطفى اللدّاوي
- «يوم القدس» رمز البعد الكوني لتحرير كامل أرض فلسطين — تيسير الخطيب

السنة الثامنة عشرة . ربيع 2021م / 1442هـ

70

السنة الثامنة عشرة / ربيع 2021م / 1442هـ

باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

لبنان/ بيروت/ بئر حسن/ قرب السفارة المغربية
بناية يونس- ط 1
Lebanon/Beirut/Beer Hassan
near Morocco Embassy
Younis bldg. 1st floor
Tel: 9611 842882 - mobile: 9613 507800
FaX: 9611 843882 - P.O.Box: 25/ 408
e-mail: baheth@bahethcenter.net
www.bahethcenter.net

الاشتراك السنوي

بما فيها رسوم البريد

لبنان: أفراد 25$ مؤسّسات 40$
الدول العربية: أفراد 30$ مؤسّسات 50$
دول أخرى: أفراد 50$ مؤسّسات 75$

سعر العدد

- لبنان: 5000ل.ل • سوريا 100ل.س
- الأردن: 2دينار • مصر 15جنيه
- العراق: 75دينار • الكويت: 2دينار
- الإمارات العربية المتحدة: 20درهم
- البحرين: 2دينار • إيران: 50000ريال
- قطر 20ريال • السعودية: 15ريال
- عُمان: 3ريال • السودان: 75دينار
- اليمن: 150ريال • الصومال: 150شلن
- ليبيا: 5دينار • الجزائر: 25دينار
- تونس: 2دينار • المغرب: 25درهم
- الدول الأوروبية: 7يورو
- أمريكا وسائر الدول الأخرى: 10دولار

70

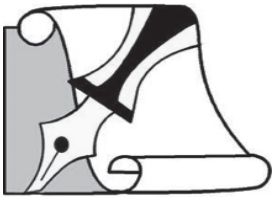

فصليّة تُعنى بالقضية الفلسطينية والصراع العربي.الإسرائيلي.

تصدر عن مركز «باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية» ش .م .م

السنة الثامنة عشرة/ ربيع 2021 م – 1442 هـ

الهيئة الاستشارية:

د. عصام نعمان: نائب ووزير سابق/ مفكّر عربي من لبنان.

د. باسم سرحان: أستاذ العلوم الاجتماعية في الجامعة الأميركية في بيروت سابقاً.

د. طلال عتريسي: باحث وأستاذ جامعي.

د. علي عقلة عرسان: الأمين العام السابق لاتحاد الكتّاب والأدباء العرب في سوريا.

د. غسان العزّي: أستاذ العلاقات الدولية في كلّية الحقوق والعلوم السياسية-بيروت.

د. مجدي حمّاد: رئيس الجامعة اللبنانية - الدولية/مفكّر وباحث.

هيئة التحرير :

الرئيس: الأستاذ الدكتور يوسف نصرالله

مدير التحرير: حسن صعب

المدير المسؤول : فاطمة قبيسي

الإشراف الفنّي: أحمد المقداد

حقول الدراسات والأبحاث والمقالات

- القضية الفلسطينية كقضيّةٍ مركزيةٍ للأمّة.
- العلاقات الداخلية في الساحة الفلسطينية: واقعها، ومستقبلها المرتجى.
- دراسة الاتفاقات السياسية والأمنية والاقتصادية الموقّعة مع الكيان الصهيوني.
- روح المقاومة والاستشهاد: دوافعها الوطنية والقومية والدينية والإنسانية.
- تحرير فلسطين كواجب وطني وقومي وديني وإنساني.
- موقع الجهاد في الإسلام وفي مسيرة الكفاح الوطني الفلسطيني.
- تعرية «السلام» الزائف مع العدوّ الصهيوني، وكشف وهم التسوية والتعايش معه.
- موقع الإنسان في المشروع الحضاري الإسلامي، كنقطة ارتكاز في الصراع مع الهمجية الدونية الصهيونية.
- دراسة المشاريع الصهيونية: الجغرافية، الأمنية، الاستيطانية، السياسية والاقتصادية... إلخ.
- التطبيع والغزو الثقافي الصهيوني-آليات وسبل المواجهة.
- أخطار المشروع الصهيوني على العالمين العربي والإسلامي.
- طبيعة وأهداف المشروع الأمريكي في العالمين العربي والإسلامي.
- العلاقة بين الولايات المتحدة الأميركية والحركة الصهيونية والكيان الصهيوني.

قواعد النشر

«دراسات باحث» ترحّب بمشاركة المفكّرين والباحثين والكتّاب فيها، مع التأكيد على مراعاة الأمور التالية:

1 - معالجة القضايا بموضوعية وعلمية ودقّة في التوثيق (في الدراسات والبحوث) التي تخضع – كما المقالات الواردة- للتحكيم بواسطة هيئة التحرير.

2 ـ حجم المقال ما بين 3000 و 4000 كلمة.

3 - حجم الدراسة ما بين 6000 و8000 كلمة، ويشترط فيها أن تكون موثّقة علمياً، وأن تراعي منهجية البحث العلمي. (إسم المؤلّف، عنوان الكتاب، أو المجلّة أو الصحيفة، دار النشر، مكان النشر، سنة النشر، رقم الصفحة)، مع إثبات المراجع نهاية الدراسة، وأن تكون المقالات والدراسات والبحوث مرفقة بخلاصةٍ لا تتجاوز 50 كلمة.

4 - ترحّب المجلّة بالمشاركة في أبوابها (تلخيص كتب ونقدها- تقارير عن الندوات والمؤتمرات حول فلسطين والصراع مع الصهيونية)، بما لا يزيد عن 7000 كلمة لتلخيص الكتاب ونقده، و2500 إلى 4000 كلمة عن الندوة أو المؤتمر، على أن لا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين، أو باتفاقٍ خاصٍ مع هيئة التحرير، مع إرسال صورة غلاف الكتاب.

5 - أن لا تكون المادّة المرسلة منشورة سابقاً.

6 - أن تكون المادّة المرسلة مطبوعة على الحاسوب الآلي، ومرفقة بالقرص، تجنّباً للأخطاء المحتملة، أو إرسالها مكتوبة بخطٍ واضح.

7 - يُرفق مع كلّ دراسةٍ أو بحث تقرير أو نبذة تعرّف بالكاتب.

8 - يجري إعلام الكاتب بقرار هيئة التحرير خلال شهرين من تاريخ إرسال الدراسة.

9 - تحتفظ المجلّة بحقّها في نشر المواد المجازة وفق خطّة التحرير.

10 - المواد التي لا تُنشر لا تُعاد إلى أصحابها.

11 - للمادّة المنشورة مكافأة ماليّة تحدّدها اللائحة المقرّرة.

12 - الآراء الواردة في المجلّة تعكس وجهة نظر كتّابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المركز.

دراسات باحث

محتويات العدد (70)

- الافتتاحية 5

دراسات وبحوث

- تطوّر العلاقات التاريخية بين طهران وبكين «اتفاقية الشراكة» تنهي عصر عزلة إيران (د. علي دربج)... 9
- نيوم: أول مستعمرة إسرائيلية في العالم العربي (د. علي دربج) 37
- الجنائية الدولية بعد إعلان اختصاصها الإقليمي في أراضي الـ67:
- بين مواقف الأطراف وتداعيات القرار (براءة درزي)..... 49
- إنفاق 740 مليار دولار على الدفاع لم يجعل أميركا أكثر أماناً
- (بقلم ماندي سميثبرغر ووليام هارتونغ). ترجمة وإعداد: (سارة جبارة) 67
- استراتيجية القوة الناعمة على صفحات الفيسبوك الرسمية التابعة لإسرائيل
- (زهرا باديانى – د. جواد ركابي شعرباف) 77

ندوات المركز الدورية

- حلقة نقاش خاصة: قراءة في اتفاق التعاون الاستراتيجي الشامل بين الصين وإيران..... 111
- حلقة نقاش خاصة: القدس – غزة: معادلات القوة والنصر 129

قراءة في كتاب

- قاسم سليماني: الشخصية، والدور، والاستراتيجية (مراجعة: حسن صعب).....155

ملحق خاص بيوم القدس العالمي

- إضاءة على ما تضمنه إعلان يوم القدس العالمي (رامز مصطفى)..... 163
- يوم القدس والحراك الشبابي (حمزة البشتاوي) 165
- القدس تدق على الأبواب (مروان عبد العال) 169
- يوم القدس العالمي في ظل الصمود والمقاومة (هيثم أبو الغزلان) 173
- في يومها العالمي – القدس حامية القضية الفلسطينية وعنصرها الموحّد(سمير أحمد) 177
- يوم القدس العالمي يتحدى يومَ القدسِ اليهودي (د. مصطفى يوسف اللدّاوي) 185
- يوم القدس العالمي – يوم قيامة المستضعفين وهزيمة المستكبرين (تيسير الخطيب) 189
- «يوم القدس» رمز البعد الكوني لتحرير كامل أرض فلسطين (نديم عبده) 193

Baheth for studies
باحث للدراسات

بيروت - لبنان - تلفاكس 01/843882
البريد الإلكتروني للمجلة: majalla@bahethcenter.net
الموقع: www.bahethcenter.net
البريد الإلكتروني للمركز: bahethcenter@hotmail.com

الافتتاحية

حفلت الأشهر الأخيرة بتطورات ومتغيرات سياسية وأمنية مهمة، ربما تشكّل مفصلاً حاسماً في تاريخ المنطقة، لما لها من انعكاسات على واقع ومستقبل العديد من دول المنطقة، وتحديداً منها إيران والسعودية وفلسطين، وصولاً إلى تركيا ومصر وسوريا واليمن والعراق، والدول العربية الأخرى.

وقد يمثّل الاتفاق القريب (المفترض) بين إيران وإدارة جو بايدن الأميركية نقطة انطلاق لتلك المحطة الفاصلة، لما يمتلكه الطرفان المعنيان من نفوذ هائل في المنطقة عموماً، مع اختلاف في طبيعة أو امتداد هذا النفوذ في هذا البلد العربي أو ذاك.

وما يستشفّه المراقب أو المحلّل من مآلات ما يجري على ساحة التفاوض بين إيران والدول الغربية في فيينّا، ومن بدايات التراجع السعودي عن المسار العدواني ضد اليمن وسوريا ولبنان بشكل مخصوص، أن الأمور تسير في الاتجاه التاريخي الصحيح، وهو اتجاه انتصار شعوب المنطقة وطرد القوى الأجنبية الطامعة في ثرواتها بشكل نهائي، ولو بعد حين.

في هذا العدد الجديد من فصلية (دراسات باحث) عدة أبحاث ودراسات، حول الاتفاقية الإيرانية – الصينية الشاملة، والتي أثارت قلق الأميركيين وحلفائهم الصهاينة، ومشروع «نيوم» السعودي لمدينة مخطّط لبنائها عابرة للحدود، أطلقها محمد بن سلمان في العام 2017؛ إلى

بحث حول قرار المحكمة الجنائية الدولية إعلان اختصاصها الإقليمي في أراضي 1967، وانعكاساته الإيجابية على القضية الفلسطينية عموماً، ونص مترجم حول(إنفاق الولايات المتحدة 740 مليار دولار على الدفاع، والذي لم يجعلها أكثر أماناً، فدراسة حول استراتيجية القوة الناعمة على صفحات الفيسبوك الرسمية التابعة للكيان الإسرائيلي؛ وعرض مفصّل لوقائع ندوتين عُقدتا في مركز باحث، حول أبعاد الاتفاق الشامل بين إيران والصين، وعن واقع فلسطين والمقاومة حالياً في ذكرى إعلان يوم القدس العالمي. وأخيراً، في العدد مراجعة لكتاب صدر عن مركز باحث للدراسات في الذكرى السنوية الأولى لاستشهاد قائد فيلق القدس، الحاج قاسم سليماني.

وفي العدد أيضاً ملحق خاص حول (يوم القدس العالمي)، شارك فيه عدد من الكتّاب ومسؤولي الفصائل الفلسطينية، لتبيين أبعاد وتأثيرات هذا اليوم التاريخي الذي أعلنه الإمام الخميني (قدّه) في آخر يوم جمعة من شهر رمضان المبارك.

دراسات وبحوث

تطوّر العلاقات التاريخية بين طهران وبكين
«اتفاقية الشراكة» تنهي عصر عزلة إيران

د. علي دربج*

المقدّمة:

تعكس اتفاقية التعاون الاستراتيجي التي وقّعتها كلٌ من إيران والصين في 27 آذار 2021، تنامياً مطرداً للعلاقات بين البلدين على الصعد الاقتصادية والتجارية، عبر استثمارات صينية ضخمة في البنية التحتية للطاقة والصناعات البتروكيماوية؛ فضلاً عن تعزيز الدور الإيراني بشكل أوسع في «مبادرة الحزام والطريق الصينية»، التي تشكّل مصدر قلق للولايات المتحدة ودول «حلف الناتو».

فالاتفاقية أُعدّت في إطار خارطة طريق تمتد لمدّة 25 عاماً، وهي خطوة مهمة لتحقيق شراكة استراتيجية شاملة بين قوّتين آسيويتين تجمعهما عديد من المصالح المشتركة، حيث من المتوقع أن تغيّر، بشكل أساسي، الحسابات الجيوستراتيجية في الشرق الأوسط؛ وهو ما أشارت إليه صحيفة «وول ستريت جورنال» الأميركية في افتتاحيتها، حيث أسمت ما حصل بـ«المحور الصيني ـ الإيراني»، وقالت إن «كلّ من اعتقد بأن العالم سيتأقلم مع المصالح الأميركية بمجرد مغادرة دونالد ترامب البيت الأبيض، أصيب بخيبة أمل في الشهرين الماضيين».

وأكثر من ذلك، تشكّل الاتفاقية تحدياً للولايات المتحدة، لما سيكون لها من تداعيات وتأثيرات جيوستراتيجية على منطقة الشرق الأوسط؛ وهو ما قرأته أميركا، التي عبّرت عن قلقها من هذه الشراكة، بلسان الرئيس جو بايدن، الذي قال لأحد المراسلين، إنه

* باحث في القضايا الإقليمية وأستاذ جامعي.

«قلق منذ أكثر من عام بشأن هذه الشراكة».

عملياً، تعمّقت العلاقات الطويلة الأمد بين إيران والصين بشكل لافت، منذ انتهاج أميركا والغرب سياسة العقوبات ضد إيران، في أعقاب انتصار الثورة الإسلامية، ثم بعد انسحاب أميركا من الاتفاق النووي في العام 2018، خلال إدارة الرئيس دونالد ترامب، التي صعّدت عقوباتها على إيران إلى حدودها القصوى. وفي هذا الإطار، وصف عضو مجلس الدولة الصيني وانغ يي، خلال زيارة وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف لبكين، في آب 2019، البلدين بـ«الشركاء الاستراتيجيين الشاملين». وبعد مباحثات أجراها ظريف مع المسؤولين الصينيين، أوردت مجلة «بتروليم إيكونومست» معلومات عن اعتزام الصين استثمار 280 مليار دولار في قطاعات النفط والغاز والبتروكيماويات الإيرانية. ونقلت المجلة، المتخصصة في شؤون الطاقة، عن مصدر رفيع على صلة بوزارة النفط الإيرانية قوله إن «هذا الاتفاق تم تأكيده خلال الزيارة المذكورة لظريف». كما أفادت المجلة بأن «الصين تعهّدت باستثمار آخر قوامه 120 مليار دولار في قطاع النفط والبنى التحتية الصناعية في إيران.

والأمر اللافت هذه الشراكة، هو الاتفاق على أن يُنشئ البلدان مصرفاً صينياً ـ إيرانياً بهدف تجنّب هيمنة الدولار الأميركي في عالم التجارة؛ وإضافة إلى أن الاتفاق يجعل من العقوبات الأميركية غير فعالة، لكن الأهم أنه يكسر هيمنة الدولار على التجارة والتمويل العالميين؛ وهو هدف رئيسي تعمل كلٌ من روسيا والصين وإيران عليه، حيث تريد بكين أن يحلّ اليوان الصيني محل الدولار الأميركي.

أولاً : العلاقات التجارية التاريخية بين الصين وإيران

يعود تاريخ التجارة بين البلدين إلى 200 قبل الميلاد على الأقل. تمّت تنمية الروابط الثقافية والاقتصادية في إطار طريق الحرير القديم في آسيا. ففي القرن الثالث عشر اتحدت الحضارتان الفارسية والصينية لفترة وجيزة تحت حكم إمبراطورية المغول، حيث شهد كلا البلدين، اللذان حكمتهما سلالات متعاقبة لأكثر من ألفي عام، ثورات في القرن العشرين – الصين عام 1949، وإيران عام 1979 – غيّرت آسيا،وتحدّت النظام الدولي الذي يهيمن عليه الغرب.

أدّى قطع العلاقات الدبلوماسية بين إيران والولايات المتحدة في عام 1980، في أعقاب الثورة الإيرانية، إلى خلق فرص جديدة لبكين وطهران، لتعميق العلاقات مرّةً أخرى، اقتصاديًا واستراتيجيًا.

فقبل الثورة، كانت صادرات النفط الإيرانية تتجه بشكل أساسي إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة. وفي السبعينيات من القرن الماضي، وصل إنتاج إيران النفطي إلى ذروته، محققاً مستوىً قياسياً، بلغ 6 ملايين برميل يوميًا، في العام 1974 [1]، لا سيما عندما تضاعفت أسعار النفط أربع مرات، بعد حرب تشرين العام 1973. لكن كل شيء تغير بعد الإطاحة بالشاه.

ثانياً: المراحل التاريخية للعلاقات الصينية ـ الإيرانية

على مدى أربعة عقود، تطورت علاقات البلدين، من خلال ثلاث مراحل: التعاون العسكري خلال الحرب الإيرانية ـ العراقية في ثمانينيات القرن العشرين، والتعاون في مجال الطاقة في التسعينيات، مع تحوّل الصين إلى التصنيع السريع، وتجارة النفط التي خرقت العقوبات على إيران[2].

أ ـ المرحلة الأولى: الحرب العراقية ـ الإيرانية

شكّلت الحرب العراقية الإيرانية، بين عامي 1980 و1988، دافعًا رئيسيًا لتعميق العلاقات بين الصين وإيران، خصوصاً حينما فرضت الدول الغربية حظر أسلحة على طهران (كان معظم العتاد العسكري الإيراني أميركي وغربي الصنع)؛ فلجأت إيران إلى الدول غير الغربية – مثل الصين وكوريا الشمالية وروسيا – لإعادة تزويد جيشها بالعتاد الحربي.

وقد تزامنت الحرب مع الإصلاحات الاقتصادية التي أطلقها الزعيم الصيني دنغ شياو بينغ، والتي بدأت في كانون الأول 1978؛ إذ دعا بينغ إلى «زيادة مبيعات الأسلحة إلى

1- Tryckindustri AB, Solna Oil and Security, S tockholm International Peace Research Institute, Sweden, 1974. www.sipri.org.
2- Amanda Cooper, Iranian oil: 40 years of revolution, war, sanctions and bans, Reutres Agency Website, NOVEMBER 5, 2018. www.reuters.com.

دول العالم الثالث للحصول على العملات الأجنبية».

بين عامي 1979 و 1985، باعت بكين ما قيمته 6.3 مليار دولار[3]، من الأسلحة في جميع أنحاء العالم.و 95 في المائة من مبيعاتها كانت موجّهة إلى الشرق الأوسط وجنوب آسيا. وخلال الحرب الإيرانية ــ العراقية، أصبحت الصين أكبر مصدّر للأسلحة للجمهورية الإسلامية التي استوردت من بكين معدات عسكرية بقيمة 444 مليون دولار، في العام 1983 [4].

زوّدت الصين إيران بـ 22 في المائة من عتادها العسكري، بما في ذلك الصواريخ المضادة للسفن، وصواريخ أرض جو، وقطع المدفعية، والدبابات، والرادارات، وكذلك الأسلحة الصغيرة والذخيرة. وقد سمحت المعدات الصينية لإيران بتعويض خسائرها بسرعة ومواصلة الحرب إلى أجلٍ غير مسمّى. ومع نهاية الحرب التي استمرت ثماني سنوات، كانت الصين قد باعت لإيران أسلحة تصل قيمتها إلى حوالي 3.3 مليار دولار.

ب. المرحلة الثانية: التصنيع الصيني

بعد انتهاء الحرب في العام 1988، تحوّلت العلاقات التجارية بين الصين وإيران من مبيعات الأسلحة إلى النفط والطاقة. ففي العام 1989، بلغت قيمة مبيعات الأسلحة الصينية لإيران حوالي 68 مليون دولار، أي بانخفاض 89 بالمائة، بعدما بلغت في العام 1987، حوالي 612 مليون دولار. بينما باعت إيران للصين بشكل أساسي المنتجات البترولية، لكنها اشترت في المقابل من الصين، السلع الاستهلاكية الرئيسية، مثل الملابس والمركبات والإلكترونيات والمواد الكيميائية والأجهزة المنزلية ومعدات الاتصالات السلكية واللاسلكية[5].

وفي أوائل التسعينيات، مرّت الصين بفترة من التصنيع والنمو الاقتصادي السريع.

3- Central Intelligence Bulletin, Freedom of Information Act (FOIA), Without History, www.cia.gov.

4- Marybeth Davis, James Lecky, Torrey Froscher, David Chen, Abel Kerevel, Stephen Schlaikjer, China-Iran: A limited Partnership, US-China Economic and Security Review Commission Website,April 2103. www.uscc.gov.

5- Ibid

فانتقلت في العام 1993، من دولة مصدّرة للنفط إلى مستورد صاف، لتلبية احتياجات الطاقة المتزايدة لديها. كانت الصين قد استهلكت في عام 1990، حوالي 2.3 مليون برميل يومياً. ومع بداية العام 2000، كانت بحاجة إلى 4.7 مليون برميل في اليوم[6].

ولتلبية احتياجاتها من الوقود، تحوّلت بكين بشكل متزايد إلى الأسواق في الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا، خصوصاً الأسواق غير المستغلة التي لم تشهد تنافساً على العقود مع الدول الغربية. كان لدى إيران موارد طبيعية وفيرة وسوقاً مغرية، لاسيما بعد انسحاب الغرب منه إلى حد كبير بعد العام 1979، حيث استغلت بكين الأمر، فزادت التجارة الثنائية بين البلدين بشكل ملحوظ، من 400 مليون دولار في عام 1990، إلى مليار دولار في عام 1997؛ ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى ارتفاع عائدات تجارة الطاقة. وبين عامي 2000 و 2012، كانت واردات الصين النفطية من إيران تتأرجح بين 9 في المائة و 14 في المائة[7].

أدّت العقوبات التي فُرضت على إيران، من قبل الولايات المتحدة والأمم المتحدة في العام 2010، إلى اعتماد قطاع النفط الإيراني على الصين كشريك تجاري. ففي العام 2000، ذهبت فقط 5 المائة فقط من إجمالي صادرات النفط الإيرانية إلى الصين. ومع حلول عام 2011، بلغت الصادرات النفطية الإيرانية للصين ما نسبته 25 بالمائة؛ وبذلك أصبحت الصين أيضًا مستثمرًا مهمًا في صناعة النفط والغاز الإيرانية، بفضل العقوبات الأمريكية والدولية التي حدّت من وصول إيران إلى رأس المال الأجنبي والتكنولوجيا اللازمة لتطوير قطاع الطاقة المتدهور. وفي بداية عام 2019، كانت الصين استهلكت حوالي 12.8 مليون برميل يومياً، أو 13 في المائة من إجمالي الاستهلاك العالمي.

ج. المرحلة الثالثة: عصر العقوبات

في عام 2010، فرضت الولايات المتحدة والأمم المتحدة عقوبات كبيرة على قطاعي الطاقة النووية، والطاقة العادية في إيران، بسبب مخاوف من قدرتها على صنع قنبلة نووية. حاولت الصين التوفيق بين الحفاظ على التجارة مع إيران، والامتثال للعقوبات، في الوقت

6- Ibid
7- Ibid

الذي احتاجت فيه إيران، بدورها، إلى استثمارات الصين لمساعدة اقتصادها المعزول، خصوصاً أن نسبة البطالة وصلت رسميًا في إيران، في العام 2010، إلى حوالي 15 في المائة – مع تقديرات غير رسمية بأن الرقم أعلى – حيث كان عدد السكان ينمو بنحو مليون نسمة سنويًا.

في تشرين الأول من العام 2010، قلّصت الصين بشكل غير رسمي عدد الشركات التي تعمل في مشاريع التنمية في إيران، لتجنب العقوبات المفروضة على شركات الطاقة الكبرى. وفي هذا الإطار، أرجأت مؤسسة البترول الوطنية الصينية (CNPC)[8] مشروع التنقيب عن التنقيب في حقل بارس الجنوبي النفطي، في حين ردّت إيران بمطالبة الصين بتسريع التنمية، أو خسارة العقد. وفي نهاية المطاف، علّقت طهران العقد في تشرين الأول 2011؛ بينما أوقفت «شركة سينوبك الصينية» المرحلة الثانية من عقد عام 2007، لتطوير حقل يادافاران النفطي.

ومع ذلك، استمرت بكين في استيراد كميات كبيرة من النفط الإيراني على الرغم من العقوبات. ففي عام 2011، أكملت شركة سينوبك الصينية، صفقة لاستيراد 90 ألف برميل إضافية من المكثفات الإيرانية، وهو زيت خام خفيف للغاية. وقامت إيران بنقل الشحنات بسريّة إلى الصين ودول آسيوية أخرى، عن طريق إعادة تسمية سفنها وإعادة وضع العلم عليها. وفي تموز العام 2012، كانت إيران تستخدم أكثر من 60 ناقلة – ما يقرب من ثلثي أسطول ناقلاتها – لتخزين ما يصل إلى 40 مليون برميل من النفط الخام في البحر، أثناء تحديد مكان المشترين[9].

أدّت خطة العمل الشاملة المشتركة لعام 2015، إلى رفع العقوبات الأمريكية والأوروبية والأمم المتحدة في كانون الثاني 2016. وبحلول كانون الأول 2016، صدّرت إيران حوالي 1.7 مليون برميل في اليوم، ذهب منها حوالي 41 في المائة – حوالي 700 ألف برميل في اليوم – إلى الصين.

8- Chen Aizhu, Chris Buckley,Exclusive: China curbs Iran energy work, Reuters Website, 2 September 2011. www.reuters.com.
9- Marybeth Davis, James Lecky, Torrey Froscher, David Chen, Abel Kerevel, Stephen Schlaikjer, China-Iran: A limited Partnership, Op.Cit.

غداة انسحاب إدارة دونالد ترامب في العام 2018، من الاتفاق النووي، كانت إيران تصدّر وقتها، حوالي 2.7 مليون برميل يوميًا – 775 ألف برميل يوميًا إلى الصين ـ أو 29 في المائة من إجمالي المبيعات. وكان لخطوة الولايات المتحدة والتهديد بفرض عقوبات جديدة – تأثير فوري، إذ انخفض إجمالي صادرات النفط الإيرانية إلى النصف خلال أربعة أشهر؛ وقد دفع ذلك إيران إلى المكافحة للعثور على مشترين.

بحلول كانون الأول 2018، انخفض إجمالي صادرات الجمهورية الإسلامية إلى 1.3 مليون برميل يوميًا. واستوردت الصين 333300 برميل يومياً من إيران، بتراجع مقداره أقل من نصف مما اشترته في العام ذاته، من إيران . ومع ذلك، كانت لا تزال تمثّل ما يقرب من ربع مبيعات إيران – 26 في المائة – مع قيام مشترين آخرين بتخفيض مشترياتهم النفطية من إيران[10].

في تشرين الثاني2018، أعادت الولايات المتحدة رسمياً فرض العقوبات، وسعت إلى خفض صادرات إيران إلى الصفر. كما هدّدت بفرض عقوبات على أي دولة أو شركة أجنبية تواصل التجارة مع إيران. وفي هذا السياق، قال الإمام السيد علي خامنئي، في تشرين الأول 2018، «يجب أن ننظر إلى الشرق، وليس الغرب .. إن تعليق أملنا على الغرب أو أوروبا، من شأنه أن يقلّل من شأننا لأننا نطلب منهم الدعم، ولن يفعلوا شيئًا».

في آذار 2019، ذهب 76 بالمائة من إجمالي صادرات النفط الإيرانية إلى آسيا. كانت الغالبية منها إلى الصين وكوريا الجنوبية والهند وتركيا واليابان. كما مُنحت الصين إعفاءً مؤقتًا لمدة ستة أشهر؛ وسُمح لها بشراء 360 ألف برميل يومياً من النفط الإيراني دون غرامة.

في أيار 2019، انتهت صلاحية الإعفاءات الأمريكية. ومع ذلك، واصلت الصين بتحد استيراد النفط الخام الإيراني، على الرغم من تأثير العقوبات على التجارة الثنائية. لكن على المقلب الآخر، بدت الشركات الصينية أكثر ترددًا في التعامل مع إيران خوفًا من العقوبات المالية. ففي حزيران 2019، استوردت الصين 210 آلاف برميل يوميًا فقط من الخام الإيراني، وهو أدنى مستوى منذ ما يقرب من عقد من الزمان، وأقل بنسبة 60 بالمائة من الواردات من إيران في حزيران 2018.

10- Ibid

كان لانتهاء الإعفاءات أثر سريع على الاقتصاد الإيراني، الذي عانى منها بشكل كبير. ففي حزيران 2019، انخفض إجمالي صادرات النفط الإيرانية من 400 ألف برميل يومياً، إلى 100 ألف برميل يوميًا، في تموز. حتى الصين غيّرت أنماط شرائها، وضاعفت وارداتها النفطية من السعودية مقارنة بالعام السابق. فاستوردت بكين حوالي 1.8 مليون برميل يومياً من السعودية، في تموز 2019، أي بزيادة 921811 برميلاً يومياً، مقارنة بآب 2018[11].

لم يمنع الحصار الجائر طهران من ابتداع حلول وتدوير الزوايا، للالتفاف على العقوبات الأمريكية. ففي كانون الأول 2019، أعلنت إيران عن حسومات على أسعار النفط للمشترين الآسيويين، وعملت على تقديم عروضات مغرية لهم، تمثلت بتخفيض سعر الخام الإيراني الخفيف دولاراً واحداً للبرميل، أي أقل بنحو 30 سنتاً للبرميل من الخام السعودي الخفيف. وكان هذا أكبر حسم قدّمته إيران مقابل الأسعار السعودية منذ أكثر من عقد.

د ـ مرحلة التحايل على العقوبات

للتغلب على العقوبات وبيع نفطها، لجأت إيران إلى التحايل والخداع المالي واستغلال الثغرات في نظام العقوبات للتفلت منه. وهي سجّلت نجاحات يُعتدّ بها في هذا السياق. وكان من نتائج ذلك أنه بات من الصعب تعقب السفن التي تحمل النفط الإيراني، حيث كانت بعض الناقلات توقف أنظمة تحديد الهوية التي تستخدمها المنظمة البحرية الدولية لتتبّع تحركات السفن. كما توقفت بعض السفن الإيرانية عن الإبلاغ عن مواقعها عندما كانت تقترب من ميناء المشتري. إضافة الى ذلك، غيّرت ناقلات أخرى، تنقل الخام الإيراني، أسماءها وأرقام هويتها في البحر لتجنّب اكتشاف أمرها[12].

بعد أن أعادت الولايات المتحدة فرض العقوبات في عام 2018، أفادت التقارير الغربية أن إيران قامت بتخزين النفط «كمخزن جمركي» في موانئ جينتشو وهويتشو وتيانجين الصينية. بين شهري أيار و آب 2019، أفرغت ست ناقلات إيرانية كميات غير محددة من النفط الخام في تيانجين وجينزهو، حسبما ذكرت صحيفة نيويورك تايمز. والأهم، أنه لم

11- Joao Peixe, Iran Suspends Chinese Contract for North Pars Natural Gas Field, Oil Price.com, 15 October 2011.www.oilprice.com.
12- Ibid

يمر النفط الموجود في المخازن الجمركية عبر الجمارك المحلية، أو يتم تسجيله في بيانات استيراد الصين، إذ كان معظمه لا يزال مملوكًا لطهران؛ وبالتالي، لم ينتهك من الناحية الفنية العقوبات الأمريكية.

أتاح الاحتفاظ بالنفط في مخازن جمركية لطهران، الوقت، للعثور على مشترين في آسيا دون دفع رسوم جمركية أو رسوم أخرى. سمحت هذه الممارسة أيضًا لطهران بتحرير أسطول ناقلاتها، من خلال تقليل التخزين في البحر أثناء العثور على مشترين. وبذلك تضاعف مخزون النفط الخام في جينتشو – من 3.2 مليون برميل، إلى 6 ملايين برميل – خلال ستة أسابيع، بين منتصف حزيران ونهاية تموز 2019، وفقًا لموفّر البيانات Refinitiv. ويتوقع المحلّلون، حالياً، انخفاض أسعار النفط العالمية إذا دخلت ملايين البراميل من الخام الإيراني المخزّن إلى السوق العالمية[13].

هـ. مرحلة العقوبات الأميركية المستهدفة

بالرغم من العقوبات الأميركية الأحادية الجانب على طهران، كان لايزال لإيران، من الناحية الفنية، بيع نفطها إلى دول أخرى. ومع ذلك، فقد أرهبت الولايات المتحدة الدول – بما في ذلك القوى الكبرى التي توسطت في اتفاق 2015 – عبر تهديدها بعدم شراء النفط من إيران، وإلا فإنها ستواجه عقوبات مماثلة أيضًا.

لم تكتف أميركا بذلك، بل اتخذت إجراءات عقابية ضد الصين، بعد أن تحدّت العقوبات الأمريكية. ففي 22 تموز 2019، أعلنت واشنطن فرض عقوبات على شركة Zhuhai Zhenrong Co، وهي شركة طاقة تديرها الدولة «شاركت عن علم في صفقة مهمة لشراء النفط الخام من إيران»[14]، وفقًا لوزارة الخارجية الأميركية. كانتً العقوبات هي الأولى من قبل إدارة ترامب ضد شركة صينية لشراء النفط الإيراني. كما استهدفت إدارة ترامب ما أسمته شبكة «النفط مقابل الإرهاب»، التي كانت تهرّب النفط إلى سوريا والصين لصالح «الحرس الثوري الإيراني مالياً».

13- Ibid
14- Millions of Barrels of Iranian Oil Are Piled Up in China's Ports, Bloomberg Website, 22 July 2019. www.bloomberg.com.

في تموز 2019، أدانت بكين العقوبات الأمريكية على الشركات الصينية، ووصفتها بأنها «اختصاص قضائي طويل الذراع»؛ وتعهدت بـ «حماية الحقوق والمصالح المشروعة لشركاتها».

بالمقابل، ناشدت إيران حلفاءها مواصلة شراء نفط طهران رغم الضغوط الأمريكية. وقال نائب الرئيس الإيراني، إسحاق جهانجيري، لدبلوماسي صيني كبير زائر، في 29 تموز 2019: «على الرغم من أننا ندرك أن دولًا صديقة مثل الصين تواجه بعض القيود، فإننا نتوقع أن تكون أكثر نشاطًا في شراء النفط الإيراني[15]».

وتطبيقاً لاستراتيجية «العقوبات القصوى»، أعلنت وزارة الخزانة الأمريكية، في كانون الأول 2019، عن فرض عقوبات إضافية على خمس شركات صينية، وستة مواطنين صينيين متّهمين باستيراد النفط من إيران. صنّفت الولايات المتحدة شركة «كونكورد بتروليوم الصينية المحدودة»، ووحدتين من شركة «الشحن الصينية الكبرى، كوسكو شيبينغ تانكر (داليان) المحدودة»، و»كوسكو شيبينغ تانكر (داليان) سيمان آند شيب مانجمنت كو». وعمدت أيضاً إلى فرض عقوبات على كبار المسؤولين التنفيذيين في هذه الشركات. وتعليقاً على الأمر، قال وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو، خلال خطاب ألقاه في قمّة متحدون ضد إيران النووية: «نحن نقول للصين وجميع الدول: اعلموا أننا سنعاقب كل انتهاك»[16].

من جهتها، ندّدت «الصين بهذا التصنيف»، ودعت الولايات المتحدة إلى «التراجع عن العقوبات»؛ وقالت: «واشنطن تتجاهل الحقوق والمصالح المشروعة لجميع الأطراف، وتمارس العقوبات كما تشاء». وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية، كنغ شوانغ، «إنه يدوس على القواعد الأساسية التي تحكم العلاقات الدولية».

ثالثاً : المسودّة النهائية للشراكة الاستراتيجية الإيرانية

في حزيران 2020، نشرت «المسودّة النهائية للشراكة الاستراتيجية الصينية – الإيرانية». وأثارت الوثيقة المكوّنة من 18 صفحة- والتي جرى تسريبها، ونشرتها صحيفة نيويورك

15- Ibid
16- Ibid

تايمز ومراكز دراسات قليلة ـ مخاوف البعض في إيران، من أن الصين تعمّق العلاقات مع إيران، من خلال صفقات سرية تتعلق بالنفط وتكنولوجيا الاتصالات والعلاقات العسكرية.

وفي إطار المتابعة الإيرانية للشراكة مع الصين، التقى وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف بنظيره وانغ يي في بكين، في 10 تشرين الأول 2020، وجرى مناقشة الشراكة بين البلدين، وأمور أخرى، كالحفاظ على الاتفاق النووي، والتعاون في لقاح COVID–19، وغيرها من القضايا ذات الاهتمام المشترك[17]. كما أدان الطرفان الولايات المتحدة لفرضها عقوبات على 18 مصرفاً إيرانياً كبيراً في 8 تشرين الأول.

وفي 27 آذار 2021، وقّعت الصين وإيران الوثيقة، حيث ردّ ظريف على الانتقادات العلنية للصفقة، مؤكداً أن «الوثيقة لم تكن معاهدة، ولا تحتوي على التزامات محددة بشأن الاستثمار أو الأمن». كما أشار إلى أن «الجيش الصيني لم يُمنح الإذن بدخول إيران أو إقامة قواعد».

الجدير بالذكر أن المفاوضات الأخيرة بين إيران والصين، كانت استمرارًا لصفقة سابقة، «الشراكة الاستراتيجية الشاملة»، التي تم توقيعها في كانون 2016.

وتعليقاً على الاتفاقية، قال الرئيس جو بايدن للصحفيين، في 28 آذار 2021، إنه كان «قلقًا» بشأن الشراكة الناشئة بين إيران والصين «لسنوات». وفي اليوم التالي ردّ عليه أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، علي شامخاني، بقوله إن «بايدن كان محقًا في القلق».

أ. مقدّمة الوثيقة

تتضمّن الوثيقة مقدّمة و9 مواد، إضافة إلى عدد من الملاحق. وفي ما يأتي النص الحرفي للمسودّة:

إن جمهورية الصين الشعبية وجمهورية إيران الإسلامية، المشار إليهما هنا باسم

17- Alex Yacoubian iran›s Increasing Reliance on China,United States Institute of Peace. website,19 april 2021. www.iranprimer.usip.org

«الأطراف» في الاتفاقية، تمثّلان حضارتين قديمتين في آسيا[18]، وتحافظان على شراكة وثيقة في مجموعة من المجالات، بدءً من التجارة والاقتصاد، وصولاً إلى السياسة والثقافة والأمن. ويعتبر الطرفان بعضهما البعض شريكين استراتيجيين هامين، حيث يتبادلان وجهات النظر والمصالح العديدة في العلاقات الثنائية والساحات المتعددة الأطراف.

ومن خلال الاعتراف بالقواسم المشتركة الثقافية، وأهمية التعددية، وحق جميع الدول في السيادة، والنموذج المحلي للتنمية، وتبادل المواقف فيما يتعلق بالقضايا العالمية المختلفة، دفعت الصين وإيران علاقتهما إلى المستوى الاستراتيجي، على أساس العلاقات المتبادلة القائمة على المصالح والنهج المربح للجانبين.

ونظرًا لعلاقاتهما الدبلوماسية العميقة والوديّة منذ عام 1971، والأسس المناسبة للتعاون في مجالات مثل البنية التحتية للطاقة، والعلوم والتكنولوجيا، فإن قيادتي الدولتين ملتزمتين بشدة بتوسيع هذه العلاقة الثنائية، ويدعوان إلى خطط لتعزيز جميع العلاقات[19].

إن هذه الوثيقة، التي يثق بها الطرفان، ستفتح صفحة جديدة في العلاقات الثنائية بين إيران والصين كحضارتين رائعتين في آسيا، وستكون بمثابة قفزة عملاقة نحو تجسيد الإرادة المشتركة التي عبّرت عنها القيادة العليا في البلدين، لتعميق العلاقات وتعزيز التعاون في مختلف المجالات، في إطار مبادرة الحزام والطريق [الصينية].

وتهدف هذه الوثيقة أيضًا إلى المساعدة في تفعيل المادة 6، من البيان المشترك الأولي الصادر في كانون الثاني 2016، بشأن إطلاق الشراكة الاستراتيجية الشاملة بين البلدين. وهي تؤكد على ضرورة إنشاء الآليات وتوفير البنية التحتية الأساسية لتوسيع التعاون في إطار رؤية مدّتها 25 عامًا.

ب ـ مواد الاتفاقية

جاء في مسودّة الوثيقة أن الطرفين، أي إيران والصين، اتفقا على ما يلي:

18- Farnaz Fassihi and Steven Lee Myers, Defying U.S., China and Iran Near Trade and Military Partnership, New York Times News Paper Website, 27 March 2021. www.nytimes.com.
19- Ibid

ـ المادة الأولى

من خلال الاتفاق، سيدفع الطرفان بالشراكة الاستراتيجية بينهما، على أساس نهج مربح للجانبين، ويقوم على أسس ثنائية وإقليمية وعالمية.

ـ المادة الثانية

مع الأخذ في الاعتبار القدرات الهائلة المتاحة للتعاون الثنائي في إطار هذه الوثيقة، سيتعاون الطرفان لتحقيق الأهداف التالية[20]:

1ـ توسيع العلاقات التجارية والاقتصادية الثنائية.

2ـ التفاعل الفعال بين مؤسسات القطاعين العام والخاص، وكذلك المناطق الاقتصادية الحرة والخاصة.

3ـ تحسين الكفاءة في قطاعات، مثل الاقتصاد والتكنولوجيا والسياحة.

4ـ شراكة استراتيجية في المجالات الاقتصادية المختلفة.

5ـ المراجعة المستمرة والفعالة لأوضاع التعاون الاقتصادي المشترك، بهدف إزالة العقبات ومواجهة التحديات

6ـ التنسيق ودعم مواقف الآخرين في الهيئات الدولية والمنظمات الإقليمية.

7ـ تعزيز إنفاذ القوانين في التعاون الأمني الثنائي، بما في ذلك مكافحة الإرهاب.

8ـ التعاون في المجالات الأخرى.

ـ المادة الثالثة: الأهداف الأساسية

مع وضع السياسات الثنائية الاستراتيجية، والفرص والقدرات المشتركة، فضلاً عن الحقائق القائمة في الاعتبار، عمد الطرفان الى تعداد وصياغة الأهداف الأساسية التي تسعى إليها الاتفاقية الحالية، في الملحق رقم 1.

المادة الرابعة : أسس التعاون

لتوسيع التعاون الشامل، سيعمل الطرفان معًا ضمن الإطار المحدد في الملحق رقم 2.

20-ـ Ibid

وهذه بعض المجالات الرئيسية التي يشملها هذا التعاون[21]:

1 ــ الطاقة، بما في ذلك النفط الخام (الإنتاج والتحويل والتكرير والتوصيل الآمن) والبتروكيماويات، والطاقات المتجددة، والطاقة النووية المدنية.

2 ــ الطرق السريعة، والسكك الحديدية، والصلات البحرية، مع دور إيراني متزايد في مبادرة الحزام والطريق.

3 ـ علاقات مصرفية عالية المستوى، مع التركيز على استخدام العملات الوطنية جنبًا إلى جنب، مع مكافحة حازمة لغسيل الأموال، وتوفير التمويل للإرهاب والجريمة المنظّمة.

4 ـ التعاون في مجال السياحة، والمجالات العلمية الأكاديمية والتكنولوجيا، وتبادل الخبرات في تدريب القوى البشرية، والقضاء على الفقر، وتحسين سبل العيش العامة في المناطق المتخلّفة.

ــ المادة الخامسة: الخطوات التنفيذية:

سيعمل الطرفان على تعزيز التعاون الاستراتيجي الشامل في جميع المجالات، على أساس المصالح والمبادئ المشتركة، وضمن الأطر العادية للأعمال بين المؤسسات الاقتصادية، من خلال اتباع جميع الخطوات الواردة في الملحق رقم 3، من هذه الوثيقة[22].

ــ المادة السادسة: الإشراف والتنفيذ:

1 ــ للإشراف المنسّق على تنفيذ محتويات هذه الوثيقة، سيضع الطرفان آلية، يتفق عليها كبار المسؤولين والمفوّضين الذين يمثّلون قيادتي البلدين.

2 ــ سيعقد الممثّلون رفيعو المستوى اجتماعات سنوية. وعند الضرورة، سيجري المسؤولون الآخرون ذوو الصلة، اتصالات استشارية مع نظرائهم.

3 ــ ستعمل وزارتا الخارجية في كلا الجانبين – بمساعدة المؤسسات المعنية الأخرى

21- Ibid
22- Ibid

مثل وزارة التجارة الصينية ووزارة الاقتصاد الإيرانية – كهيئة تشرف على تنفيذ محتويات هذه الوثيقة، وستكون مسؤولة عن بدء العمل عبر إصدار تقارير دورية، وتسليمها لقيادتهما، ضمن جداول زمنية محددة.

ـ المادة السابعة: التعاون في دول الطرف الثالث:

نظرًا لمصالحهما المشتركة في مبادرة الحزام والطريق، يجب على الطرفين تشجيع العلاقات الثنائية، والعلاقات متعددة الأطراف، من خلال السعي وراء خطط مشتركة في دول الجوار، أو الأطراف الثالثة[23].

ـ المادة الثامنة: رفض الضغط الخارجي:

تماشياً مع مبدأ التعددية، يعمل الطرفان على ضمان تنفيذ مواد هذه الوثيقة، في مواجهة الضغط غير القانوني من أطراف ثالثة.

ـ المادة التاسعة: المحتويات النهائية:

1 ـ أي مراجعة لملاحق هذه الوثيقة (كما هو مذكور في المواد 3 و 4 و 5) مشروطة بموافقة متبادلة. ويجب إجراؤها بعد التنسيق والتشاور المتبادل فقط.

2 ـ لتسهيل تنفيذ الخطط المتفق عليها بشكل متبادل، يحق للطرفين تقديم اقتراحات، إذا لزم الأمر، لأغراض تحسين وتحديث محتوى الاتفاقية. ويجب تقديم تأكيدات بأن مثل هذه الخطوات لن تؤثر أو تعرقل تنفيذ المشاريع الجارية.

3 ـ تشكل الملاحق المرفقة بهذه الوثيقة جزءًا لا يتجزأ منها.

4 ـ هذه الوثيقة سارية المفعول لمدة 25 عامًا، بدءاً من تاريخ التوقيع.

ـ الوثيقة متوفرة بالنسخ الصينية والفارسية والإنجليزية، وكلها لها نفس الصلاحية القانونية. وفي حالة نشوء نزاع بين الجانبين، تُستخدم النسخة الإنجليزية كمرجع[24].

23- Ibid
24- Ibid

رابعاً : التسلسل الزمني للعلاقات الاقتصادية بين إيران والصين

تعود العلاقات الاقتصادية والتجارية ما بين الصين وإيران إلى مرحلة ما قبل الثورة، حيث استوردت الصين في العام 1974 أولاً النفط من إيران . وفي أعقاب الثورة، دفعت الاعتبارات العملية، وأهمها الحصار والحرب مع العراق، اللذان فُرضا على طهران، إلى توجهها نحو بكين، والتعاون معها في المجالات الاقتصادية والتجارية والعسكرية، طالما لم يتضمن الأمر أي تنازلات تخص السياسات المحلية أو الخارجية[25].

كانت الصين شريكاً خارجياً مثالياً لإيران، على عدة أصعدة، خصوصاً النفطية منها؛ فهي لم يكن لها قط أي طموحات إقليمية في إيران، على عكس العديد من القوى العظمى الأخرى، مثل روسيا وبريطانيا. وفي مراجعة للعلاقات بين البلدين، نرى أن بكين، وإن زوّدت إيران بالتكنولوجيا العسكرية بشكل محدود نسبياً، حين امتنعت بقية دول العالم عن بيعها لطهران أثناء الحرب وبعدها، غير أنها أيضاً فعلت ذلك مع العراق؛ إضافة إلى أن مبيعاتها العسكرية لطهران بقيت على الدوام مقيّدة بالضغوط والإملاءات الأميركية، التي نجحت في إلغاء وتجميد العديد من الصفقات العسكرية والاستثمارات النفطية والاقتصادية الصينية في إيران، كما سيُظهر لاحقاً التعاون التاريخي بين إيران والصين، والذي سنتناول تسلسله الزمني، انطلاقاً من أهميته .

أ ـ حقبة الثمانينات

في كانون الثاني1983، وقّعت الصين وإيران اتفاقية تجارية بقيمة 500 مليون دولار، زادت التجارة الثنائية بنسبة 150 في المائة. وبنتيجة هذه الصفقة، زوّدت الصين إيران بإمدادات عسكرية، أو معدّات مدنية يمكن تحويلها إلى استخدام عسكري، مثل سيارات الجيب والشاحنات. وعليه، أصبحت طهران الشريك التجاري الأول للصين في الشرق الأوسط، حيث كانت دعمت غالبية النشاطات التجارية الصينية مع إيران، المجهود الحربي الإيراني ضد العراق في أوائل الثمانينيات[26].

25- Michael WeisskopfChina Plays Both Sides In Persian Gulf War, Washington Post News Paper Website, 13 Janury 1983. www.washingtonpost.com.
26- Ibid

في العام 1985، وتحديداً في 3 آذار، أنشأت إيران والصين اللجنة المشتركة للتعاون في مجالات: الاقتصاد، والتجارة، والعلوم، والتكنولوجيا، وذلك بغية التعاون في مجالات الطاقة، والآلات، والنقل، ومواد البناء والتعدين والمواد الكيميائية والمعادن غير الحديدية.

ب ـ حقبة التسعينيات

بين العامين 1992 و1998، تراوحت قيمة التجارة الثنائية بين 437 و 1.2 مليار دولار. خلال هذه الفترة، ازداد التعاون في مجال الطاقة بين البلدين بشكل مطّرد، حيث كانت دخلت الصين آنذاك فترة التصنيع السريع والنمو السكاني.

في كانون الأول 1993، أصبحت بكين مستورداً صافيا للنفط، بعد أن تجاوزت معدلات الاستهلاك المحلي الإنتاج؛ فبينما أنتجت في العام 1993 حوالي 2.90 مليون برميل، استهلكت بالمقابل ما يقرب من 2.99 مليون برميل يوميًا. أدّى التصنيع المتسارع في التسعينيات إلى زيادة استهلاك الصين للنفط، من 2.33 مليون برميل يوميًا، في عام 1990، إلى 4.69 مليون برميل يوميًا، بحلول عام 2000. ثم بدأت الصين بعدها تدريجيًا في شراء النفط من الأسواق غير المستغلة في الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا[27].

في 5 آب 1995، أقرّت إدارة الرئيس بيل كلينتون قانون العقوبات الإيرانية ـ الصليبية، الذي فرض عقوبات صارمة على الشركات التي وجدت أنها تستثمر أكثر من 20 مليون دولار سنويًا في صناعة النفط والغاز الإيرانية. كان للعقوبات آثار متواضعة قصيرة المدى على الاقتصاد الإيراني[28]. إذ تأخرت العقود في حقول النفط والغاز الإيرانية، وأجّلت العديد من الشركات الأجنبية أي استثمارات جديدة في طهران. وانطلاقاً من هذا الأمر، كان على شركة النفط الوطنية الإيرانية (NIOC) تقديم حوافز أكبر للتفاوض على عقود محددة الأجل للإمدادات التي كانت ملتزمة سابقًا بالشركات الأمريكية.

في أيلول 1995، وقّعت الصين عقدًا عسكريًا شاملاً لبيع طائرات مقاتلة وسفن حربية ومجموعة متنوعة من المركبات المدرّعة، والصواريخ، والمعدات الإلكترونية والتدريب

27- John S. Park and Cameron Glenn, Iran and China, United States Institute of Peace Website, October 11, 2010, www.iranprimer.usip.org
28- Ibid

العسكري لإيران. تم تجميد هذه الصفقة في نهاية المطاف، بعد موافقة بكين على وقف بيع الصواريخ لطهران، بسبب الضغوط الأميركية .

وبالرغم من ذلك، لم تجمّد الصين مشترياتها واستثماراتها النفطية في إيران، إذ وقّعت اتفاقية للتنقيب عن النفط والغاز في كانون الثاني 1997 [29]. كان هذا أول استثمار لبكين في صناعة النفط والغاز المحلية بإيران. وقد أقامت الاتفاقية مشاريع تطوير بمليارات الدولارات في حقل غاز جنوب فارس وحقل أزاديجان النفطي[30].

وفي محاولة لتطمين الولايات المتحدة، أكد الرئيس الصيني جيان زيمين، للولايات المتحدة، في تشرين الأول من العام ذاته، أن «الصين لن تنقل صواريخ كروز أو تكنولوجيا إضافية مضادة للسفن إلى إيران، ولن تساعد في برنامج الإنتاج المحلي».

ج ـ حقبة الألفيّة

في كانون الثاني من العام 2000، وقّعت شركة «النفط الوطنية» الإيرانية، عقداً بقيمة 85 مليون دولار، مع شركة «البترول الوطنية الصينية» (سي إن بي سي) لحفر 19 بئراً نفطية جديدة في جنوب إيران.

وفي 18 آذار 2004، توصلت طهران إلى اتفاقية بقيمة 20 مليار دولار، مع شركة Zhuhai Zhenrong» المملوكة للدولة الصينية، لشراء أكثر من 110 ملايين طن من الغاز الطبيعي المسال، من إيران، على مدى 25 عامًا. ووصِفت هذه الصفقة، حينها، بأنها أكبر عملية شراء فردية للغاز الطبيعي في العالم[31].

في تلك المرحلة، ركّزت الصين على الابتعاد عن حرق الفحم، وتحولت إلى استخدام غاز طبيعي نظيف، لتلبية احتياجاتها من الطاقة المحلية. وهذا ما أدى إلى مسارعة الشركات الصينية إلى شراء احتياطيات الغاز الإيرانية الضخمة – 15 في المائة من إجمالي

29- Jeffrey J. SchottThe Iran and Libya Sanctions Act of 1996: Results to Date, Peterson Institute for International Economics (PIIE) Website, July 23 1997. www.piie.com.
30- Ibid
31- Manochehr Dorraj and Carrie L. Currier, Lubricated With Oil: Iran-China Relations in a Changing World, Middle East Policy Council Website, Volume 15, Summmer 2008, No 2. www.mepc.org.

المعروض العالمي – للاستفادة من احتياجات الطاقة المتزايدة لبكين.

في تشرين الأول من العام ذاته (2004)، اتفقت إيران والصين[32]، على صفقة إضافية بقيمة 100 مليار دولار، لإضافة 250 مليون طن من الغاز الطبيعي المسال للإمدادات المحلية للصين على مدى 25 عامًا. وفي العام 2006، وقّعت شركة «سينوبك» صفقة لتطوير حقل يادافاران النفطية؛ غير أن «سينوبك» أوقفت المرحلة الثانية من المشروع في أيار 2019، بينما أعادت الدولتان فتح مفاوضات لإعادة تفعيل العقد.

في كانون الأول 2007، وقّعت «شركة سينوبك الصينية» صفقة بقيمة 2 مليار دولار، لتطوير 137 بئراً، في حقل نفط يادافاران في غرب إيران. يتكوّن المشروع من مرحلتين؛ الأولى، على مدى أربع سنوات، لإنتاج 85 ألف برميل في اليوم. والثانية، تشمل السنوات الثلاث التالية، لإنتاج 100 ألف برميل اضافي في اليوم[33].

بين عامي 2009– 2008: انخفضت التجارة الثنائية من 27.8 مليار دولار، في عام 2008، إلى 21.2 مليار دولار، في عام 2009. كذلك انخفضت التجارة العالمية بشكل عام في عام 2009، بسبب تداعيات الأزمة الاقتصادية العالمية مع انخفاض الطلب العالمي على النفط[34].

د ـ حقبة العقوبات الدولية على إيران

في 9 حزيران 2010، أصدر مجلس الأمن القرار 1929، الذي شدّد العقوبات على إيران بسبب ملفها النووي. تلاه في 24 حزيران، تبنّي الولايات المتحدة قانون العقوبات والمحاسبة وسحب الاستثمارات الإيرانية الشامل، الذي استهدف الشركات التي تستثمر في قطاع الطاقة الايراني، أو تبيع النفط المكرّر إلى طهران. كما فرِضت عقوبات على البنوك الأجنبية التي تتعامل مع إيران.

وفي تشرين الأول من العام ذاته، أصدرت الحكومة الصينية تعليمات للشركات بتقليص مشاريع تطوير الطاقة في إيران، بعد العقوبات الأميركية، والاتفاق مع إدارة أوباما بعدم

32 - Ibid
33 - Ibid
34 - Ibid

تنفيذ مشاريع استثمارية إيرانية مستقبلية. بالمقابل، وافقت الولايات المتحدة على عدم فرض عقوبات على الاستثمارات الصينية السابقة[35].

خلال الأعوام 2011–2009، زادت التجارة الثنائية بشكل كبير، من 21.2 مليار دولار، في عام 2009، إلى 45.10 مليار دولار[36]، في عام 2011. كما زادت العقوبات المشددة من اعتماد إيران على الواردات الصينية، مع انسحاب الشركات الغربية من صناعة النفط والغاز الإيرانية. ونتيجة لذلك، تفوّقت بكين على الاتحاد الأوروبي كأكبر مشترٍ للنفط الإيراني[37].

وفي 14 كانون الثاني 2011، وقّعت شركة «النفط الوطنية الإيرانية» وشركة «CNPC» الصينية، عقدًا مدّته 12 عامًا، بقيمة 1.76 مليار دولار، لتطوير حقل نفط شمال أزاديجان في غرب إيران. وقد استندت الاتفاقية إلى خطة إعادة الشراء، التي تقوم فيها شركة «البترول الوطنية الصينية» بتطوير الحقل ثم تسليم العمليات إلى شركة النفط الوطنية الإيرانية (NIOC)، وتلقّي مدفوعات من إنتاج النفط والغاز حتى يتم سداد العقد. قام العقد على توقعات تشمل أن تصل طاقة إنتاج الخام إلى 75 ألف برميل في اليوم، في أول 48 شهرًا من التطوير. وفي عام 2016، بدأت شركة البترول الوطنية الصينية الإنتاج في الحقل، والذي يضخ ما يقدر بـ 80 ألف برميل في اليوم[38].

وفي العام 2011 أيضاً (9 آذار)، افتتحت شركة النفط الوطنية الإيرانية (NIOC) مكتباً في بكين لجذب الاستثمار في قطاع الطاقة في طهران. وفي 10 حزيران، وقّعت شركة CNPC عقدًا بقيمة 4.7 مليار دولار، مع شركة «النفط الوطنية الإيرانية» لتطوير حقل غاز جنوب بارس الإيراني، وهو أكبر حقل غاز طبيعي في الشرق الأوسط.

وفي 21 تشرين الثاني، من العام ذاته أيضاً، افتتحت إيران أول مركز للتجارة الخارجية

35- Reuters Staff, UPDATE 1-China's CNPC signs deal for Iran oilfield, Reuters Website, January 14, 2009.www.reuters.com

36- Iran opens first overseas commerce center, Tehran Times News Paper Website, November 21, 2009. www.tehrantimes.com.

37

38- Chen Aizhu, CNPC suspends investment in Iran's South Pars after U.S. pressure: sources, Reuters Website, December 12, 2018.www.reuters.com

لها في شنغهاي لتبسيط المشاريع الاستثمارية المشتركة بين الشركات الإيرانية والصينية. وفي كانون الأول، تفوّقت الصين على الاتحاد الأوروبي كأكبر شريك تجاري لإيران، بعد أن ارتفعت التجارة الثنائية إلى 36.5 مليار دولار، في وقتٍ كان يبلغ حجم التجارة حوالي 14.4 مليار دولار، قبل ثلاث سنوات فقط. وقد شكّل النفط الخام ما يقرب من 80 في المائة من إجمالي الصادرات الإيرانية إلى الصين.

بين عامي 2011 ـ 2012: انخفضت التجارة الثنائية من 45.1 مليار دولار، في العام 2011، إلى 36.5 مليار دولار، في العام 2012. إضافة إلى ذلك، انسحبت العديد من الشركات الصينية من العقود، بسبب عقوبات الولايات المتحدة، والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي، على إيران[39].

وفي أيلول 2012، أرجأت شركة البترول الوطنية الصينية (CNPC) مشروع التنقيب عن النفط في حقل بارس الجنوبي النفطية. وقد دفع هذا الأمر إيران إلى تحذير الشركة لتسريع التطوير أو خسارة العقد. كما أوقفت شركة «سينوبك الصينية» المرحلة الثانية من عقد تطوير عام 2007، في حقل يادافاران النفطية، بعد ضغوط من الولايات المتحدة.

.بموازاة ذلك، وقّعت «شركة سينوبك الصينية» اتفاقاً مع إيران لاستيراد 90 ألف برميل يومياً إضافية من المكثفات. كذلك واصلت الصين استيراد النفط الإيراني على الرغم من تراجع مشروعات الاستثمار الصينية في مجال الطاقة في إيران، بسبب التهديد بالعقوبات الأمريكية.

وفي كانون الثاني 2012، تبنّى «الاتحاد الأوروبي» مجموعة من العقوبات المستهدفة التي حظرت استيراد وشراء ونقل النفط الخام الإيراني ومشاريع البترول. كما وافق على تجميد أصول البنك المركزي الإيراني في الاتحاد الأوروبي، الذي استوردت دوله 20 في المائة من النفط الإيراني في ذلك الوقت.

خلال العامين 2014–2013، زادت التجارة الثنائية من 39.4 مليار دولار، في عام 2013، إلى 51.8 مليار دولار، في عام 2014، بسبب الإعفاءات من العقوبات الأمريكية،

39- EU Iran sanctions: Ministers adopt Iran oil imports ban, BBC Website, 23 January 2012. www.bbc.com.

مما أدى إلى ارتفاع واردات النفط الصينية[40].

وفي 24 تشرين الثاني 2014، وقّعت إيران وست قوى عالمية – الصين وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا والولايات المتحدة – صفقة في جنيف. وقد أفرجت بموجبها عن مبيعات نفط إيرانية بقيمة 4.2 مليار دولار، من حسابات مجمدة. وبالمقابل، التزمت طهران بكبح برنامجها النووي. كما حدّ الاتفاق من صادرات النفط الإيرانية إلى مليون برميل يومياً[41].

وفي 29 تشرين الثاني، منحت الولايات المتحدة إعفاءات من العقوبات مدتها ستة أشهر، لكلٍ من الصين والهند وكوريا الجنوبية ودول أخرى، مقابل التزامها بخفض مشترياتها من النفط الإيراني.

بين عامي 2015–2014 أيضاً، انخفضت التجارة الثنائية من 51.8 مليار دولار، في العام 2014، إلى 31.2 مليار دولار، في العام 2016. أما السبب فهو التراجع الحاد في أسعار النفط العالمية[42].

هـ ـ حقبة الانسحاب من الاتفاق النووي:

في 14 تموز 2015، توصلت إيران والقوى العالمية الست المعروفة مجتمعة باسم مجموعة 1 + 5، إلى اتفاق تاريخي وافقت فيه إيران على كبح برنامجها النووي وإتاحة الوصول إلى المفتشين مقابل تخفيف العقوبات. دخلت الاتفاقية، المعروفة رسميًا باسم «خطة العمل الشاملة المشتركة»، حيّز التنفيذ في كانون الثاني 2016.

في 8 أيار 2018، أعلن الرئيس ترامب انسحاب الولايات المتحدة من «خطة العمل الشاملة المشتركة» وإعادة فرض العقوبات على إيران. فيما أعلنت إيران عزمها على الاستمرار في الصفقة إذا كان من الممكن ضمان فوائدها الاقتصادية. بينما قالت الصين وروسيا «إنهما تعتزمان مراعاة خطة العمل الشاملة المشتركة ومواصلة التجارة مع إيران».

40- Iran seals nuclear deal with west in return for sanctions relief, The Guardian Website, 24 November 2013. www.theguardian.com.
41- Ibid
42- Timothy Gardner,U.S. extends Iran oil sanctions waivers to China, India, South Korea, Reuters Website, 29 November 2013. www.reuters.com

منحت إدارة ترامب إعفاءات موقتة للصين، لاستيراد 360 ألف برميل يوميًا من النفط الإيراني، أي نصف المتوسط اليومي منذ كانون الثاني 2016.

وفي 12 كانون الأول 2018، علّقت شركة CNPC الصينية، عملياتها في حقل غاز بارس الجنوبي الإيراني، بعد ضغوط من الولايات المتحدة. لكن بالمقابل، عرضت شركة «سينوبك الصينية»، على طهران، خطة استثمارية بقيمة 3 مليارات دولار لتطوير حقل يادافاران النفطي، في كانون الثاني 2019[43].

وفي 2 أيار 2019، أعلنت إدارة ترامب انتهاء الإعفاءات من العقوبات، في محاولة «لخفض صادرات النفط الإيرانية إلى الصفر».

ومع تصاعد حدّة العقوبات على إيران في عهد ترامب، سافر رئيس أركان القوات المسلحة الإيرانية اللواء محمد باقري، في 11 أيلول 2019، إلى الصين، لأول مرة منذ 40 عاماً. وهو عقد اجتماعات مع كبار المسؤولين العسكريين والسياسيين الصينيين لبحث التعاون الأمني بين البلدين. وفي ختام الزيارة، أعلن باقري «عن إجراء مناورة بحرية مشتركة مع الصين في خليج عمان»؛ ولكنه لم يحدد جدولاً زمنياً.

وفي 6 تشرين الأول من العام ذاته، أعلنت طهران أن «شركة سينوبك الصينية» انسحبت من صفقة قيمتها 5 مليارات دولار لتطوير حقل بارس الجنوبي النفطي. وكانت «شركة توتال الفرنسية» قد انسحبت سابقًا من العقد في 2018، بعد إعادة فرض العقوبات الأمريكية على صناعة النفط والغاز الإيرانية. وقال وزير النفط بيجان زنجنه إن «شركة بتروبارس المحلية ستتولى العقد»[44].

في 21 تشرين الأول 2019، زار المبعوث الصيني الخاص للشرق الأوسط، تشاي جون، إيران مع وفد لمناقشة التطورات الإقليمية. وقد دعا مسؤولون إيرانيون بكين إلى «لعب دور أكثر بروزاً في الشرق الأوسط «، وسلّطوا الضوء على «إنجازات إيران وسوريا وحزب الله اللبناني في تغيير ميزان القوى في المنطقة».

43- Chen Aizhu ,CNPC suspends investment in Iran's South Pars after U.S. pressure: sources, Reuters Website, 12 December 2018. www.reuters.com
44- Ibid

في 1 كانون الأول 2019، عقدت إيران والصين اجتماعاً مشتركاً في بكين لمناقشة خطة العمل الشاملة المشتركة. وحضر الاجتماع نائب وزير الخارجية الإيراني للشؤون السياسية عباس عراقجي، ونائب وزير الخارجية الصيني ما تشاو شو. وشدّد الطرفان على ضرورة توثيق العلاقات الاقتصادية بين البلدين. وقال عراقجي «تم العثور على طرق جديدة[45]، ونحن نعود إلى حالة اقتصادية مستقرة في علاقاتنا مع الصين، لكننا بحاجة إلى إزالة العقبات ورفع مستوى العلاقات الاقتصادية المتبادلة».

في حزيران 2020، تم تسريب «المسودة النهائية لاتفاقية «الشراكة الاستراتيجية الإيرانية» مع الصين، والتي يبلغ أمدها 25 عامًا.

وبعد عام واحد، وقّعت إيران والصين اتفاقية الشراكة في 27 آذار 2021[46].

الاستنتاجات

يحدّ اتفاق الشراكة الصيني– الإيراني، عملياً، من تأثير استراتيجية العقوبات القصوى التي فرضتها إدارة الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب على إيران، لأنه يمنح طهران آفاقاً اقتصادية واسعة، وسيحسّن من مكانتها التفاوضية في المفاوضات النووية الجارية مع الولايات المتحدة، للعودة إلى الاتفاق النووي.

والأهم أن الاتفاق الصيني ـ الإيراني يؤشر على فشل استراتيجية «الضغوط القصوى» التي اعتمدتها إدارة ترامب ضد إيران، على اعتبار أن هذا الاتفاق منح طهران الكثير من الآفاق الاقتصادية التي ستمكّنها من تجاوز تأثيرات العقوبات الأميركية.

وعليه، ليس من المبالغة القول بأن استراتيجية ترامب انتهت، بتمكين إيران من تصدير نفطها إلى الصين مقابل استثمارات صينية وتعاون أمني، كما تنص وثيقة التعاون. كما أن

45- Mohsen Shariatinia Tehran welcomes China’s presence in Middle East,Al-monitor Website,8 November 2019. www.al-monitor.com.

46- Ibid

الاتفاقية بين طهران وبكين تقلّص من قدرة إدارة بايدن على عزل إيران، التي تبدو في غير عجلة من أمرها للعودة إلى الاتفاق النووي.

وأكثر من ذلك، يُعدّ «الاتفاق الصيني– الإيراني «تهديداً استراتيجياً لإسرائيل، يمكن أن يتطور إلى تهديد وجودي». وهو ما عبّر عنه دان شفطان، رئيس «مركز دراسات الأمن القومي»، التابع لجامعة حيفا، الذي أوضح أنه «في حال استنفدت الصين وإيران كل الطاقة الكامنة في اتفاق التعاون، فإن هذا التطور يمكن أن يحوّل الشرق الأوسط إلى «ساحة حرب باردة بين القوى العظمى، بشكل يمثّل تهديداً على إسرائيل».

وليس بعيداً عن ذلك، فإن ما يدفع «إسرائيل» للقلق أكثر من الاتفاق الصيني– الإيراني، حقيقة، هو أنه ينص على تعاون الجانبين في مجالات عسكرية واستراتيجية، ومن ضمنها تدريبات ومناورات مشتركة، وأبحاث وتطوير وسائل قتالية، وتبادل معلومات استخبارية وغيرها.

الجداول الملحقة بالدراسة

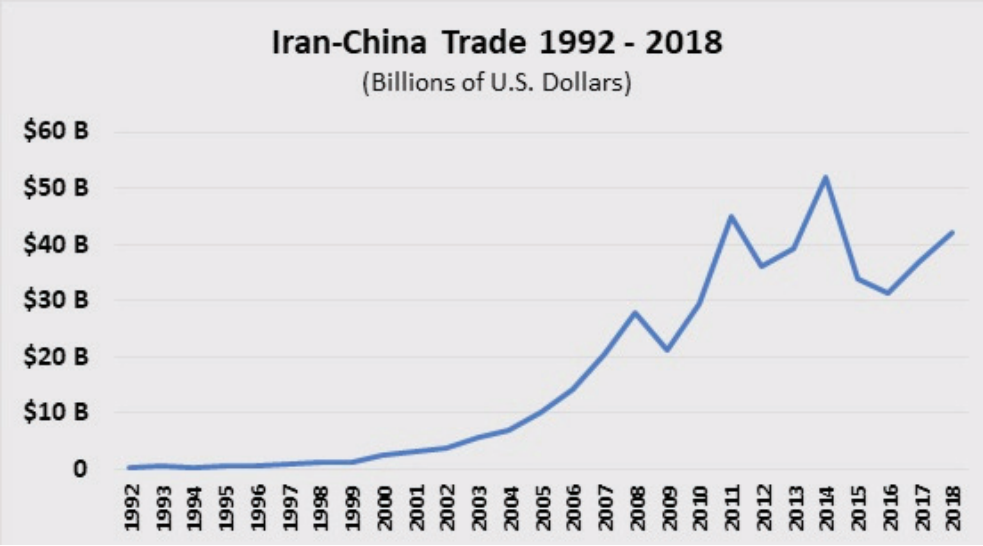

Source: U.N. Comtrade

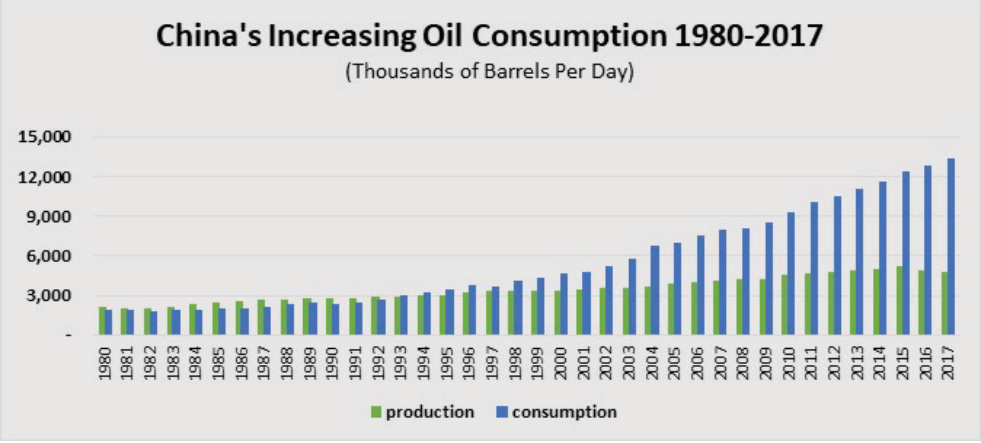

Source: U.N. Comtrade

Source: The Observatory of Economic Complexity

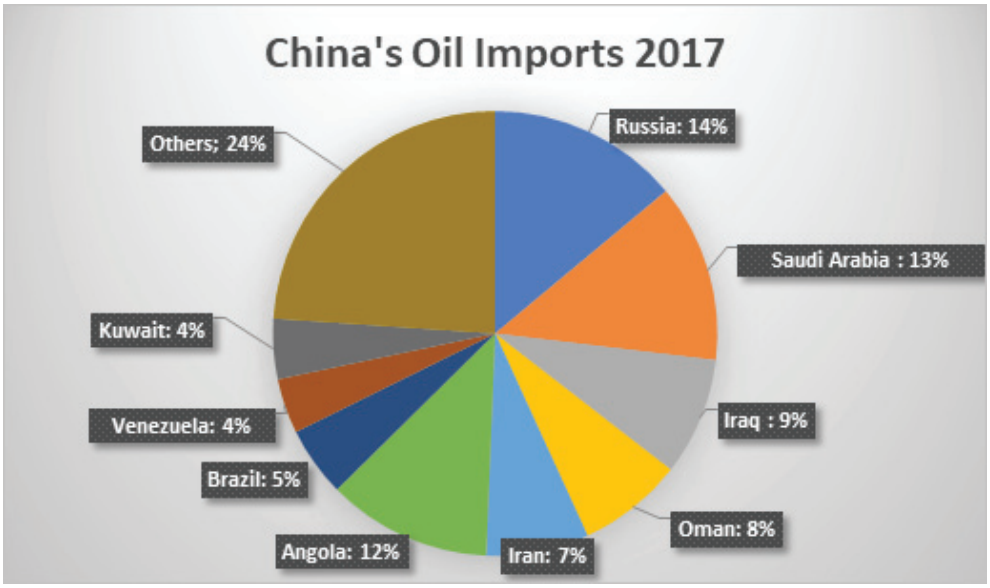

Source: The Observatory of Economic Complexity

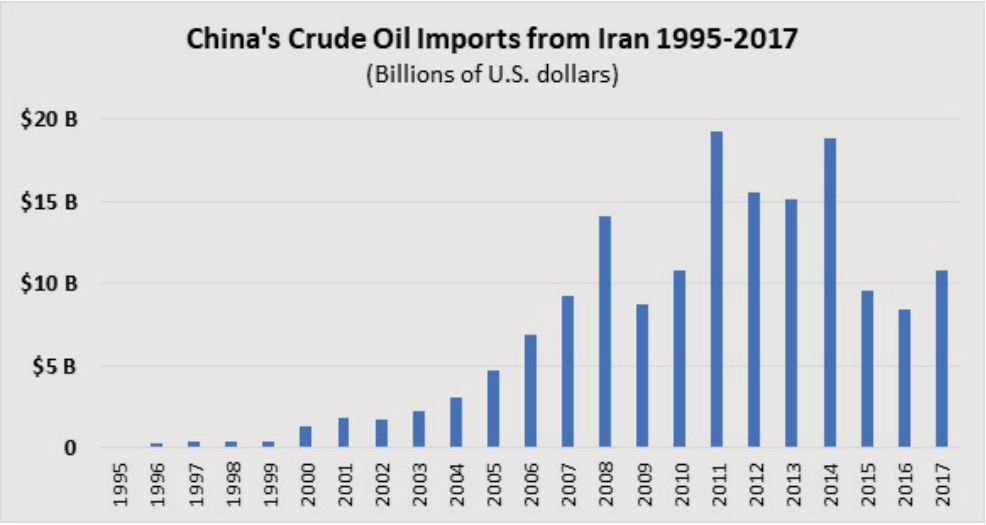

Source: The Observatory of Economic Complexity

نيوم: أوّل مستعمرة إسرائيلية في العالم العربي

د. علي دربج*

المقدّمة

على الرغم من التحديات السياسية والمالية الحادة، وتوليّ إدارة جديدة مقاليد السلطة في أميركا، وتصاعد جائحة كورونا وما تركته من أثر اقتصادي سلبي على السعودية، فضلاً عن فتح ملف مقتل الخاشقجي من جديد وتحميل بن سلمان مسؤولية هذه الجريمة، لم يتغير الواقع بأن «نيوم» لا تزال مركزية في رؤية ولي العهد محمد بن سلمان لتحوّل السعودية «2030».

وقد أطلق بن سلمان، في شباط 2021 ، مشروع مدينة مليونية، باسم «ذا لاين»، وهي تقع ضمن مدينة «نيوم»، والتي قال «إنها ستكون صديقة للبيئة» ـ وتضم مجتمعات اداركية معزّزة ومرتبطة بالذكاء الاصطناعي، كدليل على أن بن سلمان ماضٍ، وبإصرار، على تنفيذ خططه فيما يتعلق بـ«نيوم»،[1] بالرغم من التعثر الذي واجهته.

وإذا كان بن سلمان لا يزال يتريث، حتى تاريخ كتابة هذه السطور، في الالتحاق بقطار التطبيع مع كيان الاحتلال في فلسطين لأسباب تتعلق بموقع السعودية المعنوي وما

1 ـ انهيار أسعار النفط لا يعرقل خطط مدينة نيوم المستقبلية، موقع مجلة العرب السعودية، 17 آب 2020 https://alarab.co.uk

* باحث في القضايا الإقليمية وأستاذ جامعي.

تشكّله من مرجعية للكثير من المسلمين، فإن الاستثمارات الأجنبية التي يراهن عليها بن سلمان لنجاح رؤيته، ستدفعه للعمل وفق استراتيجية التطبيع السري الجار منذ عقود بين «إسرائيل» والسعودية؛ وسيشكّل بالتالي مدخلاً لتغلغل الشركات الإسرائيلية، واستغلال حاجة بن سلمان لهذه الاستثمارات، خصوصاً على الصعيد التكنولوجي (التي ستتميز بها مدينة نيوم)؛ وهو ما بدأ بالتحقق من خلال إعلان العديد من الشركات الإسرائيلية عن رغبتها في العمل والمساهمة في إنجاز هذه المدينة الرائدة[2].

أولاً: دلالات لقاء بن سلمان ـ نتنياهو في «نيوم»

حتى قبل أن يجف حبر محضر اللقاء السري الذي جمع في 27 تشرين الثاني 2020 كلاً من: رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، مدير الموساد يوسي كوهين، ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، ووزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو، في مدينة نيوم السعودية الساحلية على البحر الأحمر، أتى اغتيال رئيس منظمة البحث والتطوير في وزارة الدفاع الإيرانية، محسن فخري زادة، ليصبّ الزيت على النار في منطقة تنتظر شرارة الانفجار، وليطرح عدداً من الأسئلة حول سرّ اختيار هذه المدينة التي ضجّ باسمها العالم حتى قبل أن تظهر إلى حيّز الوجود، وموقعها في مسيرة التطبيع الناشطة، وحجم النفوذ الإسرائيلي المتوقع في هذه المدينة، والذي بدأت تباشيره تلوح في الأفق حتى قبل أن تولد، ومن المرجح أن يتمدد بشكل كبير!

في الواقع، لا يمكن فصل الزيارة ـ التي لم تتكشف بعد دوافعها، وإن كان الأمر لا يحتاج إلى التنبؤ بأن إيران كانت الحاضر الأبرز ــ ورمزية المكان والإشارات التي حملها الاجتماع عن أهدافها الحقيقية .

أولاً: وفقًا للرواية الرسمية للزيارة، أن نتنياهو سافر إلى السعودية على متن طائرة خاصة يملكها رجل أعمال إسرائيلي .

2 ــ مصادر إسرائيلية: محمد بن سلمان مؤيد للتطبيع.. والملك يرفض، موقع قناة الحرّة الاميركية، 27 تشرين الثاني 2020 . https://www.alhurra.com

ثانياً: لا يمكن المرور مرور الكرام على عبارة (رجل أعمال)، دون استبعاد فرضية أن علاقته بهكذا اجتماع بالغ الأهمية ، وصفته وسائل إعلام إسرائيلية بإنه «بريق من التاريخ يسطع»، ليست مقتصرة على مسألة وضع طائرة بتصرف نتنياهو؛ بل لا يستبعد أن يكون من المساهمين في ترتيبه، خصوصاً وأن العلاقات التجارية السرية بين المملكة وتل أبيب، والتي قطعت أشواطاً كبيرة وسبقت التواصل السياسي، كان عرّابوها غالباً من رجال الأعمال بالدرجة الأولى ، وزياراتهم إلى السعودية (وإن بجوازات سفر غربية وأجنبية) قائمة على قدمٍ وساق[3].

أما الأهم، فهو يأتي في سياق اعتراف عملي من العواصم الخليجية، وفي مقدّمتها الرياض وأبو ظبي، بفوائد الروابط الأمنية والتكنولوجية والاقتصادية مع «إسرائيل» القوية التي لا يمكن تجاوزها – ليس فقط لمصلحتهم، بل بسبب الموافقة الأمريكية (السياسية والأمنية والعسكرية) التي تجلبها لتثبيت دعائم حكام مشيخات الخليج وكراسيهم، وأوّلهم ولي العهد بن سلمان، إضافة إلى مواجهة إيران ،الهاجس الأكبر لهذه الدول.

أ ـ مراعاة المصالح الإسرائيلية وانطلاق «نيوم»

استناداً إلى علاقة «السيّد والعبد» بين أميركا والسعودية، والمحكومة بالمصلحة الإسرائيلية التي تتقدم على أي اعتبار آخر، من الطبيعي أن تشكّل مراعاة المصالح الإسرائيلية عاملاً حاسماً في انطلاقة هذا المشروع، المتعلق بمستقبل النظام الملكي السعودي، وبالتحديد حكم MBS، الذي من المشكوك فيه أن يستمر في تلقّي المساعدة (الأمريكية) بدون دعم «أيباك» (مجموعة الضغط الرئيسية المؤيدة لإسرائيل) والمنظمات اليهودية، بحسب إيران ليرمان، النائب السابق لرئيس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي. وفي الخانة ذاتها نضع قول دبلوماسي إسرائيلي إن «عرب الخليج عمومًا يعتقدون أنه يمكن لإسرائيل أن تفعل السحر»[4].

3 ـ الإعلام الإسرائيلي: نتنياهو التقى محمد بن سلمان في السعودية، موقع قناة روسيا اليوم، 23 تشرين الثاني 2020 https://arabic.rt.com

4 ـ دعا لتسوية شاملة مع السعودية ودول الخليج ..ليبرمان: كل من ربط مصيره بنا خسر، موقع قناة الميادين الاخبارية، 22 حزيران 2017 . https://www.almayadeen.net

ب. إلزامية موافقة «إسرائيل» على «نيوم»

ما يدعم استنتاجنا بأن «إسرائيل» ستكون بمثابة الركيزة الأساسية في قيام المدينة الذكية، هو أنه لا يمكن أن يتم هذا المشروع دون الحصول على موافقة الكيان الغاصب، لأنه سيكون بمثابة جسر يربط مصر بالسعودية، ويجب أن يعبر إلزامياً صحراء النقب [في «إسرائيل»]؛ وبالتالي هذا غير ممكن دون موافقتها.

ج ـ التطبيع التكنولوجي السعودي ـ الإسرائيلي

ستحتاج السعودية لبناء مدينة ذكية بمليارات الدولارات، تعمل بالطاقة المتجددة وتديرها الروبوتات، إلى الخبرة التكنولوجية. وقد يكون من المستحيل الاعتماد كليًا على الشركات المحلية. وبالنسبة لإسرائيل، هذا هو المكان الذي يمكن للشركات الإسرائيلية أن تنفذ من خلاله، عبر أبرز روّاد وصانعي التطبيع على المستوى التكنولوجي بين إسرائيل ودول الخليج، لاسيما الإمارات، وهو المستثمر الإسرائيلي ماتي كوتشافي، الذي أدّى خدمته العسكرية في إحدى وحدات الاستخبارات؛ غير أن نشاطه الأبرز والأكثر أهمية على الإطلاق يأتي في مجال المراقبة الإلكترونية.

وتوظّف شركاته (كوتشافي) العشرات من الضباط والمجندين السابقين، الذين عملوا سابقًا في مختلف وحدات الاستخبارات و«الشين بيت»، لتقديم الخدمات الأمنية الخاصة للعديد من العملاء.

بين عامي 2007 و2015، قامت «شركة كوتشافي» ببيع الإمارات خدمات أمنية بقيمة 6 مليار دولار لحقول النفط لديها، حيث لم تكن آبار النفط قبل هذه السنوات مؤمّنة. كما قامت بتأسيس أحد أنظمة الدفاع الأكثر تكاملًا في العالم، إذ يحوي آلاف الكاميرات وأجهزة الاستشعار الممتدة على طول 620 ميلًا على الحدود الإماراتية؛ وتصبّ المعلومات التي يقوم بجمعها في قاعدة بيانات تسمّى «ويسدوم»، ويشرف عليها كوتشافي، وتدار من خلال إحدى أكبر شركاته في قلب إسرائيل، وهي شركة (لوجيك إنداستريز)، التي يرأس

مجلس إدارتها عاموس ملكا، الرئيس السابق لجهاز الاستخبارات العسكرية (أمان)[5].

عملياً، لم يكن إشراك الشركات الإسرائيلية في مشروع تطوير حضري كهذا، مجرد حديث في ممرات القوة السعودية. فلنعد إلى عدة سنوات خلت، لنرى أن السحر الإسرائيلي فعل فعله مع الرياض، التي انخرطت بقوة في مسيرة التطبيع السرية مع الكيان الغاصب، وترجمت بالاتصالات السرية بين البلدين لضمان تسهيل ممارسة الأعمال التجارية.

د ـ التطبيع الأمني السعودي - الإسرائيلي

تعامل السعوديون بهدوء مع الشركات الإسرائيلية، لا سيما في المجال الأمني. ففي أعقاب الهجوم الإلكتروني الكبير على نظام الكمبيوتر الخاص بشركة أرامكو السعودية في عام 2012، واستعانة الرياض بترسانة من الشركات العالمية لإحباطه، كانت «إسرائيل» حاضرة بقوة عبر شركاتها المسجّلة في الخارج، وفقاً لتقرير لوكالة بلومبرغ في 2 شباط 2017.

ليس هذا فحسب، فقد أسهمت إحدى شركات المقاولات الإسرائيلية في تنفيذ سور (أمني) عالي التقنية، الذي شيّدته عام 2014 شركة الدفاع الأوروبية العملاقة EADS على طول الحدود بين السعودية والعراق، بحسب ما كشف أحد كبار المحاربين القدامى في مؤسسة الدفاع الإسرائيلية[6].

أكثر من ذلك، كشف تقرير لقناة i24 الإسرائيلية، في شباط 2017 عن قيام شموئيل بار، وهو أحد الإداريين في شركات تعمل في مجال الاستخبارات، بتقديم خدمات واسعة لقوات الأمن السعودية، تتمثل في رصد «إرهابيين مفترضين» عبر مواقع شبكات التواصل الاجتماعي.

ثانياً: «نيوم» وفرص الشركات الاستثمارية الإسرائيلية

وفقًا لتقرير لرويترز نُشر في عام 2017، عملت الحكومة السعودية والشركات الإسرائيلية في سرية تامة. وتم الاتفاق على أنه «لا يمكن لأي شركة إسرائيلية الإعلان عن

5 ـ هآرتس: صفقة "تعاون استخباراتي" ضخمة بين إسرائيل والإمارات، موقع وكالة الأناضول التركية بالعربي، 20 آب 2020. https://www.aa.com.tr/ar

6- Can MBS's Neom translate into the Saudis forging ties with Israel? TRT World Website, 17 Augast 2017. www.trtworld.com.

تفاصيل الاتصال بالصندوق السعودي (لمدينة نيوم الحصّة الأكبر فيه)، الذي يمتلك أصولًا تحت الإدارة تبلغ قيمتها 230 مليار دولار، قد تستثمر جميعها في المشروع.

وفي الإطار ذاته، كشف تحقيق في صحيفة جيروزاليم بوست، في 25 تشرين الأول 2017 ، أن السعوديين كانوا مترددين في «التعاون مع الإسرائيليين بشكل رسمي». ولكن عندما يتعلق الأمر بشركات رأس المال الاستثماري القادمة من القطاع الخاص ، كانوا حريصين على العمل معهم من أجل «خلق جميع أنواع التعاون، لا سيما في قطاعات: المياه والطاقة والتكنولوجيا الزراعية وتكنولوجيا الغذاء»[7].

كما ذكرت الصحيفة أن « عدداً من الشركات الإسرائيلية يتحدث مع صندوق الاستثمارات العامة في السعودية حول تطوير 26500 كيلومتر مربع من «المدينة الذكية».

كما أفادت صحيفة «واشنطن بوست» عن «مراسلات بين دبلوماسيين عرب ورجال أعمال إسرائيليين، تؤكد أن المحادثات جارية حول التعاون الاقتصادي ، وأن عددًا من الشركات الإسرائيلية تبيع بالفعل أدوات الأمن السيبراني للحكومة السعودية».

ويجاهر القادة الصهاينة، بثقة مفرطة،أن الاستعانة بخدماتهم التكنولوجية في مشروع نيوم يعدّ من مقوّمات نجاحه. ففي كلمة لها أمام مؤتمر JOURNEY السنوي للأعمال في تل أبيب، في تشرين الأول 2017 ، تحدثت عضو الكنيست السابق عن حزب العمل، ومؤسّسة صندوق رأس المال الاستثماري في JVP ، إيريل مارغاليت ، عن الفرص الاقتصادية لإسرائيل في مشروع المدينة الذكية.

وأضافت مارغاليت ، التي زارت في وقت سابق من نفس العام عددًا من دول الخليج لمناقشة التعاون الاقتصادي مع الدولة اليهودية: «حقيقة أن [الأمير بن] سلمان جاء بهذا الإعلان للدعوة إلى التعاون على المستوى الإقليمي ... إنه يمنح الإسرائيليين فرصة للتحدث باسم التعاون الاقتصادي الإقليمي من خلال مفهوم الابتكار حيث سيكون هذا أكبر دافع للتغيير في المنطقة».

وتحدثت مارغاليت أيضًا عن مشاريع البنية التحتية المشتركة المقترحة بين إسرائيل

7 ـ ما علاقة الشركات الإسرائيلية بمشروع "نيوم" السعودي؟ جريدة العربي الجديد، 31 تشرين الأول 2017.

والأردن ومصر والمملكة السعودية ، وتحديداً بناء مطار يضم أربع محطات ، مما يسمح للركاب بالنزول والسفر إلى أيٍ من الدول الأربع»[8].

تقود هذه المخططات إلى نتيجة واحدة، وهي أن «نيوم» بالنسبة لإسرائيل هي أكبر من مجرد صفقات مالية وعلاقات تجارية وسلام اقتصادي؛ بل هي مصلحة إسرائيلية استراتيجية، لتكون بمثابة أول «مستعمرة إسرائيلية» في قلب العالم العربي، وفي أكثر الأماكن المقدسة للمسلمين.

وفي هذا السياق، لفت تقرير نشره موقع TRTWORLD،في 17 آب 2020، إلى حساب تم التحقق منه على تويتر (في حزيران 2010) تابع للسفارة السعودية في واشنطن، قال في تغريدة إن «مجلس الوزراء السعودي وافق على تجنيد شركة الأمن السيبراني الإسرائيلية Check Point Software في نيوم؛ لكن ما لبث أن حذفت السفارة التغريدة.

وبناءً على هذه الوقائع والمعطيات، فإن«إسرائيل» ستكون حاضرة بقوة على المستوى الاستراتيجي في مشروع «نيوم»، والمقدّرة تكلفته بحوالي 500 مليار دولار؛ وهو يعدّ خطوة إضافية نحو المستقبل الإسرائيلي الذي بدأ يتكون مدفوعاً بالتطبيع المتسارع، مما سيتفح آفاقاً وأبواباً لتل أبيب في تلك المنطقة، وسيعزّز مكانة «إسرائيل» ونفوذها، ويجعلها متسيّدةً بكل معنى الكلمة، وفق معادلة «رابح رابح» على كافة المستويات.

ثالثاً : التغلغل الإسرائيلي المستقبلي بمدينة نيوم

إن حجم الاستثمارات الإسرائيلية التكنولوجية (الذكية)، التي تهيئ لها تل أبيب في البنى التحتية للمشروع المذكور، والمفتوح كما هو ظاهر على مصراعيه أمام الشركات الإسرائيلية الرائدة والمتفوقة عالمياً على الصعيد الرقمي، سيتيح لها السيطرة والتحكم بمفاصل هذه المدينة، كون جميع المعلومات ستصب في نهاية المطاف في قاعدة بيانات تُدار من قلب «إسرائيل»؛ وبالتالي سيمنحها نفوذاً استخباراتياً وأمنياً هائلاً؛ مضافاً إلى العنصر البشري الإسرائيلي (الخبراء والمهندسون والاستشاريون) الذين ستوكل إليهم بحكم وظائفهم إدارة المرافق الحيوية (الذكية) للمدينة، مما سيضخّم الحضور الإسرائيلي

8 ـ المرجع ذاته.

فيها تباعاً، وفقاً لمسار التحالف السعودي ـ الإسرائيلي الذي بات إعلانه مسألة وقت[9].

أما اقتصادياً، فإن القرب الجغرافي «لنيوم» من مدينة إيلات التي تحدّها من جهة الشمال، ستستغلّه إسرائيل لمصلحتها إلى أبعد الحدود؛ وهو ما هيّأت له عبر خطط الحكومة الإسرائيلية لربط إيلات على البحر الأحمر بعدة مدن ساحلية مطلة على البحر المتوسط، من بينها تل أبيب وحيفا وأشدود ومدن عربية لنقل الركاب والبضائع، ليكون بديلاً ومنافساً قوياً لقناة السويس. كذلك، قامت «إسرائيل» بأكبر تطوير في قطاع النقل، وهو ما ترجم بالفعل في إنشاء ميناء إيلات التجاري، وتحديث ميناء أشدود وعسقلان. كما تعتزم إسرائيل إنشاء مطار دولي على طراز عالمي في إيلات ليخدم المنطقة، لتكون على غرار مدينة شرم الشيخ[10].

وهنا لا يحتاج الأمر إلى تحليل معمّق للخروج بنتيجة مفادها أنّ هذه المشاريع والمخططات الإسرائيلية ستكون مكمّلة «لنيوم»، إذ ستكون المنافع مشتركة نظراً لقربها من الأسواق العالمية ووقوعها على تخوم مسارات التجارة الدولية التي ستستقطبها تل أبيب وتقبض على مفاتيح مدينة «نيوم».

كما أن الموقع الجغرافي لنيوم، التي تمتد على مساحة 26.5 ألف كلم، بين السعودية والأردن ومصر، وتمتعها بمناخ معتدل، سيجعل منها وجهة مفضّلة للسياح بديلًا عن تركيا التي تُعرف بشتائها البارد؛ وربما يحرم مصر، ذات المناخ الحار الجاف، من هذا المردود؛ فضلًا عن أنه سيقلّل من أهمية الموانئ المصرية مقارنة بميناء إيلات الفائق التطور.

رابعاً ـ تعثّر رؤية بن سلمان

فيما يتعلق بمشاريع «رؤية 2030»، تُظهر نتائج السنوات القليلة الماضية تقدماً بطيئاً في تنفيذ مشاريعها. ولا يعود ذلك إلى تراجع إيرادات الدولة مع استمرار انخفاض أسعار النفط وحسب، بل أيضاً إلى عزوف الاستثمارات الأجنبية عن الاستثمار المباشر في المملكة.

9 - Max Schindler Israeli companies talking to Saudi Arabia about $500b. ‘Smart City, Journalism Post News Paper Wwbsite, , 25 October 2017. www.jpost.com
10- Ibid

تكمن المشكلة في أن تنفيذ مشاريع الرؤية يحتاج إلى رؤوس أموال وخبرات أجنبية لا توفر السوق السعودية عناصر الجذب الكافية لها. ويعكس الأداء الضعيف والفشل في تنفيذ مشاريع الرؤية والإنفاق العام تراجع معدّل النمو الاقتصادي الفعلي إلى ما دون 1 بالمائة، خلال السنوات الثلاث الماضية؛ إضافة إلى استمرار ارتفاع معدّل البطالة الرسمي إلى أكثر من 12 بالمائة، في حين أن المعدّل الفعلي أكثر من ذلك بكثير، وخاصة في صفوف الشباب[11].

وعلى ضوء هذه النتائج غير المرضية، ذكرت وكالة «بلومبيرغ» للأنباء أن «ولي العهد محمد بن سلمان غير راضٍ عن سير عملية تنفيد مشاريع الرؤية، وأن هناك حاجة لإعادة النظر فيها». ويدلّ على عدم الرضى قول وزير المالية السعودي محمد الجدعان، في تصريح للوكالة بأن «مراجعة الخطة تجري كل عام بناءً على المعطيات المستجدة». ومن تبعات ذلك خفض البرامج والمشاريع ودمجها أو تعديلها، إضافة إلى استبدال مجالس إدارتها. وهذا ما حصل مؤخراً في «شركة القدية للاستثمار»، حيث تأخر إنجاز مشاريعها السياحية غرب العاصمة الرياض؛ وهو الأمر الذي دفع بن سلمان إلى التدخل شخصياً من أجل «تصحيح الوضع»، حسب مصادر إعلامية مقرّبة من الحكومة السعودية، ومن بينها صحيفة «سبق».

تلقّت السعودية منذ إطلاق الرؤية ضربات قوية زعزعت الثقة بمستقبل الاستثمار فيها. وتمثل أبرزها أخيراً في الهجمات التي تعرضت لها شركة أرامكو النفطية في أيلول 2019، والتي أدّت خلال دقائق إلى تعطيل نصف الإنتاج النفطي السعودي.

وقبل ذلك، تسببت جريمة اغتيال الصحفي السعودي خاشقجي بطريقة مروعة، بجعل صورة السعودية أكثر سوداوية وقتامة، لاسيما في عالمي السياسة والاقتصاد. وبما أن تنفيذ مشاريع الرؤية الطموحة يعتمد على الاستثمارات والخبرات الأجنبية بشكل كبير، فقد

11 ـ السعودية أمام عجز الموازنة وتأخر المشاريع الطموحة، موقع دويتشه فيلليه الالماني العربي، 15 كانون الأول 2019. www.dw.com/ar

أصبح من غير الواقعي المراهنة على «رؤية 2030» بالشكل الذي تم فيه الإعلان عنها[12].

وقد أدّى القمع السياسي لبن سلمان، إلى جانب قتله لجمال خاشقجي، إلى حدوث توتر عدد كبير وسط نخبة رجال الأعمال في نيويورك، وأكبر أباطرة هوليوود، وروّاد الأعمال في مجال التكنولوجيا في وادي السيليكون، الذين كانوا استقبلوه سابقاً في واشنطن العاصمة في العام 2018 ، باعتباره مصلحًا شابًا يتوق إلى التعاون مع أمريكا لتحويل مملكته المتخلفة إلى دولة حديثة.

لكنه بعد عام، لم يجرؤ على القدوم إلى أمريكا، ثم انسحب أباطرة هوليوود، مثل أرييل إيمانويل، من خطط الاستثمار في السعودية. أنهى إيمانويل استثمار شركته المخطط له بقيمة 400 مليون دولار في المملكة، في أوائل آذار 2019، على الرغم من استمرار الأمريكيين الآخرين بهدوء في اغتنام الفرصة لكسب المال في السعودية[13].

الاستنتاجات

إن ما نشهده من مخاض لولادة العلاقات السعودية ـ الإسرائيلية ما هو إلاّ تطبيق حرفي لنص وثيقة إسرائيلية أُقرّت في «مؤتمر هرتسيليا « 2014 ، وأعدّها طاقم من كبار الباحثين الإسرائيليين في مجال قضايا الأمن القومي. وهي أوصت بتعزيز علاقات إسرائيل الإقليمية الحالية بأكبر قدر ممكن، من خلال إقامة علاقات رسمية أو غير رسمية مع دول الخليج، وعلى رأسها السعودية باعتبارها ركيزة أساسية في توجه إسرائيل نحو الدول العربية لتشكيل مجال استراتيجي مشترك».

الجدير بالذكر أن بناء هذه المدينة سيتم على حساب حقوق أبناء القبائل التي سكنت المنطقة منذ أكثر من 800 عام، إذ تسعى الحكومة السعودية إلى نقل أكثر من 30 ألف شخص من قبيلة الحويطة لبناء مشروع نيوم الجديد؛ وهو ما يخشاه سكان المنطقة، مُعتبرين التهجير بمثابة «تقطيع لأوصال مجتمع كامل».

12- Herzliya Conference outlines Israeli concerns The Middle East Monitor (MEMO) Website , 24 January 2014. https://www.middleeastmonitor.com.

13-ـ Zachary Baus, The companies who have backed away from Saudi business over Khashoggi,Axios Website 23 JANUARY 2018. https://www.axios.com.

يحلم بن سلمان بجعل بلاده مركزاً للتكنولوجية المتقدمة في الشرق الأوسط. وهو يأمل أن فتح أبواب «نيوم» أمام الشركات الإسرائيلية سيزيد من فرص نجاحها بشكل كبير، حيث سيحظى عندها بدعم أميركي . غير أن الرياح لا تجري دائماً بما تشتهيه السفن. فبعد حوالي خمس سنوات، يجد بن سلمان نفسه أمام ما يشبه أضغاث أحلام، حيث انقلبت الأوضاع رأساً على عقب؛ فبدلاً من بناء اقتصاد رقمي كما كان مخططاً، وجد بن سلمان نفسه أمام خلل تاريخي في الميزانية العامة، بعد الانهيار غير المسبوق لأسعار النفط في سياق انتشار جائحة كورونا المستجد، إضافة إلى عدد من التحديات الداخلية التي لها علاقة بشرعية الحكم وبتوافقات الأسرة الحاكمة، والغضب الدولي المتزايد من حرب اليمن.

وفي هذا الإطار، رأى خبراء ألمان أن «الأوضاع المالية الصعبة للمملكة، والانتهاكات الممنهجة لحقوق الإنسان فيها، والاحتقان داخل الأسرة الحاكمة، تجعل «رؤية 2030» بن سلمان تبدو كسراب في الصحراء».

الجنائية الدولية بعد إعلان اختصاصها الإقليمي في أراضي الـ67: بين مواقف الأطراف وتداعيات القرار

براءة درزي*

أصدرت الدائرة التّمهيدية في المحكمة الجنائية الدولية، في 2021/2/5، قرارًا بالأغلبية يقضي بأنّ الاختصاص الإقليمي للمحكمة بالنسبة إلى الحالة في فلسطين، التي هي دولة طرف في نظام روما الأساسي، هو اختصاص يشمل الأراضي التي تحتلّها «إسرائيل» منذ عام 1967، تحديدًا غزة والضفة الغربية، بما في ذلك الشطر الشرقي من القدس[1].

وقد نظر ثلاثة قضاة في الدّائرة التمهيدية في الولاية القانونية للمحكمة على الأراضي الفلسطينية؛ اثنان مؤيّدان هما قاضٍ فرنسي، وآخر من دولة بنين غرب أفريقيا، فيما صوّت القاضي الثالث، وهو من هنغاريا، ضدّ القرار.

وجاء القرار استجابة لطلب قدّمه مكتب المدّعية العامة فاتو بنسودا للمحكمة الجنائية الدولية إلى الدائرة، في 2020/1/22، لإصدار قرار يتعلق بنطاق الاختصاص الإقليمي للمحكمة بالنسبة إلى الحالة في دولة فلسطين[2]. وكانت بنسودا أعلنت في 2019/12/20

* باحثة في الشأن الفلسطيني.

1- للاطلاع على بيان المحكمة في 5/2/2021:
https://www.icc-cpi.int/Pages/item.aspx?name=pr1566
بيان المحكمة بالعربية، 9/2/2021:
https://www.icc-cpi.int/Pages/item.aspx?name=pr1566&ln=Arabic

2- موقع المحكمة الجنائية الدولية، 22/1/2020.
https://www.icc-cpi.int/Pages/record.aspx?docNo=ICC-01/18-12

انتهاء الدراسة الأوليّة للحالة في فلسطين، حيث خلصت إلى استيفاء جميع الشروط الميثاقية لفتح تحقيق طبقًا لنظام روما الأساسي[3]، وقالت حينذاك إنّ لديها قناعة بأن هناك أساسًا معقولاً للمضي قدمًا في التحقيق بشأن الوضع في فلسطين، وللتأكيد أن جرائم حرب قد ارتكبت أو يتمّ ارتكابها في الضفة الغربية، بما في ذلك شرق القدس، وقطاع غزة[4].

وأكّدت الدائرة أنّ قرارها يقتصر على تحديد نطاق اختصاصها الإقليمي من دون أن يعني ذلك أنّ لها الأهلية الميثاقية للفصل في المسائل المتعلّقة بقيام دولة ما بشكلٍ مُلزِم للمجتمع الدولي. وعليه، فهي لا تفصل في تنازعٍ حول الحدود تحت طائلة القانون الدولي ولا تستبق الحكم حول مآل تلك الحدود.

الموقف الفلسطيني

رحّبت السلطة الفلسطينية بالقرار الذي رأى فيه رئيس الوزراء الفلسطيني، محمد اشتية، «انتصارًا للعدالة وللإنسانية، ولقيم الحقّ والعدل والحرية، وإنصافًا لدماء الضحايا ولذويهم». وقال اشتيّة إن القرار «رسالة لمرتكبي الجرائم، أن جرائمهم لن تسقط بالتقادم، وأنهم لن يفلتوا من العقاب»، وهو «انتصار للمحكمة نفسها التي أفشلت محاولات إسرائيل إضفاء الطابع السياسي على مداولاتها»[5].

وقال رئيس المجلس الوطني الفلسطيني، سليم الزعنون، إن «القرار يفتح الباب أمام المحكمة الجنائية الدولية، للشروع في إجراءات مساءلة «إسرائيل» وقادتها المسؤولين عن ارتكاب جرائم ضد شعبنا الفلسطيني وأرضه»؛ وأشار إلى أن «قرارات المحكمة واجبة التنفيذ من قبل الدول الأعضاء الأطراف في نظام روما المؤسس للمحكمة الجنائية»، مضيفًا أنّ «قرار المحكمة جاء رغم الضغوط التي مورست عليها لثنيها عن ذلك، الأمر الذي يمكّنها من البدء في فتح تحقيقات بالدعوى المقدّمة من قبل دولة فلسطين ضد إسرائيل»[6].

3- موقع المحكمة الجنائية الدولية، 20/12/2019 . https://bit.ly/3ttCPA7
4- موقع أخبار الأمم المتحدة، 10/12/2019 . https://news.un.org/ar/story/2019/12/1045971
5- حساب رئيس مجلس الوزراء على فيسبوك، 5/2/2021. https://bit.ly/3bPkQy7
6- شبكة قدس الإخبارية، 6/2/2021 . https://qudsn.net/post/182147

كما أشادت الفصائل بالقرار؛ فقالت حركة فتح في بيان إنّ القرار «ما كان ليأتي لولا صمود شعبنا البطولي وإصرار قيادته للوصول لهذه اللحظة التاريخية»، وقد «آن الأوان لأن يدفع مجرمو الحرب الإسرائيليون ثمن جرائمهم التي ارتكبوها بحق الشعب الفلسطيني، وأنّ هذه الجرائم لن تسقط بالتقادم مهما طال الزمن أو قصر»[7].

وقالت حركة حماس إنّ «أيّ قرارٍ ذي طابع قانوني دولي، يؤدي إلى دعم حقوق الشعب الفلسطيني والدفاع عن حريته وتوفير العدالة له، قرار مناسب يتماشى مع القيم الإنسانية ومواثيق حقوق الإنسان، ومبدأ حماية المدنيين تحت الاحتلال ومحاكمة مجرمي الحرب». وأشارت إلى أنّ «الكيان الصهيوني وقادته مارسوا الإرهاب المنظّم ضد الشعب الفلسطيني، وسلبوا حقه وارتكبوا أبشع الجرائم، ووجدوا في الصمت الدولي أحيانًا كثيرة، مبررًا للاستمرار في ممارساتهم الإجرامية ضد الفلسطينيين»[8].

أمّا حركة الجهاد، فأشارت إلى أنّ «القرار جيّد إذا ما جرى تطبيقه وإذا ما جرى بالفعل ملاحقة قادة الاحتلال على جرائمهم». أمّا «إذا استخدم القرار أو حُوّر لملاحقة المقاومة، فيجب أن يعلم الجميع أن المقاومة تقوم بدورها وواجبها وفق القانون والأعراف الدولية»[9].

وكان رئيس سجلّ المحكمة الجنائية الدولية تلقّى، في 2015/1/1، إعلانًا أودعته الحكومة الفلسطينية وفقًا للمادة 12 فقرة 3 من نظام روما الأساسي، بقبول اختصاص المحكمة بدءًا من 2014/6/13 [10]؛ ثم صدر مرسوم رئاسي بتشكيل اللجنة الوطنية العليا المسؤولة عن المتابعة مع المحكمة الجنائية الدولية، وتجهيز الملفات والتشاور مع الخبراء والتنسيق مع المجتمع المدني[11].

وقد بدأت المدّعية العامة للمحكمة فحصًا تمهيديًا للوضع في فلسطين في 2015/1/16 [12].

7- القدس العربي، 7/2/2021 . https://www.alquds.co.uk/?p=2621164
8- المركز الفلسطيني للإعلام، 5/2/2021 . https://palinfo.com/287303
9- موقع العهد الإخباري، 6/2/2021 . https://bit.ly/3aU7SgV
10- موقع المحكمة الجنائية الدولية، 5/1/2015 . https://bit.ly/397RBVN
11- الأيام، 8/2/2015 . https://bit.ly/3tJ6F4R
12- موقع المحكمة الجنائية الدولية، 16/1/2015 . https://bit.ly/395ysU7

وفي أيار/مايو 2018، طلبت فلسطين رسميًا من مكتب الادعاء في المحكمة الجنائية الدولية الشروع في التحقيق في مزاعم ارتكاب جرائم خطيرة على أراضيها وأكدت التزامها بالتعاون مع المحكمة[13]، مع الإشارة إلى أنّ فلسطين كانت أودعت في كانون ثان/يناير 2009، إعلانًا رسميًا لدى مكتب المدّعي العام طلب وزير العدل في حينها إجراء تحقيق في جرائم الاحتلال في الحرب على غزة؛ لكنّ المدّعي العام لويس مورينو أوكامبو أبطأ العملية، عبر إثارة جدل غير ضروري حول وضع فلسطين كدولة في القانون الدولي[14].

الموقف الإسرائيلي

وصف رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو قرار الغرفة الابتدائية أنه سياسي وليس قضائيًا، ودعا إلى عقد المجلس الوزاري المصغّر للتداول حول سبل مواجهته. وقال إنّ تحقيق المحكمة الجنائية الدولية في «ارتكاب إسرائيل جرائم وهمية معادٍ للسامية تمامًا». وأشار إلى أنّ «المحكمة التي شُكلت لمنع وقوع فظائع مثل الهولوكوست النازي ضد الشعب اليهودي تستهدف الآن الدولة الوحيدة للشعب اليهودي» ،وأنّ المحكمة «تزعم بشكل شائن أنه عندما يعيش اليهود في وطننا هذه هي جريمة حرب»[15].

وزعم نتنياهو أنّ «القرار يمسّ بحق الدول الديموقراطية في الدفاع عن نفسها من الإرهاب، ويخدم من جهة ثانية الجهات التي تعمل على تقويض الجهود الرامية إلى توسيع رقعة السلام». وفي إشارة منه إلى تمسّك حكومته بالنهج الذي درجت عليه من ارتكاب الجرائم والإفلات من العقاب، قال نتنياهو إنّ «إسرائيل ستواصل محاربة الإرهاب وحماية مواطنيها وجنودها من الملاحقة القضائية».

وقال المستشار القضائي لحكومة الاحتلال أفيخاي مندلبليت إنّه لا يرى خطرًا مباشرًا

13- الطلب المقدم من دولة فلسطين إلى المحكمة، 15/5/2018 . https://bit.ly/2NKR6cB
14- شبكة السياسات الفلسطينية، 1/4/2015 . https://bit.ly/2ZvUsmh
15- بيان رئيس حكومة الاحتلال حول قرار المحكمة الجنائية، 6/2/2021
https://www.youtube.com/watch?v=8MFg1xxeidc

على أي إسرائيلي نتيجة للقرار، وإنّ العمل جارٍ على إجراء الاستعدادات اللازمة في حال فتح تحقيق. وأضاف: «أنشئت المحكمة لمحاربة الفظائع، وثمة فظائع كثيرة في العالم، لكنّ دولة إسرائيل لا ترتكب فظائع»[16].

ونقل موقع أكسيوس عن مسؤولَين إسرائيليين قولهما إنّ دولة الاحتلال تنوي التوجه إلى عشرات الدول في العالم، ومطالبتها بتوجيه رسالة سرية إلى المدّعية العامة في المحكمة الجنائية الدولية فاتو بنسودا، لمطالبتها بعدم المضي قدمًا بفتح التحقيق ضد «إسرائيل»[17]. وبحسب الموقع، وجّهت خارجية الاحتلال رسالة سرية إلى عشرات السفراء الإسرائيليين حول العالم تتضمن تعليمات لهم بأن يبدأوا التواصل مع حكومات الدول حيث هم معيّنون، وأن يطلبوا إلى وزراء خارجية هذه الدول إصدار بيانات ضدّ القرار.

ووفق الصحفي الإسرائيلي غال برغر، فإنّ «القراءة الإسرائيلية لقرار المحكمة الجنائية الدولية تعني احتمال حدوث زلزال سياسي فيها، لأنّه من المفترض أن تحقّق المحكمة في جرائم الحرب التي ارتكبتها في حرب غزة الأخيرة 2014الجرف الصامد» ، ومشاريع البناء في المستوطنات التي تُعرّف بأنها «جريمة حرب» في دستور المحكمة، ولديها سلطة إصدار أوامر اعتقال في الخارج ضد المسؤولين الإسرائيليين، من المستويات السياسية والعسكرية العليا». وقال برغر إنّ «التهديد المحتمل الذي سيحلّق فوق رؤوس كبار المسؤولين الإسرائيليين الذين سيزورون إحدى دول معاهدة روما البالغ عددها 122 دولة، هو بالضبط الرادع الذي أراد الفلسطينيون تحقيقه، حتى لو لم يكن في المدى القريب، أو على الأقل غرس شعور بالخوف في نفوسهم، بعدم التجوّل بسهولة خارج إسرائيل. وحتى لو أثبتت أنها حقّقت في الجرائم المنسوبة إليها بطريقة ترضي المحكمة، وتتجاهل التحقيق الدولي، فإنها ستواجه صعوبة في مواجهة تحدّي القرار الجديد»[18].

ويمكن الإشارة هنا إلى أنّ دولة الاحتلال عمدت، في وقت سابق على صدور قرار

16- موقع i24، 9/2/2021 https://bit.ly/2LPG05e
17- أكسيوس، 7/2/2021 . https://bit.ly/3qeErN1
18- عربي 21، 7/2/2021 . https://arb.im/1334079 (مترجم عن هيئة البث الإذاعي والتلفزيوني - كان، 6/2/2021). https://www.kan.org.il/Item/?itemId=99815

الغرفة الابتدائية، إلى إعداد قائمة تضمّ ما بين 200 و300 اسم لمسؤولين إسرائيليين، من المحتمل أن يتعرضوا للاعتقال في الخارج في حال فتحت المحكمة التحقيق بخصوص جرائم حرب في الأراضي الفلسطينية المحتلة. ومن بين الأسماء بنيامين نتنياهو وموشيه يعلون وأفيغدور ليبرمان، ونفتالي بينت، إضافة إلى بيني غانتس وغادي إيزنكوت[19].

ووفق إعلام الاحتلال، أوصت اللجنة الوزارية الخاصة بالمحكمة الجنائية، التي يقودها الوزير السابق زئيف إلكين، بالرد على قرار الاختصاص الإقليمي بجملة من الخطوات، التي تشمل فرض عقوبات على مسؤولين في السلطة الفلسطينية، من بينها منعهم من السفر بذريعة أنّ الفلسطينيين يهدّدون المسؤولين السياسيين والعسكريين الإسرائيليين بالحدّ من حريّة حركتهم عبر أوامر اعتقال قد تصدرها المحكمة. ومن التوصيات الأخرى اتهام مسؤولين فلسطينيين بالتحريض على الإرهاب، واتهام مسؤول فلسطيني في كل مرّة يُتّهم فيها مسؤول إسرائيلي بارتكاب جرائم حرب. إضافة إلى ذلك، أوصى إلكين بالبناء في مستوطنات الضفة في مقابل كل خطوة «عدائية» تقوم بها السلطة الفلسطينية[20].

كذلك، تقدّمت منظمة «شورات هدين» بمشروع قانون يحظر تقديم أيّ معلومات للمحكمة أو التعاون معها، ويعاقب من ينتهك القانون بالسجن حتى 5 سنوات. ويشمل مشروع القانون حظر تسليم شخصيات إسرائيلية للمحكمة وتمويل نفقات الدفاع القانوني أمامها، وفرض عقوبات ضدها وضدّ من يعملون لمصلحتها، في محاولة لحماية جنود وكبار قادة جيش الاحتلال ومسؤولين إسرائيليين قد تتم محاكمتهم في الخارج[21].

وكان المدّعي العام الإسرائيلي أصدر في 2020/12/20، مذكّرة تطعن في تفويض المحكمة[22]، فيما ذهب رئيس حكومة الاحتلال إلى حدّ الدعوة إلى فرض عقوبات على المحكمة ومسؤوليها[23].

19- هآرتس، 16/7/2020. https://bit.ly/3k0kyXW
20- جيروزاليم بوست، 13/2/2021 . https://bit.ly/3aZMruQ
21- موقع عروتس شيفع، 17/2/2021 . https://bit.ly/3vvBydN
22- مذكرة طعن صادرة عن المدعي العام الإسرائيلي، 20/12/2019 . https://bit.ly/3cZhYzI
23- وكالة الأناضول، 21/1/2020 . http://v.aa.com.tr/1709085

وترفض دولة الاحتلال أيّ تحقيق دولي في جرائمها، بل هي ترفض الإقرار بارتكاب جرائم؛ ففي تشرين ثان/نوفمبر 2014، أعلنت خارجية الاحتلال أنّ «إسرائيل» لن تشارك في أعمال اللجنة الدولية المعنية بالتحقيق في انتهاكات للقوانين الإنسانية أثناء الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة صيف ذاك العام. وقال الناطق باسم الوزارة إنّ الحكومة قرّرت مقاطعة التحقيق بسبب «هوس اللجنة بالعداء لإسرائيل وتصريحات رئيسها المعادية لإسرائيل وقادتها»[24].

وفي آذار/مارس 2012، قرّرت دولة الاحتلال مقاطعة مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، بعدما أعلن عزمه التحقيق في قضية المستوطنات الإسرائيلية وتأثيرها في الفلسطينيين، بذريعة تجاهل المجلس مواقف «إسرائيل» واتخاذ كلّ أنواع القرارات والإدانات ضدها[25]. والأمثلة المشابهة في هذا السياق أكثر من أن تحصر.

علاوة على ذلك، فقد عمدت دولة الاحتلال، في كانون ثانٍ/يناير 2015، إلى تجميد عائدات الضرائب التي تجبيها نيابة عن السلطة، بعد انضمام فلسطين إلى الجنائية الدولية وعدد من المنظمات الدوليّة. وفي محاولة لترهيب الفلسطينيين من الخطوة، قال مسؤول إسرائيلي إنّ دولة الاحتلال ستعمل على مقاضاة رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس ومسؤولين فلسطينيين آخرين في الولايات المتحدة وأماكن أخرى، بتهم ارتكاب جرائم حرب وإنّه على الزعماء الفلسطينيين الخوف من الخطوات القضائية بعد قرارهم توقيع نظام روما الأساسي[26].

الموقف الدولي

عدّ المقرّر الخاص المعني بحالة حقوق الإنسان في الأرض الفلسطينية المحتلة منذ عام 1967، مايكل لينك، قرار المحكمة الجنائية الدولية «خطوة مهمّة إلى الأمام في السعي لتحقيق العدالة والمساءلة»، مشيرًا إلى أنّ القرار «يعطي أملاً كبيرًا لأولئك الذين يعتقدون

24- روسيا اليوم، 13/11/2014 . https://ar.rt.com/ge0h
25- الجزيرة، 27/3/2012 . https://aja.me/9gupl
26- الجزيرة، 3/1/2015 . https://aja.me/m3f5d

أن العواقب يجب أن تكون الرد على ارتكاب الجرائم الجسيمة، وليس التغاضي عنها»[27].

على المستوى الأوروبي، قال بيتر ستانو، المتحدث باسم الاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية، إنّ المحكمة الجنائية والمدّعي العام مؤسسات مستقلة وغير متحيزة، ولا يسعيان إلى تحقيق أهداف سياسية. وقال إن الاتحاد الأوروبي داعم قوي للمحكمة ولاستقلاليتها، وهو يؤكد موقفه الراسخ الداعم لحلّ الدولتين على أساس المفاوضات وبالاعتماد على الأطر المتفق عليها دوليًا. ولتحقيق ذلك، فإنّ على الطرفين تجنب أيّ خطوات أحادية الجانب والتمسك بالقانون الدولي[28].

وفي 2021/2/9، شجب وزيرا خارجية ألمانيا وهنغاريا قرار المحكمة الجنائية. وقال وزير الخارجية الألماني إنّ المحكمة ليست ذات صلاحية لأن فلسطين ليست دولة[29]، فيما قال وزير الخارجية الهنغاري إنّ المجر لا تتفق مع القرار، وليس لفلسطين ولاية جرمية على المواطنين الإسرائيليين؛ وقد «كنّا دائمًا داعمين لحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، ونعتقد أن السلام في المنطقة لا يمكن تحقيقه إلا عبر المفاوضات القائمة على الاحترام المتبادل بين الجانبين»[30]، ولعلّ رفض القاضي الهنغاري في الدائرة التمهيدية للولاية القانونية كان تعبيرًا مبكرًا عن موقف هنغاريا المنحاز إلى دولة الاحتلال.

أستراليا، بدورها، هاجمت القرار. وعبّر بيان للخارجية في 2021/2/6، عن القلق منه، مضيفًا أنّ أستراليا لا تعترف بـ «دولة فلسطين». وعليه، فلا يحقّ للفلسطينيين الانضمام إلى نظام روما ولا يمكن للجنائية ممارسة أي صلاحيات في هذا الخصوص[31]. وكانت أستراليا قدّمت طلبًا إلى المحكمة عام 2020 بعدم التحقيق في «جرائم الحرب المزعومة» في فلسطين لأنّها ليست دولة؛ وقد رفضت المحكمة حينذاك الطلب الأسترالي[32].

27- قدس برس، 9/2/2021 . https://bit.ly/3cVYavG
28- EU reporter، 10/2/2021 . https://bit.ly/2MLig2M
29- حساب وزير خارجية ألمانيا على تويتر، 9/2/2021 . https://bit.ly/3c7zG3b
30- تايمز أوف إسرائيل، 10/2/2021 . https://bit.ly/3tNu9pv
31- موقع الخارجية الأسترالية، 6/2/2021 . https://bit.ly/2NA3RXe
32- الغارديان، 9/5/2020 . https://bit.ly/3b7qnyJ

وأعلنت واشنطن معارضتها القرار. وعبّر المتحدث باسم الخارجية الأمريكية، نيد برايس، عن اعتراض واشنطن على القرار وقلقها منه؛ وقال إنّ بلاده تبنّت دائمًا موقفًا مفاده أنّ «اختصاص المحكمة يجب أن يشمل حصرًا البلدان التي تقبله (الأعضاء فيها) أو (القضايا) التي يحيلها إليها مجلس الأمن الدولي»، مشيرًا إلى قلق الولايات المتحدة الشديد لمحاولات المحكمة الجنائية الدولية ممارسة اختصاصها على العسكريين الإسرائيليين»[33].

وكانت للإدارات الأمريكية السابقة تحرّكات لإحباط أي خطوة فلسطينية لا ترضى عنها دولة الاحتلال. فعندما وافقت اليونسكو عام 2011 على عضوية فلسطين، عمدت إدارة أوباما إلى قطع التمويل عن المنظمة[34] بذريعة قانونَين أمريكيين اعتمدا عامي 1990 و1994 ، وهما يحظران تمويل أي منظمة تابعة للأمم المتحدة في حال قبولها فلسطين دولة كاملة العضوية[35].

كذلك، أعلنت واشنطن انسحابها من مجلس حقوق الإنسان عام 2018 على خلفية اتهام إدارة الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، للمجلس بأنه ينتهج «الانحياز المعادي لإسرائيل وشنّ حملة ممنهجة ضدها»[36].

وفي أيلول/سبتمبر 2020، ذهبت إدارة ترامب إلى حدّ فرض عقوبات على بنسودا وموظف في المحكمة، على خلفية السماح بالتحقيق في جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية ارتكبها جنود أمريكيون في أفغانستان[37]. وكان مستشار الأمن القومي جون بولتون هدّد عام 2018 بمعاقبة القضاة العاملين في المحكمة إذا أصرّت المحكمة الجنائية على جهودها لمحاكمة جنود أمريكيين؛ وانتقد التحركات الفلسطينية لدفع المحكمة إلى فتح تحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان ارتكبها جنود الاحتلال في غزة والضفة، مشيرًا إلى أنّ بلاده ستقف دائمًا إلى جانب «صديقتها وحليفتها إسرائيل»[38].

33- موقع الخارجية الأمريكية، 5/2/2021 . https://bit.ly/3qkmOeP
34- الجزيرة، 31/10/2011 . https://aja.me/lzyld
35- انظر: https://bit.ly/3puKlbX
36- بي بي سي، 20/6/2018 . https://bbc.in/2NLo1Ol
37- The Hill، 2/9/2020 . https://bit.ly/3b5vaRg
38- الجزيرة، 10/9/2018 . https://aje.io/3y46x

ما هي الجرائم التي يمكن أن تحقّق بها المحكمة؟

تختصّ المحكمة الجنائية، وفق ما يحدّده نظام روما الأساسي، بالنظر في الجرائم الأكثر بشاعة، وهي جرائم الحرب، والجرائم ضدّ الإنسانية، والإبادة الجماعيّة، وجرائم العدوان. ويقوم اختصاصها على مبدأ التكامل القضائي، أي أنّها لا حقّ لها في ممارسة ولايتها القضائية إلا في حال فشل الأنظمة القضائية المحلّية في ممارسة ولايتها القضائية[39].

ووفق نظام روما الأساسي الضابط لعمل المحكمة الجنائية الدولية، لا تُقبل الدّعوى أمام المحكمة في حالات ثلاث: أن تكون السلطات الوطنية بصدد النّظر في الدعوى نفسها، أو إذا كانت السلطات الوطنية باشرت فعلاً في التحقيق بالدعوى واتخذت قرارًا بعدم المقاضاة، أو إذا جرت مقاضاة في الدعوى ذاتها على المستوى الوطني.

لكن يمكن المحكمة قبول الدعوى، حتى لو كانت السلطات الوطنية في صدد النظر فيها، في حالتين هما :عدم رغبة السلطات في القيام بإجراءات عادلة أو عدم قدرتها على ذلك؛ ومن دلالات عدم الرغبة وجود نيّة لحماية الجناة، أو تأخر الإجراءات من دون مبرّر، أو الافتقار إلى الاستقلال والنزاهة، أو عدم وجود نيّة حقيقية لتقديم الجناة إلى العدالة[40].

ووفقًا لنظام روما، تشمل الجرائم ضد الإنسانية السجن أو الحرمان الشديد على أي نحو آخر من الحرية البدنية بما يخالف القواعد الأساسية للقانون الدول، والتعذيب؛ ويعني التعذيب تعمّد إلحاق ألم شديد أو معاناة شديدة، سواء بدنيًا أو عقليًا، بشخص موجود تحت إشراف المتهم أو سيطرته[41]. ويدخل تحت عنوان جرائم الحرب الانتهاكات الجسيمة لاتفاقيات جنيف المؤرّخة 1949/8/12، ومن ضمنها القتل العمد، وإلحاق تدمير واسع النطاق بالممتلكات والاستيلاء عليها من دون أن تكون هناك ضرورة عسكرية؛ إضافة إلى الانتهاكات الأخرى للقانون الدولي، ومنها تعمّد شن هجوم، مع العلم بأن هذا الهجوم

39- للمزيد عن التكامل القضائي: المركز الدولي للعدالة الانتقالية: https://bit.ly/3qV62SW
40- البند الثاني من المادة 17 من قانون روما الأساسي: https://bit.ly/3tBhN2G
41- المادة 7 من قانون روما الأساسي.

سيسفر عن خسائر تبعية في الأرواح أو عن إصابات بين المدنيين أو عن إلحاق أضرار مدنية أو إحداث ضرر واسع النطاق وطويل الأجل وشديد للبيئة الطبيعية يكون إفراطه واضحًا بالقياس إلى مجمل المكاسب العسكرية المتوقعة الملموسة المباشرة، وقيام دولة الاحتلال، على نحو مباشر أو غير مباشر، بنقل أجزاء من سكانها المدنيين إلى الأرض التي تحتلّها[42]؛وهذا النقل للسكان هو عملية الاستيطان في الضفة الغربية،بما فيها شرق القدس.

على المستوى الفلسطيني، عُقد قرابة 100 اجتماع متعلّق بالمحكمة، وسلّم الفلسطينيون أكثر من 54 رسالةً وملفًا متعلقًا بالاستيطان، والأسرى، والعدوان على غزة عام 2014 وإرهاب المستوطنين، ومن بينها جريمة إحراق مستوطنين عائلة دوابشة في نابلس التي أدّت إلى قتل الرضيع علي[43]. وفي تعليق على الإحالة التي تلقّتها المدّعية العامة من فلسطين بتاريخ 2018/5/22، قالت بنسودا إنّ دولة فلسطين «تطلب من المدّعية العامة إجراء تحقيق، وفقًا للاختصاص الزمني للمحكمة، في الجرائم المرتكبة في الماضي والحاضر والتي ستُرتكب في المستقبل، في جميع أنحاء إقليم دولة فلسطين»[44]. ووفق بيان للخارجية الفلسطينية، شملت الإحالة جرائم الحرب السابقة والحالية والمستقبلية والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبتها دولة الاحتلال بحقّ الشعب الفلسطيني وأرضه،بما فيها الأنشطة الاستيطانية غير الشرعية، والتهجير القسري، ومواصلة هدم المنازل والبنى التحتية للدولة الفلسطينية، والقتل المتعمد للمتظاهرين الفلسطينيين العزّل، والاعتقال التعسفي، وممارسة أبشع أساليب التّعذيب بحق الأسرى الفلسطينيين[45].

على المستوى الإسرائيلي، وفي الوقت الذي ترفض فيه دولة الاحتلال أيّ تحقيق من الجنائية الدولية، فقد بدأت، بعدما تبيّن لها أنّ المحكمة على خطّ التجاوب مع الطلب الفلسطيني، ما يمكن وصفه بالتّحقيقات الصورية في ما خصّ العدوان على غزة عام

42- المادة 8 من قانون روما الأساسي.
43- العربي الجديد، 6/2/2021 . https://bit.ly/2NA0bEz
44- بيان المدعية العامة للمحكمة الجنائية الدولية بشأن الإحالة المقدمة من فلسطين، 22/5/2018 https://bit.ly/3rgGRL3
45- الجزيرة، 23/5/2018 . https://aja.me/bwe93

2014 الذي قتلت فيه ما يزيد على 1500 فلسطيني ودمّرت بنى تحتية ومستشفيات ومراكز صحية ووحدات سكنية يعيش فيها قرابة 100 ألف فلسطيني[46]. ولم يكن الأمر مختلفًا بالنسبة إلى التحقيقات في جرائم قتل الفلسطينيين في مسيرات العودة؛ ففي 2019/5/16، أقفل الاحتلال التحقيق في جريمة قتل الفلسطيني المقعد إبراهيم أبو ثريا لدى مشاركته في مسيرات العودة في 2017/12/15 من دون توجيه أيّ تهم، بذريعة عدم وجود دليل أنّ جيش الاحتلال قتله[47]. وفي تشرين أول/أكتوبر 2019، أصدر الجيش حكمًا على جندي إسرائيلي، كان قد قتل الطفل الفلسطيني عثمان حلس في أثناء مشاركته في مسيرات العودة في غزّة في يوليو/تموز 2018، قضى بأدائه خدمة مجتمعية، وتنزيل رتبته بسبب «تعريض حياة إنسان للخطر بمخالفة الأوامر»، والذريعة عدم وجود دليل على أنّ فعل الجندي سبّب الوفاة[48].

وكانت الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان أشارت في تقرير لها عام 2011 إلى أن تقرير بعثة الأمم المتحدة لتقصّي الحقائق بشأن العدوان على غزة أظهر أن جميع التحقيقات التي أجريت في دولة الاحتلال كانت في إطار النظام العسكري الذي أثبت أنه ليس مستقلاً أو محايدًا؛ وعليه، فقد أدّى إلى الحماية الفعالة للمسؤولين السياسيين والعسكريين الإسرائيليين من الملاحقات القضائية[49]. وهو الأمر الذي ينطبق على التحقيقات المشار إليها أعلاه، والتي تتظاهر دولة الاحتلال أنّها تتحرّى الشفافية وتهدف إلى المساءلة والمحاسبة[50].

إضافة إلى هذه التحقيقات التي تهدف إلى منع المحكمة من التحقيق في جرائم الاحتلال في غزة عملاً بمبدأ التكامل، وسّعت دولة الاحتلال، في أواخر عام 2019، صلاحية المستشار القضائي للحكومة، وقالت صحيفة «هآرتس» إنّ التعديلات تجيز

46- هيومن رايتس ووتش، التقرير العالمي 2015: إسرائيل/فلسطين؛ أحداث عام 2014. https://bit.ly/3rYtu2y

47- ميدل إيست مونيتور، 20/5/2019 . https://bit.ly/3qrJEBk

48- هآرتس، 30/10/2019 . https://bit.ly/2LYSM1m

49- الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان، 26/9/2011 . https://bit.ly/2ZkPvwm

50- شبكة الدراسات الفلسطينية، 27/8/2020 . https://bit.ly/3b9imsT

للمستشار فحص قرارات المدّعي العسكري العام للجيش وإعادة النظر فيها، إذا ما قرّر الأخير عدم فتح تحقيق جنائي في شكاوى فلسطينية وحقوقية حول خرق قوانين الحرب الدولية؛ ويعطي التعديل المستشار القضائي صلاحية نقض قرارات تتعلق بالتسبب بإصابات بالغة، وحالات لها أهمية بالنسبة إلى الرأي العام، وحالات استهداف مواقع مدنية محميّة، مثل المساجد والمستشفيات ومقارّ للإغاثة الإنسانية. ونقلت الصحيفة عن جهات قانونية إسرائيلية قولها إن التعديل سيعزّز من الادعاء الإسرائيلي بأن التحقيقات التي تجريها «إسرائيل» تستوفي المعايير الدولية؛ ومن شأن ذلك مساعدة الحكومة على الطعن في صلاحية المحكمة الجنائية الدولية للنظر في جرائم الحرب، بما فيها جرائم الاحتلال في أثناء العدوان على غزة عام 2014، وفي مسيرات العودة الأسبوعية عام 2018 [51].

ما هي التداعيات المحتملة للقرار؟

قالت مؤسسة «العدالة الواحدة»[52] إن قرار الدائرة التمهيدية الأولى للمحكمة الجنائية الدولية بشأن الاختصاص الإقليمي للمحكمة في الأراضي الفلسطينية التي تحتلّها «إسرائيل» منذ عام 1967 يمهّد للتحقيق بشأن انتهاكات الاحتلال. ولفتت إلى أنّ القرار ينطوي على أهمّية بالغة، كونه يسمح للمدّعية العامّة بفتح تحقيق بشأن انتهاكات القانون الدولي التي ترتكبها سلطات الاحتلال، ومساءلة المسؤولين الإسرائيليّين المتورّطين.

ووصفت منظمة «هيومن رايتس ووتش» القرار بأنه «بالغ الأهمية». وقالت بلقيس جراح، مستشارة برنامج العدالة الدولية بالمنظمة، إنّ القرار «يقدّم أخيرًا بعض الأمل الحقيقي في العدالة لضحايا جرائم خطيرة بعد نصف قرن من الإفلات من العقاب»[53].

وقد أعلن وزير الخارجية والمغتربين الفلسطيني رياض المالكي، أنّ الجهات المختصّة بدأت التنسيق مع الجنائية الدولية لتسريع فتح تحقيق رسمي في فلسطين، مبيّنًا أن القرار

51- هآرتس، 7/1/2020 . https://bit.ly/3rVpujA
52- المركز الفلسطيني للإعلام، 7/2/2021 . https://palinfo.com/287360
53- هيومن رايتس ووتش، 8/2/2021 . https://www.hrw.org/ar/news/2021/02/08/377805

يتيح محاسبة مجرمي الحرب في «إسرائيل» أمام المحكمة الجنائية[54].

وفي 2021/3/3، أعلنت المدّعية العامة بنسودا أنّ مكتبها سيفتح تحقيقًا رسميًا في جرائم الحرب في الأراضي الفلسطينية، وسيشمل التحقيق الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني[55]؛ وقد هاجم نتنياهو قرار فتح التحقيق[56]، فيما أكّدت الخارجية الأمريكية رفضها له[57]. وفي هذه المرحلة، تحدّد المحكمة وتقيّم ما إذا كان الطرفان المعنيّان أجريا تحقيقات في الملفات التي ستنظر بها. ووفق إعلام الاحتلال، تسلّمت «إسرائيل» بعد الإعلان عن قرار فتح التحقيق رسالة موجزة من المحكمة الجنائية عرضت مجالات التحقيق الرئيسة الثلاثة، وهي الحرب على غزة عام 2014، وسياسة الاستيطان، إضافة إلى مسيرات العودة على حدود غزة عام 2018 [58].

وبحسب أستاذ القانون الدولي محمود الحنفي[59]، فإنّ البدء بالتحقيق، أو الاستمرار به، دونه مجموعة من المعوّقات أو التحديات التي يمكن أن تتبلور على مستويات مختلفة. فعلى المستوى الدولي، يبرز تحدّي الدعم الكبير الذي تقدّمه الولايات المتحدة الأمريكية للاحتلال، وترسيخ علاقاتها الدولية في خدمته، والضغوطات التي تمارسها واشنطن على القيادة الفلسطينية من جهة، وعلى المحكمة الجنائية نفسها من جهة أخرى. يضاف إلى ذلك، الخشية من تجنيد الدول والمنظمات الدولية الصديقة لدولة الاحتلال للضغط على المحكمة لحملها على التراجع عن القرار بفتح تحقيق تحت حجّة مصلحة العدالة، وعدم توفير الموارد البشرية والمادية اللازمة لعملية التحقيق، أو عدم التمكن من إدخالها إلى فلسطين المحتلة.

54- المركز الفلسطيني للإعلام، 7/2/2021 . https://palinfo.com/287350
55- بيان المدعية العامة للمحكمة الجنائية الدولية بخصوص التحقيق في الحالة في فلسطين، 3/3/2021 https://bit.ly/2QbhDAM
56- تصريح رئيس حكومة الاحتلال في 3/3/2021 . https://bit.ly/3tpsGVi
57- بيان صحفي صادر عن الخارجية الأمريكية، https://bit.ly/3lkWGyS
58- تايمز أوف إسرائيل، 3/3/2021 . https://bit.ly/3qZfEMD . 18/3/2021
59- مقابلة شخصية أجرتها الباحثة.

وعلى المستوى الإسرائيلي، فإنّ من أبرز المعوّقات عدم السماح للمحقّقين بزيارة أراضي الضفة الغربية وإجراء التحقيقات اللازمة، علاوة على رفض قوات الاحتلال التعاون مع المحقّقين، عبر الامتناع عن تسليم المستندات والتّسجيلات المطلوبة وعدم السماح للمحقّقين بمقابلة عسكريين وضبّاط وأشخاص محددين؛ إضافة إلى الضغوطات التي تمارسها دولة الاحتلال لمنع المضيّ في التحقيق. وقد سافر كلٌّ من رئيس دولة الاحتلال رؤوفين ريفلين ورئيس الأركان أفيف كوخافي في جولة أوروبية، بدأت في 2021/3/16، للضغط ضد قرار المحكمة فتح التحقيق[60]، فيما هدّدت سلطات الاحتلال بوقف المشاريع الاقتصادية عن الفلسطينيين في حال تعاونوا مع الجنائية[61]، وبإجراءات عقابيّة بحقّ مسؤولين في السلطة الفلسطينية[62].

وتتلخّص أبرز التحديات على المستوى الفلسطيني، وفق الدكتور الحنفي، في إمكانية سعي القيادة الفلسطينية الحالية إلى استخدام ملف المحكمة الجنائية كورقة تفاوضية لتحقيق مكاسب سياسية، ضمن ما يسمى بالعملية السلميّة، وعدم التحلل من التزامات اتفاق أوسلو بشكل دستوري واضح وحاسم، لا سيما في ما يفرضه لجهة عدم قدرة القضاء الفلسطيني على محاكمة الإسرائيليين، رغم التطور في مكانة دولة فلسطين في الأمم المتحدة وانضمامها إلى الاتفاقيات الدولية التي تعدّ أسمى من الاتفاقيات الثنائية، بالإضافة إلى استمرار تداعيات الانقسام الداخلي الفلسطيني الذي يعيق قدرة النظام القانوني على التدخل وإجراء تحقيقات في جرائم دولية مزعوم ارتكابها على الأراضي الفلسطينية.

وبالعموم، يبقى من المبكّر الحديث عن انتصار قانوني في ما خصّ الجنائية الدولية ووضع حدّ لحالة الإفلات من المحاسبة والعقاب التي يتمتّع بها السياسيون والعسكريون الإسرائيليون المتورّطون في جرائم ضدّ الفلسطينيين. فبنسودا، التي ساهمت في إضاعة الوقت قبل الوصول إلى هذا القرار[63]، تغادر منصبها في حزيران/يونيو القادم. وقد

60- ميدل إيست مونيتور، 17/3/2021 . https://bit.ly/38UTQLU
61- بوابة الهدف الإخبارية، 22/3/2021 . https://hadfnews.ps/post/80190
62- العربي الجديد، 22/3/2021 . https://bit.ly/3f5ysr6
63- شبكة السياسات الفلسطينية، 1/4/2015 . https://bit.ly/3dgPS3m

جرى فعلًا انتخاب مدعٍ عام جديد للمحكمة خلفًا لها، هو البريطاني كريم خان، لولاية تبدأ في 2021/6/16 وتستمرّ 9 سنوات[64]. ووفق الإعلام العبري، فقد دعم المسؤولون الإسرائيليون «في الكواليس» انتخاب خان لأنّه «براغماتي ويرفض تسييس المحكمة»[65]؛ وعليه، يبقى سلوك خان وقراره أساسيًا في هذا الإطار.

أمّا المحاكمات الشكلية والإجراءات القضائية التي بدأها الاحتلال، فلا يستبعد أن تكون ذريعة لعدم التحقيق في جرائم العدوان على غزة ومسيرات العودة. ويمكن هنا الإشارة هنا إلى أنّ بنسودا أسقطت في عام 2020 التحقيق مع جنود بريطانيين على خلفية جرائم ارتكبوها في العراق ما بين عامي 2003 و2008 نظرًا إلى أنّ الحكومة البريطانيّة حقّقت في الأمر. وقالت بنسودا حينذاك إنّه لم يكن ممكنًا تأكيد الادعاءات التي قالت إنّ هيئات التحقيق والادعاء البريطاني كانت توفّر ستارًا للجنود[66].

علاوة على ذلك، فإنّ التحقيق الدولي، في حال المضيّ به، يستمرّ سنوات قبل التوصل إلى قرار، حتى وإن كانت المنظمات الحقوقية الدولية والفلسطينية، وحتّى بعض المنظّمات الإسرائيلية، جمعت ووثقت الكثير من الشواهد والأدلّة على تورّط الإسرائيليين في جرائم خاضعة لصلاحية المحكمة.

وفي كل الأحوال، لا يمكن غضّ الطرف عن الموقف الفلسطيني ذاته وما يمكن أن يؤول إليه، إذ تعاطت السلطة مع المسار القانوني كوسيلة ضغط في ظلّ غياب أيّ استراتيجية واضحة[67]. ولا يستبعد التراجع، أقلّه تحت الضغط الأمريكي، عن متابعة الأمر مع المحكمة في حال عودة المفاوضات؛ وكان موقع «تايمز أوف إسرائيل» نقل عن مسؤول فلسطيني قوله إنّ السّلطة مستعدة لسحب دعواها حول الاستيطان في حال

64- موقع أخبار الأمم المتحدة، 12/2/2021.
https://news.un.org/en/story/2021/02/1084582
65- تايمز أوف إسرائيل نقلاً عن قناة كان العبرية، 13/2/2021 . https://bit.ly/2OA2GY1
66- أسوشيتد برس، 9/12/2020 . https://bit.ly/3u3czxG
67- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 14/2/2021. https://bit.ly/2ZmoXe9

جمّدت «إسرائيل» البناء في المستوطنات، وإنّ السلطة الفلسطينية وجّهت رسالة رسمية إلى «إسرائيل» بهذا الخصوص عبر الأردن ومصر[68].

وتبقى نقطة مهمّة لا يمكن تجاوزها، وهي متعلّقة بإمكانية التحقيق مع قيادات وعناصر المقاومة الفلسطينية على أفعال المقاومة، خصوصًا العمليات التي تستهدف العمق الإسرائيلي، نظرًا إلى أنّ المحكمة لن تختصّ فقط بالأعمال أو الجرائم التي تقوم بها دولة الاحتلال، وإنما بمجمل المخالفات التي تراها. والواقع أنّ ما يفعله الفلسطينيون هو أفعال مقاومة، ونضال الشعب الفلسطيني يستند إلى بواعث أخلاقية، إذ إنّه يقاوم احتلالاً قام على القتل والتهجير ويستمر في جرائمه ضدّ الأرض والإنسان. كذلك، ثمّة بواعث قانونية تستند إلى قاعدتين أساسيتين في القانون الدولي العام هما: الحق في تقرير المصير بكل الوسائل الممكنة، والحق في الدفاع الشرعي عن النفس ضدّ جرائم الاحتلال؛ وما من نصّ قانوني يحرّم استخدام القوة من أجل ممارسة حقّ الشعوب في تقرير مصيرها السياسي[69].

خلاصة

على الرغم من أهمّية قرار الغرفة الابتدائية في المحكمة الجنائيّة حول الولاية الإقليمية للمحكمة على الأراضي الفلسطينية المحتلّة منذ عام 1967، وإعلان المحكمة عن فتح التحقيق، إلا أنّ ذلك يبقى خطوة في مسيرة طويلة، وإحدى أدوات المواجهة التي تُخاض بالسياسة والقانون وما يتيحه كلا الاتجاهين من مجالات وفرص للتحرّك على خطّ استعادة الحقّ الفلسطيني. وبصرف النظر عن مآلات الأمور مع المحكمة الجنائية، ينبغي الالتفات إلى محدودية دور القانون في القضية الفلسطينية، لا سيّما في ظلّ ارتباطه بإطار اتفاق أوسلو. ومن المهمّ أن يكون المسار القانوني متكاملاً مع مسارات العمل الأخرى، وصولًا إلى استعادة الحقوق الفلسطينية كافة.

68- تايمز أوف إسرائيل، 18/1/2015 . https://bit.ly/3s8y8LN
69- عربي 21، 9/3/2021 . https://arb.im/1341229

إنفاق 740 مليار دولار على الدفاع لم يجعل أميركا أكثر أماناً

بقلم: ماندي سميثبرغر وويليام هارتونغ*

ترجمة وإعداد: سارة جبارة

من الواضح أكثر من أي وقت مضى، أن الحروب الأبدية التي يخوضها الجيش الأمريكي منذ ما يقارب العقدين من الزمن تعود إلى الوطن، خاصة في أعقاب إنشاء «منطقة خضراء» في العاصمة واشنطن مؤخراً، على غرار بغداد، وذلك من أجل تنصيب جو بايدن وكمالا هاريس. ونعلم الآن أيضاً أنه خلال اقتحام مبنى الكابيتول من قبل حشد من القوميين البيض و جماعة QAnon اليمينية المتطرفة (أتباع QAnon يؤمنون بأنّ حكومات العالم تخضع لسيطرة عصابة غامضة من مُشتهي الأطفال الذين سيقدّمهم الرئيس ترامب للعدالة في نهاية المطاف) في السادس من كانون الثاني 2021، وصل الجيش إلى واشنطن في وقت أبكر مما تصور معظمنا.

كما ذكرت الإذاعة الوطنية العامة (NPR)، أنه «من بين الذين اقتحموا مبنى الكابيتول، وأداروا أعمال شغب، واتُهموا حتى الآن بارتكاب جرائم، كان واحد من كل خمسة تقريباً من قدامى المحاربين في الجيش، أو أحد أفراد القوات المسلحة.

ولا يغيب عن بالنا أن مسؤولي الحرس الوطني أبعدوا 12 جندياً من القوات التي

* ماندي سميثبيرغر، هي مديرة «مركز معلومات الدفاع» في مشروع الرقابة الحكومية (POGO).
* ويليام د. هارتونغ، هو مدير مشروع الأسلحة والأمن في «مركز السياسة الدولية»، ومؤلّف كتاب أنبياء الحرب: شركة لوكهيد مارتن وصناعة المجمّع الصناعي العسكري.
المصدر: صحيفة واشنطن بوست.

أرسلوها إلى واشنطن لحماية حفل التنصيب، على الأقل خوفاً من ميول مماثلة. بطبيعة الحال، لا ينبغي أن يكون أياً من هذا مفاجئاً، لأنه كان من بين الذين اعتُقلوا من جماعة (Wolverine Watchmen) « «ولفيرين واتشمن» المتطرفة (كانت خطّطت لخطف حاكم ولاية ميشيغان غريتشن ويتمر ـ واحتمال اغتياله)، كان اثنان منهم على الأقل من قدامى المحاربين في مشاة البحرية.

اليوم، يلاحظ (خبيرا البنتاغون ماندي سميثبرغر ووليام هارتونغ)، أن هناك مفارقة خاصة في هذا القرن: كلما كان الجيش الأمريكي أقل فعالية في الخارج، وكلما خاض تلك الحروب الأبدية التي لا طائل منها، إلاّ الجحيم ثم العودة، كلما أصبح الأمر أكثر قيمة واحترامًا وعزيزًا هنا في الداخل.

في هذه العملية كما يقترح هذان المؤلفان اليوم، تحولت الديمقراطية الأميركية أيضاً إلى نوع من المنطقة الخضراء. يجب أن يكون هناك مفارقة واضحة في ذلك ، إذا كان أي شخص ينتبه حقًا. أنهى جو بايدن خطابه الافتتاحي، بعبارة «ليبارك الله أميركا وليحمي الله قواتنا». السؤال الذي يطرحه سميثبرغر وهارتونغ هو «إذا كان الله يحمي القوات، فمن يحمينا؟» ليس ، على ما يبدو ، القوى الموجودة في واشنطن، عندما يتعلق الأمر بعسكرة نظامنا السياسي.

نزع سلاح ديمقراطيتنا

كيف أصبحت دولة الأمن القومي تهيمن على دولة «مدنية»؟

لقد كشف تمرد الكابيتول عن الفشل الكئيب لشرطة الكابيتول ووزارة الدفاع في استخدام خبراتهما ومواردهما لإحباط خطر واضح وقائم على ديمقراطيتنا. وكما غرّدت مجموعة الإصلاح الحكومية Public Citizen، «إذا كنت تنفق 740.000.000.000 دولار سنويًا على» الدفاع «، لكن الفاشيين لا يزال بإمكانهم اقتحام مبنى الكابيتول كما يحلو لهم ، فربما حان الوقت لإعادة التفكير في الأمن القومي؟»

في وقت يسوده القلق الشديد بشأن صحة ديمقراطيتنا، أي إعادة تفكير يتعلق بهذا الأمر، يجب أن تركّز، من بين أمور أخرى ، على تعزيز سلطة المدنيين والمؤسسات المدنية

على الجيش، في عالم أمريكي حيث يكاد يكون الموضوع الوحيد الذي يمكن أن يتفق عليه الحزبان في الكونجرس هو تخصيص المزيد من الأموال للبنتاغون.

هذا يعني أن الكثيرين في نظامنا السياسي يحتاجون إلى فطم أنفسهم عن العادة التي تأتي بنتائج عكسية، والمتمثلة بالبحث الانعكاسي عن أصوات العسكريين أو العسكريين المتقاعدين للتحقق من صحتها، في قضايا تتراوح ما بين الصحة العامة إلى أمن الحدود، التي يجب أن تكون خارج نطاق اختصاص الجيش.

إنها بالتأكيد إحدى الظواهر الغريبة في عصرنا: بعد 20 عامًا من الحرب التي لا نهاية لها، والتي تم فيها إنفاق تريليونات الدولارات، ومات مئات الآلاف من جميع الجهات، دون أن يحقق الجيش الأمريكي أي شيء يقترب من النصر، يستمر تمويل البنتاغون (للجيش) على مستويات مذهلة. في حين أن التمويل للتعامل مع أكبر التهديدات لسلامتنا و «أمننا القومي» – من الوباء إلى تغير المناخ إلى التفوق الأبيض – يُثبت أنه غير كافٍ على الإطلاق.

في الأوقات الجيدة والسيئة، يستمر الجيش الأمريكي و «المجمّع الصناعي» المحيط به ، والذي حذّرنا منه الرئيس دوايت أيزنهاور لأول مرة في عام 1961 ، في الحفاظ على دور مركزي في واشنطن، على الرغم من أنهما غير مرتبطين بشكل ملحوظ بـ أكبر التحديات التي تواجه ديمقراطيتنا. ومع بداية ولاية بايدن، حان الوقت لإعطاء بعض التفكير الجاد في كيفية تجريد ديمقراطيتنا من السلاح.

من السمات الأساسية للنظام الأمريكي أن يظل الجيش تحت سلطة مدنية. ومع ذلك، في هذه الأيام، نظرًا لعدد الضباط العسكريين الحاليين أو المتقاعدين الذين أصبحوا حكامًا رئيسيين لما يجب أن نفعله في مجموعة مذهلة من القضايا الحرجة، فإن السيطرة المدنية هي المعادل السياسي للأنواع المهددة بالانقراض.

في الموسم الانتخابي الأخير، قبل وقت طويل من الهجوم على مبنى الكابيتول، كان هناك بالفعل نقاش وطني مكثّف حول كيفية منع العنف في صناديق الاقتراع، وهي محادثة ركّزت بسرعة كبيرة (وبشكل مقلق) على الدور الذي ينبغي أن يلعبه الجيش في هذه العملية. وقد طُلب من الجنرال مارك ميلي، رئيس هيئة الأركان المشتركة، مراراً وتكراراً،

تقديم ضمانات بأنه لن يكون لها دور في تحديد نتيجة الانتخابات، وهو أمر كان من الممكن أن يكون أمراً محسوماً في أميركا أخرى.

وفي الوقت نفسه، سعى البعض بالفعل إلى المزيد من المشاركة العسكرية. على سبيل المثال، في «رسالة مفتوحة» إلى ميلي جرت مناقشتها على نطاق واسع، ذكر ضابطا الجيش المتقاعدين، جون ناغل وبول ينغلينغ، أنه «إذا رفض دونالد ترامب ترك منصبه عند انتهاء فترة ولايته الدستورية، يجب على الجيش الأمريكي إقالته بالقوة، ويجب أن تعطي أنت هذا الأمر». تقوّض مقترحات من هذا النوع نزاهة العديد من القوانين التي وضعها الكونغرس والولايات لمنع الجيش أو الحرّاس المسلحين من القيام بأي دور في العملية الانتخابية.

وعلى نحوٍ مماثل، حدّد كلٌّ من الرئيس السابق دونالد ترامب والرئيس جو بايدن الجيش كلاعبٍ رئيسي في المستقبل في توزيع لقاح «كوفيد ـ 19»، وهو أمر يمكن وينبغي أن تتعامل معه مؤسسات الصحة العامة، إذا كانت لديها فقط مثل البنتاغون، موارد كافية.

الجيش يعرف الأفضل!

خلال وبعد الهجوم على مبنى الكابيتول، تم منح مسؤولين من الجيش والأمن القومي مكانة مرموقة في المناقشات حول مستقبل ديمقراطيتنا. وقد سعت وسائل الإعلام وغيرها إلى الحصول على آرائهم بشأن مجموعة واسعة من القضايا التي تقع خارج مجالات خبرتهم الأساسية. وقد حظيت رسالة من 10 وزراء دفاع سابقين باهتمام رئيسي، يدعون فيها التجمع الجمهوري إلى احترام نتائج الانتخابات، في حين ضغطت شخصيات سياسية من أجل محاكمة ضباط عسكريين متقاعدين متورطين في هجوم السادس من كانون الثاني في محاكم عسكرية وليس مدنية.

قبل متابعة المحاكمة الثانية لعزل دونالد ترامب، لجأت رئيسة مجلس النواب نانسي بيلوسي إلى رئيس هيئة الأركان المشتركة، للحصول على ضمان بأنه يمكن أن يمنع الرئيس من بدء حرب نووية في اللحظة الأخيرة. و لم يكن أي من هذا غير عادي على الإطلاق، لأنه يُطلب بانتظام من الضباط العسكريين المتقاعدين، التفكير بمواضيع متنوعة، مثل حقوق الإجهاض، وتغير المناخ، والسمنة في مرحلة الطفولة.

ليس الأمر بالطبع أن مثل هذه الشخصيات لا ينبغي أن تكون قادرة، مثل أي شخص آخر، على تقديم آرائها أو دعمها في مسائل الصحة والسلامة العامة؛ ولكن يجب ألاّ تكون أصواتهم أكثر أهمية من أصوات خبراء الصحة العامة، أو العلماء أو المهنيين الطبيين أو غيرهم من المدنيين.

على الرغم من إخفاقه في كسب الحرب منذ عقود ، يظل الجيش أحد أكثر المؤسسات الأمريكية احترامًا. وهو يحظى بهذا النوع من التقدير الذي لا يمتد عمومًا إلى الموظفين العموميين الآخرين الأكثر نجاحًا.

بعد ما يقرب من 20 عامًا من الحروب الأبدية، من الصعب، في هذه المرحلة، قبول أن سمعة الجيش على مستوى الحكمة تستحق. في الواقع ، الاعتماد المستمر على الجنرالات المتقاعدين وغيرهم من مسؤولي الأمن القومي الحاليين أو السابقين كمصادقين، يقوّض بشكل فعال مصداقية وثقة الجمهور في المؤسسات الأخرى التي تهدف إلى الحفاظ على صحتنا وأماننا.

في زمن Covid–19 ، يجب أن يكون واضحًا أن الاعتماد على مفاهيم محددة بدقة للأمن القومي يضرّ بديمقراطيتنا، وهو موضوع لا يحتمل أن يتعامل معه أي من هؤلاء العسكريين أو الشخصيات العسكرية السابقة.

بالإضافة إلى ذلك ، في العديد من الحالات ، أساء المسؤولون العسكريون الحاليون والمتقاعدون، استخدام الثقة العامة بطرق تثير التساؤل حول حقهم في العمل كقضاة لما هو مهم ، أو حتى تخيل أنهم يستطيعون تقديم مشورة موضوعية.

لسبب واحد، يمر عدد مذهل من الضباط رفيعي الرتب عند مغادرة الجيش، عبر الباب الدوّار سيّئ السمعة للمجمّع الصناعي العسكري، إلى مناصب مديرين تنفيذيين أو جماعات ضغط أو أعضاء مجلس إدارة أو مستشارين لصناعة الدفاع.

وهم يعملون بالنيابة عن شركات مثل، رايثيون، ولوكهيد مارتن، وبوينغ، وجنرال ديناميكس، التي تتلقى مجتمعة 100 مليار دولار سنوياً جراء عقود البنتاغون، مع القليل من المساءلة؛ ثم يستخدمون رتبتهم السابقة والهيبة المرتبطة بها للضغط على الكونغرس، والتأثير

على وسائل الإعلام بشأن الحاجة إلى حروب لا نهاية لها، وميزانية عسكرية متزايدة باستمرار لدعم برامج الأسلحة الرئيسية، مثل مقاتلة لوكهيد مارتن F–35 Joint Strike Fighter – كل ذلك دون عناء الكشف عن أنهم سيستفيدون مالياً من المواقف التي يتخذونها.

كما أن احتمال الحصول على راتب كبير وسمين في قطاع الأسلحة عند التقاعد، يمارس أيضاً تأثيراً غير صحي على الضباط الذين لا يزالون يخدمون في الجيش.

ظاهرة الباب الدوّار هذه موجودة على نطاق واسع؛ حيث وجدت دراسة أجراها مشروع الرقابة الحكومية أنه في عام 2018 وحده، كانت هناك 645 حالة، قام فيها أكبر 20 مقاول دفاع بتوظيف مسؤولين حكوميين سابقين، وضباط عسكريين، وأعضاء في الكونغرس، وكبار الموظفين التشريعيين في الكونغرس كجماعات ضغط أو أعضاء مجلس إدارة أو مديرين. وهذا لا ينبغي أن يُلهم ثقة الجمهور في آرائهم.

في بعض الحالات، لجأ ضباط عسكريون سابقون إلى موجات الأثير و مقالات الصحف للدعوة إلى الحرب دون الكشف عن علاقاتهم بصناعة الأسلحة. فقد كشف تحقيق أجرته صحيفة نيويورك تايمز في عام 2008، على سبيل المثال، أن عدداً من الضباط المتقاعدين ـ تحولوا إلى إعلاميين ـ الذين تربطهم علاقات مستمرة في مجال الصناعة الدفاعية، كانوا لسنوات يؤيدون حرب العراق بناءً على طلب البنتاغون.

فجنرالات سابقون ،مثل وزير الدفاع السابق في إدارة ترامب، جيمس ماتيس، الذي عمل في مجلس إدارة شركة «جنرال ديناميكس» قبل تولّيه رئاسة البنتاغون وعاد إلى هناك بعد وقت قصير من تنحّيه، غالباً ما يستخدمون مكانتهم للامتناع عن تقديم المعلومات الأساسية لوسائل الإعلام، مع التشويش على الشفافية والمساءلة التي ينبغي أن تكون دعامة للديمقراطية.

تسييس الجيش

عندما تُحجب الأصوات والسياسات المدنية باعتبارها المحددات الرئيسية في كيفية عمل ديمقراطيتنا، تنشأ معضلة أكبر، و هي: الاستمرار في الاعتماد على الجيش كمصدر أساسي للحكم على ما هو صواب أو خطأ في العالم المدني، يهدد بتسييس القوات المسلحة أيضاً.

وبالنظر إلى أكثر من تريليون دولار يستثمرها الأميركيون سنوياً في دولة الأمن القومي،

فمن اللافت للنظر أن نلاحظ، على سبيل المثال، كيف خذلتنا مثل هذه المؤسسات عندما يتعلق الأمر بالتصدي لتهديدات القومية البيضاء.

في الصيف الماضي 2020، كشف مجلة الانترسبت الأميركية، عن تقرير مدفون من قبل مكتب التحقيقات الفدرالي، حول أوجه القصور في مختلف الوكالات الاتحادية عندما يتعلق الأمر بالتعامل مع الإرهاب المحلي. قبل انتخابات عام 2020، رفض المكتب نشر هذا التقرير حول التهديد الداخلي لتفوّق البيض. وفي العام الماضي، وبطريقة مماثلة، حجبت وزارة الأمن الداخلي لأشهر تقييمها لنفس التهديد «القاتل» (أي التطرف العنصري في هذا البلد).

وفي حين يجب إجراء تحقيق كامل في ما حدث في مبنى الكابيتول، يبدو أن التقارير تشير إلى وجود عمى صارخ في دولة الأمن القومي عن احتمال وقوع مثل هذا الهجوم. ليس الأمر أن وزارة الأمن الوطني، أو مكتب التحقيقات الفدرالي، أو الجيش، بحاجة إلى تدفق أموال جديدة لمواجهة المشكلة. بل إن المطلوب في هذه اللحظة من التاريخ هو التركيز بشكل أوضح على المخاطر الحقيقية التي تهدّد بلدنا، والتي لا علاقة لها كثيراً بالإرهابيين الأجانب أو «طالبان» أو غيرها من الجماعات التي تحاربها الولايات المتحدة في الخارج منذ سنوات.

فوزارة الدفاع النموذجية لم تقدّم لنفسها وللبقية أي خدمة، من خلال دفن تقرير عن انتشار العنصرية في صفوف الجيش، والذي، على الرغم من اكتماله في عام 2017، لم ير النور إلاّ في كانون الثاني من هذا العام. فقط في أعقاب أعمال الشغب في مبنى الكابيتول، بدأت تلك الوزارة، أخيرًا ،في معالجة مشاكل تفوّق البيض لديها.

فشل الجيش ، مثل العديد من المؤسسات الأمريكية الأخرى ، في التعامل بجدية مع العنصرية العميقة الجذور في صفوفه. حتى قبل انتفاضة 6 كانون الثاني ، كان من الواضح أن مثل هذه العنصرية جعلت من شبه المستحيل ترقية الضباط السود.

إن تقارير الخدمة الفعلية والاحتياط والأفراد المخضرمين في الجيش الذين ساعدوا تمرّد الكابيتول، لا تؤدي إلاّ إلى تخفيف صارخ للتكاليف غير المبررة لعدم معالجة المشكلة في وقت سابق.

المزيد من الإنفاق على البنتاغون لن يجعلنا أكثر أماناً

هناك أيضاً تكاليف عالية يتعين دفعها للاعتماد على وزارة الدفاع لمعالجة المشاكل التي لا علاقة لها بمهمتها الأساسية. إن استخدام القوات المسلحة كلاعب رئيسي في معالجة الأزمات التي ليست عسكرية في طبيعتها، يؤدي فقط إلى مزيد من تقويض المؤسسات المدنية، وغالباً ما يؤدي إلى نتائج عكسية أيضاً.

في المراحل الأولى من وباء «كوفيد–19»، دعا عدد من السياسيين الرئيس ترامب ووزارة الدفاع إلى استخدام قانون الإنتاج الدفاعي (كما يبدو أن بايدن سيفعل ذلك قريباً)، لتكثيف إنتاج أقنعة N95، وأجهزة التنفس الصناعي وغيرها من معدات الحماية الشخصية. إن قصة ما حدث لهذه الأموال في سنوات ترامب، يجب أن تُروى.

اكتشفت صحيفة واشنطن بوست أن مليار دولار من أموال الإغاثة الوبائية المفترضة، تم تحويلها بدلاً من ذلك مباشرة إلى مقاولي الدفاع. أكثر من ذلك، هناك 70 مليون دولار من الأموال التي أنفقها البنتاغون على أجهزة التنفس الصناعي التي ثبت أنها غير صالحة لمرضى Covid–19. وفي حين أن بعض هذه الأموال ذهبت لتعزيز سلاسل الإمداد بالأقنعة، اكتشف تحقيق آخر في صحيفة واشنطن بوست، أن هذه الجهود لم تقترب من معالجة أوجه القصور الوطنية، وهي أقل مما تنفقه الإدارة على الأدوات والزي الرسمي والسفر للفرق العسكرية.

ولعل التكلفة الأكثر إثارة للقلق لاعتمادنا المفرط على الجيش يمكن العثور عليها في ميزانية الكونغرس وأولوياته السياسية. في كانون الأول2020، حصل مشروع قانون يخوّل البنتاغون إنفاق حوالي 740 مليار دولار، على ما يكفي من الأصوات للتغلب بسهولة على حق النقض الذي استخدمه الرئيس ترامب (بدافع رفضه للتغاضي عن إعادة تسمية القواعد العسكرية التي تحمل اسم جنرالات كونفدراليين)، في اللحظة التي كان فيها الكونغرس يعرقل تشريعاً يمنح شيكاً بقيمة 2000 دولار للأمريكيين المصابين ب «كوفيد ـ 19».

الآن، بعد عقدين من القرن الحادي والعشرين، من الواضح أن المزيد من المال للبنتاغون

لم يجعل هذا البلد أكثر أماناً. ومع ذلك، فقد ساعد ذلك على إعطاء الجيش دوراً مركزياً أكثر من أي وقت مضى في عالمنا السياسي الذي كان مدنياً في السابق. إن اختيار بايدن للجنرال المتقاعد لويد أوستن الثالث ليكون وزيراً للدفاع لا يؤكد سوى هذه النقطة.

في حين أنه لا بد من الثناء على تعيين أول زعيم أسود في هذا المنصب؛ فقد تقاعد أوستن مؤخراً، لدرجة أنه كان بحاجة إلى إعفاء من الكونغرس من قانون يتطلب فترة راحة مدتها سبع سنوات، قبل تولّي مثل هذا المنصب المدني (تماماً كما فعل ماتيس قبل أربع سنوات)؛ وهي علامة أخرى على أن السيطرة المدنية على الجيش لا تزال تضعف.

بالإضافة إلى ذلك ، بعد أن تقاعد من منصبه في الصناعة الخاصة ، فإن أوستن قادر على جني ثروة صغيرة ، تصل إلى 1.7 مليون دولار، عندما يتخلص من أسهمه في شركة Raytheon Technologies.

إشارة إلى أن الرئيس أيزنهاور كان حذّر الأميركيين، في خطاب الوداع الذي ألقاه في العام 1961، من أنه «في مجالس الحكم يجب أن نحترس من الحصول على نفوذ أو التأثير غير المبرر له للمجمّع العسكري الصناعي، سواء كان مرغوباً به أو لا». كيف أثبت أنه تماماً على حق! بعد ستين عاماً، أصبح من الواضح جداً أنه يجب بذل المزيد من الجهود للتعامل مع هذا «التأثير غير المبرر» للغاية. إن الأزمات الفورية للجمهورية الأمريكية ينبغي أن تكون واضحة بما فيه الكفاية الآن: الاستجابة للوباء واستعادة ديمقراطيتنا المدنية.

من المؤكد أن القادة العسكريين مثل ميلي، لابد وأن يُقدّروا على اتفاقهم على ضرورة إعطاء الأولوية للوباء ومعارضة الفتنة. ومع ذلك، فإن المزيد من الإنفاق في البنتاغون والمزيد من النفوذ العسكري لن يجعلنا في النهاية أكثر أماناً.

استراتيجية القوة الناعمة على صفحات الفيسبوك الرسمية التابعة لإسرائيل

زهرا باديانی*

د. جواد ركابي شعرباف**

الملخّص:

لقد آمن قادة «إسرائيل»، بعد نشأتها، وعلى رأسهم بن غوريون، بأنّ «إسرائيل» تعيش ضمن بيئة معادية لها ما يجعلها تتحسس الخطر الوجودي لحظة بلحظة. ومع فشل معاهدات «السلام» العربية – الإسرائيلية في تغيير الرأي العام العربي بما يخدم الأهداف الإسرائيلية وبدء أحداث «الربيع العربي» في المنطقة، عملت «إسرائيل» على توظيف القوة الناعمة عبر صفحات رسمية تابعة لها تعمل ضمن استراتيجات محدّدة على منصة الفيسبوك، وذلك بسبب الحضور العربي الكثيف على هذه المنصة. هذا البحث الذي يتناول تحليل خمسة من صفحات الفيسبوك الرسمية التابعة لإسرائيل، والناطقة باللغة العربية، خلال الفترة الممتدة من تاريخ 1 تموز 2019 إلى تاريخ 1 تموز 2020 يجيب على السؤال الآتي: ما هي الاستراتيجية الناعمة «لإسرائيل» في هذه الصفحات، والتي تخدم الأمن القومي لإسرائيل. يعتمد هذا البحث منهج تحليل المضمون، حيث يتم تقسيم الاستراتيجية الناعمة «لإسرائيل» المستخدمة في هذه الصفحات إلى سياسات ناعمة تشكّل فئات المضمون الأساسية، وبرامج تندرج تحت هذه السياسات تشكّل

* طالبة ماجستير وباحثة في شؤون الشرق الأوسط

** أستاذ مساعد وعضو الهيئة التعليمية في دراسات الشرق الأوسط في جامعة طهران

فئات المضمون الفرعية. وقد توصل البحث إلى أن لإسرائيل استراتيجية ناعمة في هذه الصفحات؛ وهذه الاستراتيجية تركّز على سياسة دون الأخرى حسب الجمهور المستهدف.

الكلمات المفتاحية: القوة الناعمة، الأمن القومي الإسرائيلي، الفيسبوك، الجمهور العربي.

المقدمة:

كان لولادة «إسرائيل» في قلب المنطقة العربية والإسلامية دور حاسم في دخول هذه المنطقة حالة جديدة ومستمرة من عدم الاستقرار والصراع الدائم. وبات واضحاً لدى الجميع أن هذه البيئة المحيطة ستجعل إسرائيل تعيش في خطر وجودي دائم ما لم يطرأ تغيير على هذ البيئة، حيث إن كيانها القومي موجود داخل رقعة مهددة في وجودها الكلي لتماسها الحدودي مع أعدائها المباشرين من الدول العربية [1].

إن النزعة التوسعية لإسرائيل والمحيط الرافض لها، كلها أسباب كانت كفيلة بان تدفع «إسرائيل» للعمل على بناء قوة عسكرية تؤمّن لها تفوقاً عسكرياً واضحاً؛ وقد ظهر ذلك خلال حروبها كافة، وبلغ هذا التفوق ذروته في حرب عام 1967. واستمرت «إسرائيل» في زيادة قدراتها العسكرية، وصولاً إلى امتلاك أسلحة نووية، لتعزّز من قوة الردع لديها. وإلى جانب الشق العسكري، فقد اهتمت «إسرائيل» بالدعاية كجانب من جوانب المعركة مع العرب، حيث قامت بنشر صحيفة «اليوم» باللغة العربية، والتي كانت بتمويل من الحكومة، وصحيفة «الهستدروت» في عام 1948، والذي تم إغلاقها سنة 1967؛ ثم حلّت مكانها صحيفة «الأنباء» التي تم إغلاقها سنة 1985 لأسباب مادية. وقد كانت هذه الصحف تمثّل صوت «إسرائيل» بالاشتراك مع الصحف الأسبوعية التابعة لأحزاب سياسية صهيونية [2] . لكن هذه الصحف لم تكن تهدف إلى مخاطبة الجمهور العربي كجمهور حاضر، لأن نظرية الأمن الإسرائيلية كانت تقوم في البداية بالاعتماد على مفاهيم ونظريات عسكرية بحتة، تهمّش حضور الجمهور العربي المكاني والزماني، كمفهوم الضربة الإستباقية الذي تلاه مفهوم الحدود الآمنة التي لاتحتاج إلى حرب وقائية للدفاع عنها.

لكن عملت التطورات التي حصلت في التسعينيات على تغيير هذه المفاهيم، ووجّهت ضربة لنظرية الأمن الإسرائيلية، حيث أثبتت الانتفاضة أن الشعب الفلسطيني موجود و لم يعد بالإمكان إنكار هذا الوجود، إذ تم الإعتراف بهم ووصفوا بالفلسطينيين في صيغة مدريد واتفاقية أوسلو[3]. كما استطاعت «إسرائيل» أن تدرك، بعد مضي عقود على معاهدات «السلام» بينها وبين بعض الدول العربية، أن هذه المعاهدات لم تكن قادرة على إنهاء حالة العداء بين شعوب هذه الدول و«إسرائيل»، لأنها اقتصرت على أداء دور في الأروقة السياسية من دون أن تغيّر من وجهة النظر الشعبية تجاه «إسرائيل» .

إزاء كل هذه التطورات، أدركت «إسرائيل» أن القوة العسكرية ومعاهدات «السلام» وحدها لن تلعب الدور الحاسم في ضمان وجودها في المنطقة؛ كما أنها ليست كفيلة بإيجاد بيئة آمنة ليزدهر الاقتصاد فيها، فلا يمكن للاقتصاد أن يزدهر في ظل المعارك الدائمة والعزلة الشعبية التي تفرضها شعوب المنطقة على «إسرائيل» . آمنت «إسرائيل» بأن الأمر يتطلب تغييراً جذرياً للنظرة العربية تجاه القضية الفلسطينية، ما يمهّد الطريق أمامها لتصبح دولةً مقبولةً في المنطقة، ويخفّف ويقلّص إلى حد كبير من الخطر الوجودي المحدق بها. وزادت هذه الرؤية تبلوراً مع بداية «الربيع العربي» في المنطقة وتزعزع الأنظمة العربية الموالية لها، ما أشعر «إسرائيل» بخطر فعلي، خصوصاً وأن هذه الأنظمة التي وقّعت معاهدات «السلام» تشهد أزمة حقيقية مع شعوبها. إنّ إدراك هذه الحقيقة من قبل «إسرائيل»،مع فهم التغييرات التي حدثت في المنطقة، جعلها تكثّف جهودها لتغيّر أفكار الشعوب العربية، خوفاً من تكرار التجربة الإيرانية التي أطاحت بنظام الشاه الموالي لها في إيران، مع انتصار الثورة الإسلامية، لتدخل العلاقات الإسرائيلية – الإيرانيّة في نفق مظلم. كما أدركت «إسرائيل» أنه من الواجب توسيع نطاق الاحتكاك مع الرأي العام في تلك الدول؛ فلم يعد من الحكمة أبداً الإكتفاء بالعلاقات السياسية الرسمية، وإن كانت مهمة؛ وأصبح واضحاً أن استمرار هذه العلاقات مربوط بتحسين صورتها أمام الجمهور العربي[4].

ومع التغيير الحاصل في العالم، الذي فسح المجال أمام تزايد قوة الرأي العام وقدرته على التأثير، لم يعد من الحكمة في مكان تجاهل قناعات و آراء الرأي العام. وبات من الضروري البحث عن كافة الطرق و الأساليب التي من شأنها صياغة تواجهات الرأي

العام تجاه حدث ما أو قضية ما. والقضية الفلسطينية شأنها شأن أي قضية أخرى، تتأثر بتوجهات الرأي العام العربي والعالمي، الذي إذا ما اصطفّ لدعم هذه القضية، جعل «إسرائيل» في موقف محرج لا تحسد عليه، والعكس صحيح؛ وهذا ما أدركته «إسرائيل» .

فقد أفسح التطور التكنولوجي المجال أمام وسائل إعلام غير تقليدية لتؤثر في الرأي العام، كوسائل التواصل الاجتماعي التي باتت تحظى بحصة الأسد من هذا التأثير. فهذا التوسع والتقدم التكنولوجي سمح لمنصات التواصل الإجتماعي أن تتحول إلى منبر مؤثر و فعل للتأثيرعلى الرأي العام. و لم تفوّت «إسرائيل» فرصة الاستفادة من هذه الأداة الجديدة في سياستها الخارجية تجاه العالم العربي، فبادرت إلى افتتاح صفحات رسمية لها على مواقع عديدة، كان في مقدمتها «الفيسبوك"، الذي يعدّ الموقع الأكثر متابعة في العالم العربي. وتعمل هذه الصفحات على ضمان الأمن القومي الإسرائيلي بالاستفادة من القوة الناعمة.

الإطار النظري: القوة الناعمة

يُعدّ مفهوم القوة من المفاهيم المركزية والمهمة في فهم العلاقات الدولية والسياسة الخارجية للدول. ويشكّل هذا المفهوم جزءاً لا يتجزأ من سياسات حفظ المصالح الأمنية للدولة. وبسبب مركزية هذا المفهوم، فقد تعددت وتنوعت التعريفات الخاصة به. يعدّ مفهوم القوة مفهوماً مركزياً فى النظريات التي نظّرت للسياسات العالمية على أنها صراع بين الدول، أو تلك التي تسعى للتأثير على الآخرين[5]. كانت القوة العسكرية إلى وقت ليس ببعيد الوسيلة الفضلى والمتفوقة على باقي الوسائل لتحقيق أهداف وطموحات السياسة الخارجية للدول؛ وكان هذا الخيار مرتبطاً دائماً بنتائج كارثية ومأساوية. هذه النتائج دفعت العقل البشري إلى البحث عن وسائل وطرق بديلة تُبعد الدول عن الخراب والدمار الذي قد يلحق بها بسبب الحروب، والاستفادة من القوة العسكرية لتحقيق ما تطمح إليه الدول،والتغلب على المشاكل التي تعاني منها[6]. وفي ضوء ما تقدم، عمل الاستراتيجيون منذ نهاية سبعينيات القرن الماضي على البحث عن طرق ووسائل أكثر عقلانية، وتحظى بقبول أكثر من القوة الصلبة.

وقد أدّى الجدل الفكري دوراً في مناقشة معضلة القوة، بصياغات مختلفة عن صياغتها

التقليدية، المتمثلة بالقوة العسكرية للحصول على قدر أكبر من المصالح بالحد الأدنى من الخسائر .فمفهوم القوة ليس مرادفاً بالضرورة لتوظيف الجيش النظامي في الساحة، والاستعانة بالآلات والمعدات العسكرية المختلفة، ووضع خطط لفرض حسم عسكري على العدو؛ وكل ذلك يؤدي إلى الدمار وسفك الدماء؛ بل يمكن أن تصل الدول إلى أهدافها الأمنية من دون الاعتماد على القوة العسكرية، وبالاستعانة بقواعد جديدة تختلف عن تلك المتبعة في ساحات القتال، وبتوظيف نموذج جديد من القوة، وهي القوة الناعمة، التي تعتمد على تقنيات مبتكرة و غير عسكرية؛ و أيضاً تتميز بالنوعية المتميزة للنتائج، والتي في كثير من الأحيان تتفوق على نتائج القوة العسكرية التي جرى تسميتها بالقوة الصلبة .

بدأ الحديث عن القوة الناعمة مع جوزيف ناي، الذي كان أول شخص يشير الى هذا النوع الجديد من القوة. فقد قام في كتابه المعنون بـ «القوة الناعمة (طرق النجاح في السياسة الدولية)» بتقسيم القوة إلى ثلاثة أنواع، حيث اعتبر القوة الصلبة هي القوة العسكرية، والقوة نصف الصلبة هي القوة الاقتصادية؛ وبعد ذلك بدأ بشرح القوة الناعمة. حسب جوزيف ناي، فإن أشكال القوة تتغير عبر الزمن، فيما يعرّف القوة الناعمة على أنها «القدرة على تشكيل تفصيلات الآخرين»[7]. ويضيف بأن القوة الناعمة تتعدى القدرة على التأثير على الآخرين، بل هي «القدرة على الجذب والجذب كثيراً ما يؤدي للإذعان»[8]. كذلك يرى جوزيف ناي أن للقوة الناعمة موارد ومصادر؛ وهذه المصادر تشتمل على كل ما ينتج قوة جاذبة. وكشف هذه الموارد يعتمد على الاستفادة من استطلاعات الرأي أو جماعات التركيز؛ وفي عبارة أخرى، يقول جوزيف ناي إن «القوة الناعمة تستخدم نوعاً مختلفاً من العمل لتوليد التعاون، و هو الانجذاب إلى القيم المشتركة، والعدالة، ووجوب الإسهام في تحقيق تلك القيم»[9] . يعتبر جوزيف ناي، في الفصل الرابع من كتابه، أن القوة الناعمة هي أصعب من غيرها، لأن العديد من مصادرها خارج عن سيطرة الدولة، وأن مدى و حجم تأثيرها يعتمد بشكل كبير على مدى قبول المستمعين لها؛ وفي بعض الأحيان قد تستغرق سنوات لتحقّق الهدف المطلوب. والقوة الناعمة تنتج عن جاذبية شخصية سياسية، فضلاً عن جاذبية الثقافة والقيم الثقافية؛ وهي على عكس القوة الصلبة التي تستخدم الرشاوي و السلاح .هذا يعني أن بعض الدول التي

تمتلك ثقافة جذابة، أو لديها إيديولوجية محببة، تمتلك قوة ناعمة كبيرة، حتى وإن لم تمتلك قوة عسكرية كبيرة . كما يشكّل تطور دولة معينة،أو انتشار قيم معينة داخل هذه الدولة، كالحرية وحماية حقوق الإنسان، عوامل جذب تخدم القوة الناعمة. أما في القوة الصلبة، فقد تلجأ الدولة إلى الخيار العسكري للتأثير على دولة ما، أو إلى استخدام أسلوب الجزيرة، أي الترغيب بجوائز ومكافآت .

ومع توسع مفهوم القوة الناعمة وازدياد الاهتمام به،إن من قبل الدول أو المؤسسات، تزايدت فرص القوة الناعمة في التحكم بالسياسية الخارجية، و ظهرت دول تمتلك قوة ناعمة كبيرة تضاهي الدول ذات القوة العسكرية الصلبة، خصوصاً مع تراجع قدرة القوة العسكرية الصلبة في الساحة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، حيث أصبحت أسلوباً مرفوضاً و خياراً مُكلفاً للدول التي تودّ الاستفادة منها.

تعريف القوة الناعمة :

يعرّف «ناي» القوة الناعمة على أنها ممارسة القوة بطريقة جذابة تختلف عن الطرق التقليدية لفرض القوة، وهي تعني قدرة الدولة على جعل غيرها يريد ما تريده، وأن تشكّل رغبات الآخرين وتضع لهم أجندة؛ وبذلك تصل إلى أهداف الدولة، عبر جعل الدول الأخرى راغبة في اتباعها بوسائل تختلف عن القوة الصلبة القائمة على القوة العسكرية بالأساس [10]. ويرى «ناي» أن القوة الناعمة تستند إلى معيارين أساسين هما:

1. نعومة أساليب ممارسة القوة: فيغلب لديه الطابع المعنوي على حساب الطابع المادي، دون أن يغيّب ذلك الطابع كلياً؛ فهي لا تقوم على تقديم حوافز، ولكن على الجذب [11].

2. نعومة مواردها: الغالب في موارد القوة الناعمة لدى جوزيف ناي هي الموارد المعنوية لا المادية. فالموارد الأساسية للقوة الناعمة حسب ناي هي الموارد المعنوية[12]. كما يلاحظ أن قائمة ناي لموارد القوة الناعمة هي قائمة مفتوحة، حيث أضاف إليها جاذبية القوة العسكرية والاقتصادية [13].

فيما يعرّف «نيتور» أدوات القوة الناعمة بأن على الوطن أن يمتلك القوة والنفوذ بسبب عوامل أخلاقية لا عسكرية، لأنه يمكن أن يكون متواضعاً وليس صلفاً متغطرساً،

لأن الوطن والشعب يقومون بخدمة الآخرين ولا يسيطرون عليهم؛ وبذلك، الأمّة التي لا تتحلى بالأخلاق ستفقد نفوذها في كل أرجاء العالم سريعاً [14]. فيما يعرّف «جين لي» القوة الناعمة بأنها القدرة على تشكيل التفضيلات والصور الذهنية للذات بالاستفادة من مصادر رمزية وفكرية، والتي قد تؤدي إلى تغيرات سلوكية في أفعال الآخرين [15].

ويمكن القول عن تعريفات القوة الناعمة بشكل عام أنها تراوحت بين جاذبية مظاهر الثقافة الشعبية، وصولاً إلى جميع أشكال القوة باستثناء الاستخدام الفعلي للقوة العسكرية. وهذا الطيف الواسع من التعريفات يمكن اختصاره في اتجاهات ثلاثة في تعريف القوة الناعمة، وهي:

الاتجاه الأول:

يعتبر هذا الاتجاه أن القوة الناعمة هي القدرة على الوصول إلى ما يريده طرف ما عن طريق الاستفادة من قوة الجذب بعيداً عن الإكراه والإجبار والطمع. وهنا يمكن الاستفادة من قوة الجذب الثقافية والسياسية. وحسب جوزيف ناي، فإن التأثير في الآخرين يتم عبر ثلاث طرق:

الإجبار

توليد الدافع

الجذب

ويرى «ناي» أن القوة الناعمة هي تلك التي تستفيد من الجذب فقط في سبيل التأثير على الآخرين [16].

الاتجاه الثاني:

يعرّف هذا الاتجاه القوة الناعمة بشكل أوسع، فيرى أنها الأسلوب المستخدم للوصول إلى الهدف. وهنا لا يكون الجذب هو الوسيلة الوحيدة للتأثير على الآخرين، فيمكن الاستفادة من مهارات الارتباط أيضاً. وقد أقدم بعض الباحثين والمفكرين على التوسع في شرح مفهوم القوة الناعمة، فعرّفت على أنها أي قوة يمكنها التأثير على الآخرين،

باستخدام كل الطرق المتاحة باستثناء التهديد[17].

وكما هو واضح، فإن الاختلاف بين التعريف الأول والثاني هو في تحديد المصادر التي يتم الاستفادة منها في تحقيق الهدف المرجو، وهو التأثير على الآخرين. والتعريف الثاني لا يرى الجاذبية العامل الوحيد للتأثير على الآخرين بالاستفادة من القوة الناعمة؛ بل يرى أنه بالإمكان الاستفادة من عوامل أخرى، كالمؤسسات الدولية والشرعية و...

الاتجاه الثالث:

هذا الاتجاه يرى أن الهدف من القوة الناعمة ليس التأثير على الآخرين، بل الهدف هو العمل على زيادة القوة الناعمة. وفي هذا الاتجاه تصبح القوة الناعمة قريبة جداً من القوة الصلبة[18].

المنهج:

تعتمد هذه المقالة منهج تحليل المضمون، الذي يهدف إلى اتباع خطوات منهجية تسهم في تشكيل قراءة تحليلية للعيّنة موضوع الدراسة،وذلك بعد تحديد العيّنة ووحدة التحليل[19].

في هذا البحث سيتم اعتبار منشورات الفيسبوك هي وحدة التحليل، والعيّنة هي المنشورات المنشورة على الصفحات المختارة منذ الأول من تموز سنة 2019 حتى الأول من تموز سنة 2020. أما فئات المضمون، فهي سياسات القوة الناعمة الإسرائيلية في هذه الصفحات التي تخدم «الأمن القومي الإسرائيلي».

سياسات القوة الناعمة التي ستتم دراستها ستشكّل فئات المضمون الرئيسية التي تندرج تحتها فئات المضمون الفرعية، وهي كالآتي:

1. **خلق صورة إيجابية عن «إسرائيل»**: مظلومية اليهود، شرعية الأعمال العسكرية (الدفاع عن النفس)، التقدم الطبي والعلمي، إنسانية «إسرائيل»، التحريض على المقاومة، التحريض على إيران، جمال «إسرائيل».

2. **تكريس «إسرائيل» كدولة ديمقراطية**: حقوق المرأة والفرد، الانتخابات، الحرية الدينية، المساواة.
3. **تسويق القيم الثقافية والإنسانية**: التقارب الديني، التقارب اللغوي، التعايش بين الأديان والسلام، إسهامات اليهود العرب في مجتمعاتهم.
4. **التأكيد على قوة روابط «إسرائيل» بالعالم**: التعاون الاقتصادي، التعاون العسكري، العلاقات الدبلوماسية، الانفتاح على العالم و السياحة.
5. **التطبيع مع العالم العربي**: التطبيع الاقتصادي والعلمي، التطبيع السياسي، التطبيع الأمني والعسكري، التطبيع الشعبي والثقافي.

الأمن القومي الإسرائيلي:

إن مسألة الأمن من المسائل المهمة في الفكر الصهيوني. وإذا كانت الصهيونية هي وليدة النظرة الإمبريالية الغربية للشرق، فلا يمكن إغفال نقطة القوة التي تمتعت بها الحركة الصهيونية. فعلى الرغم من استفادتها من الذرائع والتفسيرات الدينية المزوّرة لتبرير وجودها، فإنها حاولت أن تقدّم نفسها على أنها الحلّ الآمن لمشكلة عدم الاستقرار والأمن الذي عانى منه اليهود في أوروبا، حيث إن دمج الدين مع فكرة الأمن و الأطماع الإمبريالية هو الذي أدّى إلى ولادة إسرائيل في المنطقة على أرض الميعاد، حسب الفكر اليهودي الصهيوني، الذي حوّل فكرة الأرض المقدسة الموجودة في اليهودية، و التي تتشابه مع فكرة الأماكن المقدسة الأخرى الموجودة في الديانتين المسيحية و الإسلامية، إلى مشروع سياسي ضخم يخدم الإمبريالية العالمية .

إن الفكر الأمني «لإسرائيل» يستمد شرعيته لدى الجمهور اليهودي من التعاليم الواردة في الديانة اليهودية. وبعبارة أخرى، فإن الإطار العام المرتبط بالأمن الإسرائيلي، الذي قام بصياغته مؤسس «الدولة» بن غوريون، ينطلق من الإطار الفكري والتطبيقي للعقيدة الدينية، حيث كانت أول مهمة من مهام الأمن هي الاستيلاء على الأراضي تحت ذريعة تنفيذهم للوعد الإلهي الذي يشكل تجسيداً للقناعات اليهودية الصهيونية[20].

تعدّ السياسة الأمنية في «إسرائيل» انعكاساً للثوابت الإيديولوجية والأهداف

الكبرى[21]. ويعرّف اللواء فلنائي الأمن «بأنه الإطار الذي يعمل فيه الجيش كجزء من جهد قومي عام يعبّر عن مجمل قدرات الدولة لضمان وجودها»[22]. ويرى اللواء يسرائيل تال بأن الأمن هو «ضمان أمن الأمة و الحفاظ على مصالحها الحيوية»[23]، في ظل وجود فرضية ترى أن إسرائيل كأمة تعيش أزمة كيانية .

كما تعرّف جولدا مائير الأمن على أنه لا يمكن تحقيقه عبر الضمانات الدبلوماسية، بل يجب أن يكون عملية داخلية؛ فتقول «ما نريده ليس أن يضمن الآخرون أمن أمّتنا، بل نريد خلق ظروف مادية وحدود تضمن أمننا»[24].

إن نظريات الأمن الإسرائيلية قد تطورت حسب الظروف التي أحاطت بإسرائيل. ففي البداية كان الأمن الإسرائيلي يقوم على مبدأ الضربة الاستباقية، وهي نظرية حاولت إسرائيل من خلالها التغلب على مشكلة العمق الاستراتيجي. ومن ثم تطورت هذه الفكرة ليظهر مفهوم الردع كمفهوم بديل إلى حد ما عن مفهوم الحرب الاستباقية . وبعد أحداث «الربيع العربي» تطورت النظرة الأمنية، وأصبحت تركّز على على الحد من النفوذ الإيراني في المنطقة وتنامي حركات المقاومة، فضلاً عن الاهتمام بالجانب الاقتصادي، والعمل على التقدم في عملية السلام مع العالم العربي، وتخفيف عزلة إسرائيل في المنطقة[25].

القوة الناعمة و الأمن القومي الإسرائيلي :

في المدرسة الواقعية، كان الأمن القومي يتحقق عن طريق القوة العسكرية التي تحافظ على البلاد من التهديدات الخارجية العسكرية. ولكن،مع تطور نظريات العلاقات الدولية، بدأ الحديث عن أخطار أخرى وتهديدات غير عسكرية تهدد الأمن القومي للدول وتجعله في خطر. فالتهديد لم يعد تهديداً عسكرياً، وإنما أصبح من الممكن أن يكون إيديولوجياً ثقافياً ... وأصبح مفهوم الأمن يشمل الأمن المجتمعي والأمن الفكري. وإن كانت المدرسة الواقعية ترى أن السياسة العالمية هي سياسة القوة، فإن «ناي» يرى أنه من الضروري فهم ودراسة كل أنواع القوة، مثل قوة الأفكار والإقناع والجاذبية؛ وبذلك يمكننا القول إن القوة الناعمة تنسجم من هذا المنظور الواقعي الجديد مع النظرية الواقعية، ولاتتعارض معها؛ فيمكن للأبعاد غير العسكرية أن تخفّف من إمكانية بروز فاعلين دوليين يهدّدون الأمن بطريقة غير عسكرية، خصوصاً مع ثورة المعلومات التي كثّفت من دور الوعي

الجماهيري . وبذلك نرى أن جوزيف ناي كان يصرّ على عدم وضع القوة الناعمة تحت أي مدرسة من مدارس العلاقات الدولية، سواء الليبرالية أو الواقعية أو البنائية؛ بل يرى أن القوة الناعمة هي واحدة من القوة التي تستخدم لتحقيق مصالح الدول [26].

وتندرج القوة الناعمة تحت القوى التي يتم استخدامها في السياسة الخارجية للدول، لتحقيق أهداف الدولة والحفاظ على أمنها ومصالحها. وقد حاول البعض التشكيك في مدى فاعلية القوة الناعمة في التأثير على قضايا الأمن والسياسة الخارجية، معتبرين أن القوة الناعمة هي قوة تستهدف الرأي الجماهيري . وحسب قولهم، فإن الرأي العام لا يلعب دوراً أساسياً في قضايا الأمن القومي، خصوصاً عند الحديث عن الأنظمة الغير ديمقراطية التي يقلّ فيها تأثير الرأي العام؛ لكن جوزيف ناي ردّ على المشكّكين بقدرة القوة الناعمة على التأثير على القضايا الأمنية، معتبراً أن القوة الناعمة لها نموذجان في التأثير :[27]

النموذج الأول: التأثير المباشر الذي يستهدف النخب السياسية التي تؤثر بشكل مباشر على اتخاذ القرارات والسياسات الحكومية.

النموذج الثاني: التأثير غير المباشر الذي يتم من خلال التأثير على الجماهير، ما يؤدي إلى خلق بيئة معارضة تشكل مجموعة ضغط تضغط على صانعي القرار.

كما يمكن القول إن الصورة الفضلى للقوة الناعمة تؤكد على أن قوة الجذب لا تعدّ قوة آنية، بل يجب أن تصبح تعبيراً عن توجه المجتمع، وتتعمق في الأفكار والخيارات، ما يؤثر على الأمن الفكري والمجتمعي. وعند الحديث عن القوة الناعمة وعلاقاتها بالأمن القومي، تُطرح في الأذهان مسألة مدى تأثير القوة الناعمة على الجوانب التي تسود فيها التهديدات الأمنية. لكن «ناي» استطاع التمييز بين ثلاثة مجالات تؤثر فيها القوة الناعمة، مع اختلاف درجات التأثير وأشكاله، وهي [28]:

- التأثير الممتد في أهداف المحيط أو السياق Milieu goals: و هو يستهدف تغيير البيئة الخارجية و الفاعلين فيها بما يتناسب و مصالح الدولة التي تعزّز الأمن القومي؛ و هذا التأثير يكون في المدى البعيد.

- التأثير المكمّل في أهداف التملك Possession goals: تتقلص هنا مكانة و أهمية القوة الناعمة في تحقيق الأهداف، لكن تبقى مهمة في مجال التأثير على المدى الطويل لتسهيل الوصول إلى الأهداف.
- التأثير الأساسي في القضايا العابرة للقوميات والأبعاد الجديدة للقضايا العسكرية: خصوصاً عند الحديث عن الإرهاب و المقاومة، فضلاً عن التهديدات البيئية.

وهنا نلاحظ أن «إسرائيل» يمكن لها أن تستخدم القوة الناعمة في سبيل تحقيق الأهداف المتعلقة بالمحيط، إذ إن تلطيف البيئة المحيطة بها يمكن أن يعزّز من أمنها القومي؛ كما يمكن أن تستخدمها فيما يتعلق بالأبعاد الجديدة للقضايا العسكرية، كالإرهاب، حيث تكون القوة الناعمة مؤثراً مهماً وأساسياً.

أهمية الفيسبوك لإسرائيل:

بعد مضي سنوات على عمليات التطبيع بين بعض الحكومات العربية وإسرائيل،فشلت إسرائيل في جعل هذا التطبيع تطبيعاً شعبياً [29]. ومع ظهور وسائل التواصل الاجتماعي، اغتنمت «إسرائيل» الفرصة لتسمع صوتها وتنقل أفكارها إلى عدد لامحدود من الشعوب العربية، لاسيما شعوب «الطوق العربي» المحيطة بإسرائيل .وقد تصدّت لهذه المهمة بشكل رئيسي وزارة الخارجية الإسرائيلية.

ظلّت «إسرائيل» تعاني من مشكلة حقيقية في الوصول إلى المخاطب العربي. وقد برزت أهمية المخاطب العربي بوجه خاص بعد سنة2011 حيث كانت بحاجة إلى التوجه إلى المخاطب العربي الذي كان على وشك الحصول على حكومة تمثل إرادته وتعزز رؤيته؛ إذ كان الإعلام العربي الرسمي في تلك المرحلة يحرّض على «إسرائيل» ويتبنى خطاباً معادياً لها؛ وكانت المشكلة تكمن في كون المحطات الفضائية الإسرائيلية الناطقة باللغة العربية لا تصل إلى الجمهور العربي بالشكل الذي تصل إليه الفضائيات العربية الرسمية. لذلك كان لابد لإسرائيل من التوجه إلى وسائل الإعلام البديل، الذي يستطيع الوصول إلى المواطن العربي بشكل أسرع وأسهل في ظل غياب القيود التى تفرضها الحكومات العربية[30].

يعدّ موقع فيسبوك من أكثر مواقع التواصل الاجتماعي التي تحظى بشعبية عربية كبيرة؛ إذ إن واحداً من بين ثلاثة أشخاص في مصر يمتلك حساباً في الفيسبوك. ويناهز عدد مستخدمي تطبيق فيسبوك في العالم العربي 156 مليون مستخدم؛ فيما تحلّ مصر في المرتبة الأولى من حيث استخدام هذا الموقع، إذ يستخدمه 35 مليون مستخدم؛ وتأتي السعودية ثانياً بحوالي 18 مليون مستخدم، والمغرب ب 15 مليون مستخدم، ثم العراق بحوالي 14 مليون مستخدم [31] .

و بحسب إحصاء سنة 2020، فإن استخدام مواقع الفيسبوك في الدول العربية، مقارنة بغيرها من مواقع التواصل الاجتماعي، جاء كالآتي :

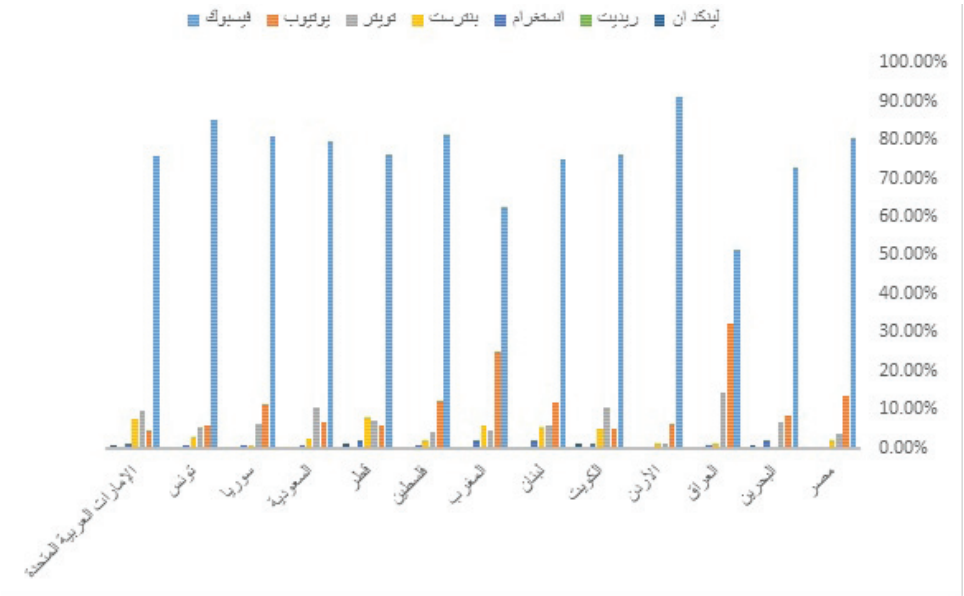

1– استخدامات مواقع التواصل الاجتماعي لدى بعض الدول العربية: من أكتوبر 2019 إلى أكتوبر 2020 [32]

تعريف الصفحات المدروسة:

هناك العديد من الصفحات الإسرائيلية الرسمية الموجودة في موقع فيسبوك، ومنها صفحات مرتبطة بالدوائر والمؤسسات الرسمية والحكومية الإسرائيلية، ومنها ما هو مرتبط بوزارة الخارجية الإسرائيلية، ومنها الصفحة الخاصة بالمتحدث بلسان جيش الاحتلال

الإسرائيلي للإعلام العربي.وكل هذه الصفحات تعمل في ظل استراتيجية موحدة في سبيل تحقيق المصالح الأمنية الإسرائيلية في المنطقة العربية، عن طريق نقل الرؤية الإسرائيلية إلى الجمهور العربي المستهدف. وهذه الصفحات تتحدث باللغة العربية، وهي لغة الجمهور المستهدف، وتهتم بنقل صورة جيدة عن إسرائيل ومعالجة الهواجس والمخاوف العربية من وجهة نظر إسرائيلية. إن تنوع الجهات المشرفة على هذه الصفحات يعود إلى مركزية وأهمية العالم العربي في الأبعاد الثلاثة للسياسة الإسرائيلية، وهي: السياسية الأمنية والسياسة الداخلية والسياسة الخارجية لإسرائيل .

وفي هذه الدراسة تم اختيار خمس صفحات ليتم دراستها. أما المعايير المتبعة في اختيار الصفحات المدروسة، فهي :

1. الأخذ بعين الاعتبار اختيار صفحات تختلف فيها الجهة المشرفة والقائمة على هذه الصفحة، بحيث تتمكن الدراسة من أن تخلص إلى استنتاجات شبه شاملة فيما خصّ توظيف القوة الناعمة لإسرائيل في صفحات الفيسبوك الرسمية الناطقة باللغة العربية، من قبل كافة الجهات المشرفة على هذه الصفحات.
2. الأخذ بعين الاعتبار اختيار صفحات يتنوع فيها الجمهور العربي المستهدف، مثل الشعب المصري أو العراقي أو الأردني، ما يجعلنا أدق في فهم الخطاب الإسرائيلي الموجّه إلى كل شعب واختلافه، مع توحده في الوصول إلى هدف واحد هو حماية المصالح الإسرائيلية .
3. الالتفات إلى ضرورة انتقاء الصفحات الأكثر نشاطاً وفاعلية، ما يمكّننا من الحصول على كم وفير من المنشورات التي ستتم دراستها .

ووفقاً للمعايير المذكورة، فقد وقع الاختيارعلى هذه الصفحات:

صفحة «إسرائيل تتكلم بالعربية»:

تم إنشاء هذه الصفحة من قبل وزارة الخارجية الإسرائيلية، وهي تحاول نقل معلومات عن «إسرائيل». يرجع تاريخ إنشاء الصفحة إلى أغسطس سنة2011 و هي تعتبر من أكثر الصفحات الإسرائيلية الرسمية الناطقة باللغة العربية فعالية، من حيث عدد المنشورات،

ومن حيث عدد المتابعين الذي تخطى المليوني متابع؛ عدا عن الزوّار الذين يزورون الصفحة دون أن يقوموا بكبس زر المتابعة أو الإعجاب[33] .

صفحة «إسرائيل في الأردن»:

هذه الصفحة أيضاً تتم إدارتها من قبل وزارة الخارجية الإسرائيلية. وهي تتوجه إلى الجمهور الأردني على وجه الخصوص، لما للأردن من أهمية كبيرة بالنسبة لإسرائيل. فهي من دول الطوق العربي (أي الدول التي تحد فلسطين المحتلة)، وتربطها مع «إسرائيل» «معاهدة سلام»، بموجبها حصلت «إسرائيل» على أراضي خصبة موجودة في غور الأردن، والتي أعلنت إسرائيل بشكل صريح عن رغبتها بالاحتفاظ بهذه المنطقة وضمّها إلى كيانها الغاصب[34].

صفحة «إسرائيل باللهجة العراقية»:

هي صفحة تشرف عليها وزارة الخارجية الإسرائيلية، وتعكس الاهتمام الإسرائيلي بالجمهور العراقي. وقد عرّفت وزارة الخارجية الإسرائيلية عن الصفحة بوصفها مكاناً لخلق فرص للحوار بين الشعب العراقي والإسرائيلي على حد تعبيرها، خصوصاً مع كون بلاد الرافدين تحتل مكانة خاصة في قلوب اليهود وفي التاريخ اليهودي[35]. يتابع هذه الصفحة أكثر من 300 ألف متابع.

صفحة «إسرائيل في مصر»:

هي تابعة للسفارة الإسرائيلية في مصر. تم إنشاء هذه الصفحة لمخاطبة الجمهور المصري. يبلغ عدد متابعي الصفحة حوالي 261 ألف متابع، و عدد المعجبين 243 ألف معجب[36]. تتم إدارة الصفحة من قبل السفارة الإسرائيلية في مصر .

صفحة أفيخاي أدرعي:

تعتبر ثاني الصفحات الإسرائيلية الرسمية الناطقة باللغة العربية من حيث الفاعلية . يبلغ عدد متابعيها أكثر من 1.7 مليون متابع، وعدد المعجبين وصل إلى 1.6 مليون [37] . تم إنشاء الصفحة سنة 2011 لنشر أخبار الجيش الإسرائيلي وإظهاره بصورة أكثر إنسانية[38].

تعريف فئات المضمون:

فئة المضمون الأولى «خلق صورة إيجابية عن إسرائيل»:

تتضمن فئات المضمون الفرعية الآتية:

مظلومية اليهود:

تضم هذه الفئة كل المنشورات التي تتحدث عن الهولوكوست وأحداث الفرهود وتهجير يهود مصر.

شرعية الأعمال العسكرية:

كل المنشورات الموجودة في هذه الصفحات التي تتحدث عن الأعمال العسكرية الإسرائيلية كردّ فعل أو للدفاع عن النفس، تندرج تحت فئة المضمون الفرعية هذه.

التقدم العلمي والطبي:

فئة المضمون الفرعية هذه تشمل كل المنشورات التي تتحدث عن التطور الطبي والاختراعات الإسرائيلية الفريدة والجديدة، بالاضافة إلى المنشورات المتعلقة بالتطور الزراعي والصناعي في إسرائيل . كما توضع تحت هذه الفئة المنشورات التي تتحدث عن تحويل الصحاري إلى مدن عظيمة داخل إسرائيل؛ فضلاً عن المنشورات التي تتحدث عن المكانة العلمية المتقدمة لإسرائيل.

«إنسانية إسرائيل»:

إن المنشورات الموجودة في الصفحات موضوع الدراسة، التي تندرج تحت هذه الفئة الفرعية، هي تلك التي تتحدث عن المواضيع الآتية : المساعدات الإسرائيلية للفلسطينيين، سواء كانت من الإسرائيليين أنفسهم، أو من جهات رسمية إسرائيلية، أو من جهات عسكرية، كجيش الاحتلال الاسرائيلي.

التحريض على المقاومة:

تحت هذه الفئة من فئات المضمون الفرعية تندرج كل المنشورات على الصفحات موضوع الدراسة، التي تصف المقاومة بالإرهاب،أو تساوي بين «داعش» والمقاومة، أو

تلك التي تعتبرأن المقاومة هي سبب تخلف المجتمعات العربية وشقائها؛ وبعبارة أخرى، كل المنشورات التي تشوّه صورة المقاومة.

التحريض على إيران:

تضم كل المنشورات التي تتحدث عن المد الشيعي والإرهاب الإيراني؛ وكذلك تلك التي تتحدث عن انتهاك إيران لسيادة بعض الدول العربية. و باختصار، يمكن القول إن فئة المضمون هذه تضم كل المنشورات التي تشوّه صورة إيران .

استعراض «جمال إسرائيل»:

كل المنشورات الموجودة في الصفحات موضوع الدراسة، التي تتحدث عن «جمال إسرائيل»، وتستعرض صوراً لأماكن جميلة مثل مدينة تل أبيب وبعض المدن الساحلية الإسرائيلية المهمة، تندرج تحت هذه الفئة من فئات المضمون الفرعية.

فئة المضمون الثانية «تكريس إسرائيل كدولة ديمقراطية»:

وتندرج تحت فئة المضمون هذه فئات المضمون الفرعية الآتية:

حقوق المرأة و الفرد:

تندرج تحت فئة المضمون الفرعية هذه كل المنشورات التي تتحدث عن حقوق الفرد والمواطن الإسرائيلي؛ بالإضافة إلى تلك التي تتحدث عن حقوق المرأة والمكانة التي وصلت إليها في «إسرائيل»؛ فضلاً عن الإحصائيات التي تعكس رضى المرأة الإسرائيلية عن الحياة في «إسرائيل».

الانتخابات:

تحت هذه الفئة الفرعية من فئات تحليل المضمون، تم وضع كل المنشورات التي تتحدث عن العملية الانتخابية في «إسرائيل»، وعن تصويت العرب أو العسكريين أو الشخصيات السياسية.

الحرية الدينية و الثقافية:

وتندرج تحت هذه الفئة كل المنشورات التي تتحدث عن: الطقوس الدينية للمسلمين في «إسرائيل»، طقوس الشركس في «إسرائيل»، حفاظ اليهود العرب على ثقافتهم العربية، الطقوس الدينية للمسيحيين في إسرائيل.

المساواة:

تندرج تحت هذه الفئة المنشورات التي تحمل المضامين الآتية: المساواة بين الرجل والمرأة، المساواة بين العرب واليهود في إسرائيل.

فئة المضمون الثالثة » تسويق القيم الثقافية والأفكار الصهيونية»:

تحت هذه الفئة من فئات تحليل المضمون تأتي الفئات الفرعية الآتية:

التقارب الديني:

تندرج تحت فئة المضمون الفرعية تلك كل المنشورات التي تحمل هذه المضامين: اليهود والمسلمون أبناء عم، وحدة الأديان السماوية التي ترجع إلى النبي إبراهيم(ع)، المشتركات الدينية بين اليهودية والإسلام، نشر معلومات عن الطقوس الدينية والأعياد اليهودية .

التقارب اللغوي:

تندرج تحت هذه الفئة الفرعية المنشورات التي تحمل المواضيع الآتية: تعليم اللغة العبرية، الكلمات المشتركة بين اللغتين، الجذر السامي الواحد للغتين .

التعايش بين الأديان و السلام:

تندرج تحت هذه الفئة من فئات تحليل المضمون المنشورات التي تحمل المضامين الآتية: التهنئة بالأعياد الإسلامية، الدعوة إلى السلام، حب إسرائيل للسلام، الانفتاح على الثقافة الإسلامية.

إسهامات اليهود العرب في مجتمعاتهم:

تندرج تحت فئة المضمون الفرعية هذه المنشورات التي تحمل المضامين الآتية: دور اليهود في تطور الدول العربية، حياة اليهود الناجحين في الدول العربية، الآثار العلمية والمعمارية اليهودية في الدول العربية.

يهودية إسرائيل:

إن كل المنشورات التي تتحدث عن الحق اليهودي في أرض فلسطين، وعن وعد الرب لهم، وعن يهودية أرض إسرائيل، تندرج تحت فئة المضمون الفرعية هذه.

فئة المضمون الرابعة «التأكيد على قوة روابط إسرائيل مع العالم»:

في فئة المضمون هذه هناك الفئات الفرعية الآتية:

التعاون الاقتصادي:

تندرج تحت فئة المضمون الفرعية هذه كل المنشورات التي تتحدث عن علاقات إسرائيل الاقتصادية مع العالم، باستثناء العالم العربي.

التعاون العسكري:

إن كل المنشورات الموجودة على الصفحات موضوع الدراسة، والتي تتحدث عن المناورات العسكرية المشتركة بين إسرائيل ودول العالم باستثناء الدول العربية، تندرج تحت فئة المضمون الفرعية هذه.

السياحة:

كل المنشورات على الصفحات التي ستتم دراستها، وتتحدث عن السياحة العالمية في إسرائيل، سيتم إدراجها تحت هذه الفئة الفرعية.

العلاقات السياسية:

تندرج تحت هذه الفئة الفرعية كل المنشورات التي تتحدث عن الزيارات الرسمية

لإسرائيل، أو عن التعاون السياسي بين إسرائيل ودول العالم باستثناء الدول العربية.

فئة المضمون الخامسة «التطبيع مع العالم العربي»:

تتضمن فئات المضمون الفرعية هذه:

التطبيع الاقتصادي والعلمي:

يندرج تحت هذه الفئة الفرعية من فئات تحليل المضمون، الحديث عن التعاون الاقتصادي والعلمي بين الدول العربية وإسرائيل.

التطبيع السياسي:

كل المنشورات التي تتحدث عن العلاقات السياسية والاتفاقيات السياسية بين الدول العربية واسرائيل سيتم تصنيفها تحت هذه الفئة.

التطبيع الأمني العسكري:

تشمل كل المنشورات التي تتحدث عن اللقاءات الأمنية والمؤتمرات التي تتحدث عن أمن المنطقة، وتضع استراتيجيات مشتركة في المنطقة، أو توحّد النظرة الأمنية العربية والإسرائيلية تجاه التحديات والمخاطر التي تتهدد المنطقة.

التطبيع الشعبي و الثقافي:

تندرج تحت هذه الفئة المنشورات التي تتحدث عن الزيارات غير الرسمية للعرب او السياح العرب إلى إسرائيل، أو الرسائل التي يرسلها الشعب العربي إلى الإسرائيليين، وعلاقات الصداقة التي تجمع بعض العرب والإسرائيليين، أو أي شيء يبادر به الشعب العربي ويعبّرفيه عن حبّه لإسرائيل.

تحليل الصفحات:

بعد تحليل الصفحات الخمس، يمكن التوصل إلى الجدول التالي الذي يضم عدد المنشورات التي توزعت على فئات المضمون الفرعية للمضامين الخمسة:

		إسرائيل تتكلم بالعربية	إسرائيل في الاردن	إسرائيل باللهجة العراقية	إسرائيل في مصر	أفيخاي أدرعي
خلق صورة إيجابية عن إسرائيل	مظلومية اليهود	22	3	26	9	18
	شرعية الأعمال العسكرية	7	0	0	1	76
	التقدم العلمي والطبي	92	21	20	20	45
	إنسانية إسرائيل	38	6	12	11	79
	التحريض على المقاومة	30	0	1	3	100
	التحريض على إيران	37	0	32	4	44
	استعراض جمال إسرائيل	48	11	5	21	23
تكريس إسرائيل كدولة ديمقراطية	حقوق المرأة والفرد	44	5	2	2	36
	الانتخابات	5	1	1	7	7
	الحرية الدينية والثقافية	51	13	10	8	48
	المساواة	6	7	3	3	15
تسويق القيم الثقافية والأفكار الصهيونية	التقارب الديني	37	10	15	8	31
	التقارب اللغوي	12	2	7	2	11
	التعايش بين الأديان والسلام	100	31	37	51	154
	إسهامات اليهود في مجتمعاتهم	29	5	81	7	1
	يهودية إسرائيل	24	0	7	8	81
التأكيد على روابط إسرائيل مع العالم	التعاون الاقتصادي	1	0	0	1	0
	التعاون العسكري	1	0	0	0	9
	السياحة	4	0	1	4	2
	العلاقات السياسية	1	0	1	5	0
التطبيع مع العالم العربي	التطبيع الاقتصادي والعلمي	33	13	2	26	3
	التطبيع السياسي	38	0	2	16	0
	التطبيع الأمني والعسكري	1	0	0	1	2
	التطبيع الشعبي والثقافي	81	1	23	21	18

Figure 2 – توزع المنشورات في الصفحات المدروسة

بعد تحليل الصفحات موضوع الدراسة، يمكن القول إن فئة المضمون: خلق صورة إيجابية عن إسرائيل، تستحوذ على أهمية كبرى مقارنة بباقي فئات المضمون الأخرى؛ فهي إن لم تحلّ في المرتبة الأولى من حيث عدد المنشورات التي اندرجت تحت هذه الفئة، قد حلّت ثانياً. ففي الصفحات العامة التي تتوجه إلى كل الجمهور العربي، كصفحة إسرائيل تتكلم بالعربية وصفحة أفيخاي أدرعي، حلّت هذه الفئة في المرتبة الأولى من

حيث عدد المنشورات، فيما حلّت ثانياً في باقي الصفحات التي خصّصت لشعب معيّن.

وتندرج تحت فئة المضمون: خلق صورة إيجابية عن إسرائيل، سبع فئات مضمون فرعية هي: مظلومية اليهود، وشرعية الأعمال العسكرية، والتقدم العلمي والطبيب، وإنسانية إسرائيل، والتحريض على المقاومة، والتحريض على إيران، وجمال إسرائيل. وقد ركّزت المنشورات ضمن فئة المضمون هذه على فئة المضمون الفرعية :التقدم الطبي والعلمي، في كلٍ من صفحة إسرائيل تتكلم بالعربية،وإسرائيل في الأردن، وإسرائيل في مصر، في حين كان التركيز على فئة المضمون الفرعية: التحريض على المقاومة في صفحة أفيخاي أدرعي، والتحريض على إيران في صفحة إسرائيل باللهجة العراقية. إن التركيزعلى التقدم العلمي والطبي في الصفحات الثلاث يعود إلى كون العالم العربي يشكو من الضعف في المجالين العلمي والطبيب، مما يظهر إسرائيل كدولة متقدمة؛ وبذلك تتحسن صورتها . أما في صفحة إسرائيل باللهجة العراقية، فإن طبيعة النسيج الاجتماعي والثقافي للعراق تجعله أكثر الشعوب العربية قرباً من إيران؛ وحيث إن عدداً لابأس به من التيارات الموجودة في العراق تكن مشاعر طيبة لإيران، لذلك لابد من تشويه صورة إيران لدى الجمهور العراقي لتتحسن صورة إسرائيل؛ وهذا ما يفسّر استحواذ فئة المضمون الفرعية: التحريض على إيران، على مركز الصدارة من حيث عدد المنشورات في فئة المضمون: خلق صورة إيجابية عن إسرائيل. وفي صفحة أفيخاي أدرعي، تستحوذ فئة المضمون الفرعية: التحريض على المقاومة، على مركز الصدارة من حيث عدد المنشورات ضمن فئة المضمون: خلق صورة إيجابية عن إسرائيل، حيث المعادلة تظهر جلية: تشويه صورة المقاومة وانخفاض شعبيتها يحسّن من صورة إسرائيل. والسبب الثاني للتركيز على فئة المضمون الفرعية هذه، كون الصفحة تتبع جهة عسكرية.أما فئات المضمون الفرعية الأقل انتشاراً في هذه الصفحات فهي شرعية الأعمال العسكرية، باستثناء صفحة أفيخاي أدرعي، وذلك يرجع إلى كون الصفحة تتبع لجهة عسكرية؛ فهي تركّز على المضامين العسكرية.

وتحتل فئة المضمون :تسويق القيم الثقافية والإنسانية، مركز الصدارة في صفحة إسرائيل في مصر وصفحة إسرائيل باللهجة العراقية؛ وتحتل صفحة إسرائيل في الأردن المرتبة الثانية بعد فئة المضمون: خلق صورة إيجابية، بفارق منشورين فقط . وهذه الفئة تحتل المرتبة الثانية في صفحة إسرائيل تتكلم بالعربية وصفحة أفيخاي أدرعي. وضمن فئة المضمون

هذه تعد فئات المضمون الفرعية: التعايش بين الأديان والسلام، من أكثر الفئات استحوذاً على المنشورات في أربع صفحات، باستثناء صفحة إسرائيل باللهجة العراقية، حيث تعد فئة المضمون الفرعية: إسهامات اليهود في مجتمعاتهم، الأكثر انتشاراً. ويمكن القول إن سبب الانتشار الكبير لفئة المضمون الفرعية: التعايش بين الأديان والسلام، هو كون المجتمع العربي ذا أغلبية مسلمة؛ وهذه الفئة إن لم تكن ملتزمة بالإسلام التزاماً كلياً، فهي تمتلك جذوراً ثقافية مرتبطة بالاسلام، تسهم في صياغة تفضيلاتهم .ومن الطرف الآخر، فإن إسرائيل هي دولة يهودية صهيونية. وكون أن إسرائيل لاتعترف إلا باليهودية الصهيونية، يصبح التعايش مع الدين اليهودي، من وجهة النظر الإسرائيلية،هو قبول الصهيونية واعطاء شرعية عربية شعبية لهذه الإيديولوجية .أما فيما خص صفحة إسرائيل باللهجة العراقية، فإن توجه هذه الصفحة بشكل خاص إلى الشعب العراقي يجعلها تصب اهتمامها على الحديث عن إسهامات اليهود في العراق، خصوصاً وأنهم كانوا من الأقليات الفعالة التي تضرب جذورها في العمق العراقي.

وفي فئة المضمون هذه، تُعدّ فئة المضمون الفرعية: التقارب اللغوي، من أقل فئات المضمون انتشاراً في صفحات: إسرائيل تتكلم بالعربية وإسرائيل باللهجة العراقية، وإسرائيل في مصر. وفي صفحة أفيخاي أدرعي، تعدّ فئة المضمون الفرعية: إسهامات اليهود في مجتمعاتهم، الأقل انتشاراً؛ وهذا يرجع إلى طبيعة الصفحة التي تهتم بالمسائل العسكرية والأمنية. وفي صفحة إسرائيل في الأردن، تعدّ فئة المضمون الفرعية: يهودية إسرائيل، الأقل انتشاراً تحت فئة المضمون هذه أيضاً.

وتحتل فئة المضمون: التطبيع مع العالم العربي، المركز الثالث من حيث عدد المنشورات الموجودة تحت هذه الفئة، في صفحات: إسرائيل تتكلم بالعربية وإسرائيل باللهجة العراقية وإسرائيل في مصر؛ في حين تأتي رابعاً في كل من صفحة إسرائيل في الأردن وصفحة أفيخاي أدرعي. يمكن القول إن السبب في هذا الترتيب يعود إلى كون التطبيع من الأمور المهمة التي تسعى إسرائيل لتحقيقها، وهو ما دفعها للحديث عنه في صفحة إسرائيل تتكلم العربية، حيث يتم التركيز ضمن هذه الفئة على فئة المضمون الفرعية :التطبيع الشعبي والثقافي، ويغيب التطبيع الأمني والعسكري، انطلاقاً من حقيقة مفادها أن إسرائيل يمكنها فرض التطبيع السياسي والأمني على الدول العربية، لكن لايمكنها فرض التطبيع الشعبي

والثقافي على الشعوب. في حين ترتفع قيمة فئة المضمون: التطبيع مع العالم العربي، في صفحة إسرائيل باللهجة العراقية، لأن العراق لاتربطه علاقات سياسية رسمية مع إسرائيل، ما يعني أنه لم يدخل مرحلة التطبيع الرسمي؛ وهذا ما يجعل إسرائيل مهتمة بهذا الموضوع. وكون أن التطبيع السياسي لابد أن يكون وليداً لتطبيع شعبي وثقافي، جرى التركيز على فئة المضمون الفرعية هذه، في حين غاب التطبيع الأمني والعسكري كلياً.

وكذلك، في صفحة «إسرائيل في مصر»، يتم التركيز على فئة المضمون الفرعية: التطبيع الاقتصادي، وذلك لأن مصر وإسرائيل ترتبطان بمعاهدة «سلام». لكن معاهدة «السلام» هذه لم تستطع أن تنتج علاقات اقتصادية مع إسرائيل تكون مقبولة من قبل عموم الشعب المصري من جهة؛ومن جهة أخرى، في محاولة لاستمالة الشعب المصري نحو التطبيع الشعبي من البوابة الاقتصادية في ظل معاناة الاقتصاد المصري. في حين رأينا أن فئة المضمون الفرعية: التطبيع الأمني والعسكري،مغيّبة.

أما في الصفحات التي احتل التطبيع فيها المركز الرابع، فيمكن شرح الحالة بحسب كل صفحة. ففي صفحة أفيخاي أدرعي، التي تركّز على المحتوى العسكري، لابد وأن يكون التطبيع في درجة منخفضة من حيث الاهمية مقارنة بباقي الموضوعات، فنراه حلّ في المرتبة ما قبل الأخيرة. وفي صفحة إسرائيل في الأردن، فإن الأردن بطبيعة الحال تربطه معاهدة «سلام» مع إسرائيل منذ أكثر من عشرين سنة؛ لذلك تتراجع أهمية هذا المضمون في هذه الصفحة. وقد يتساءل القارئ: ألم تدخل مصر مرحلة التطبيع الرسمي هي الأخرى، فلماذا لم يتراجع الاهتمام بالمضمون هذا في صفحة إسرائيل في مصر؟ يمكن القول إن ذلك يرجع إلى الأحداث الأخيرة التي حصلت في مصر، ضمن ما سمّي بالربيع العربي، التي فتحت الباب أمام احتمالية انتهاء مرحلة التطبيع بين الطرفين في ظل استمرار الرفض الشعبي لها؛ في حين أن أحداث «الربيع العربي» في الأردن لم تؤدّ إلى حصول تغيير في الطبقة الحاكمة.

أما فيما خص فئة المضمون: تكريس إسرائيل كدولة ديمقراطية، فقد رأينا أنه في كل الصفحات تم التركيز على فئة المضمون الفرعية: الحرية الدينية والثقافية ؛ويرجع ذلك إلى كون الوطن العربي يفتقر إلى هذه الحرية، حيث تشكو الأقليات الثقافية والدينية من

الإجحاف الحاصل بحقها؛ في حين نرى أن فئة المضمون الفرعية: الانتخابات، قد حلّت أخيراً من حيث عدد المنشورات تحت فئة المضمون هذه، في أربع صفحات، باستثناء صفحة إسرائيل في مصر، التي حلّت فيها فئة المضمون :حقوق المرأة والفرد، أخيراً.

أما فئة المضمون: التأكيد على روابط إسرائيل مع العالم، فقد حلّت أخيراً في كل الصفحات، وذلك يرجع إلى كون المضمون هذا على درجة منخفضة من الأهمية عند المخاطب العربي مقارنة بباقي المضامين. فعلاقة إسرائيل الجيدة والممتازة مع الغرب في بداية إنشائها لم تدفع العرب إلى قبولها في المنطقة.

وأخيراً، يمكن الخروج بالاستنتاج الآتي: بشكل عام، إن الصفحات التي تتوجه إلى الجمهور العربي ككل تركّز على خلق صورة إيجابية عن إسرائيل، كصفحة أفيخاي أدرعي وصفحة إسرائيل تتكلم بالعربية، في حين تركّز الصفحات المخصصة لشعب عربي معين على تسويق القيم الثقافية والأفكار الصهيونية، كصفحات: إسرائيل في مصر وإسرائيل باللهجة العراقية. وفي صفحة إسرائيل في الأردن، تتساوى تقريباً فئتا المضمون :خلق صورة إيجابية لإسرائيل مع تسويق القيم الثقافية، حيث الاختلاف بينهما في منشورين فقط.

وتتمحور صفحة أفيخاي أدرعي، في خلقها صورة إيجابية عن إسرائيل، بتركيزها على التحريض على المقاومة، على خلاف صفحة إسرائيل تتكلم بالعربية،التي تركز على التقدم العلمي والطبي. وهذا الاختلاف يرجع إلى طبيعة كل صفحة؛ فصفحة أفيخاي أدرعي هي صفحة تتبع لجهة عسكرية، وكان لابد لها من الاهتمام بالجانب العسكري دون باقي الجوانب، في حين أن صفحة إسرائيل تتكلم بالعربية هي صفحة ذات طابع مدني، وتتضمن موضوعات متنوعة، وكان لابد لها من التركيز على الجانب العلمي. وهذا ما يجعل صفحة أفيخاي أدرعي تتجه إلى تحسين صورة إسرائيل عن طريق التركيز على تحسين صورة جيش الاحتلال الإسرائيلي.

أما الصفحات الأخرى التي تركّز على تسويق القيم الثقافية والأفكار الصهيونية، فيتم التركيز على القيم التي تعني الشعب المستهدف.فصفحتا :إسرائيل في مصر وإسرائيل في الأردن، تركزان على التعايش بين الأديان والسلام، على اعتبار أن البلدين في علاقتهما

مع إسرائيل دخلا مرحلة السلام السياسي، ويحتاجان الآن إلى الدخول في مرحلة السلام الفعلية التي تنطلق من ممارسات الشعب. لذلك يتم التركيز على نشر أفكار السلام والتعايش .

فيما تركز صفحة إسرائيل باللهجة العراقية على إسهامات اليهود في مجتمعاتهم، مما يفتح الباب أمام إسرائيل للدخول إلى العراق عن طريق اليهود، باعتبار أن إسرائيل لا تريد علاقات رسمية مع العراق من أجل مصالحها الخاصة؛ بل هي تريد ذلك من أجل اليهود العراقيين الذين أسهموا كثيراً في دعم العراق وتطويره عندما كانوا مواطنين فيه. وبذلك يدخل الشعب العراقي والحكومة العراقية في سلام مع إسرائيل.

تأثير الصفحات:

يتيح موقع الفيسبوك للأفراد مزية التواصل مع الآخرين. فإذا كان الهدف العام من الشبكة العنكبوتية هو نقل المعلومات، فإن شبكات التواصل الاجتماعي، ومنها الفيسبوك، تهدف إلى خلق بيئة يستطيع الأفراد من خلالها التواصل فيما بينهم بعيداً عن الاختلافات والمحدوديات التي قد تحد من هذا التواصل في الفضاء الواقعي. وهذه المزية التفاعلية هي التي تحبّب روّاد تلك المواقع بها؛ فهم يتفاعلون مع الأشياء المنشورة بشتى الطرق والأساليب. كما تتميز هذه المواقع بأنها تفسح المجال أمام روّادها للتعبير عن آرائهم وأفكارهم وتطلعاتهم بطريقة بسيطة وسهلة. وهذه المميزات هي التي تجعل من مواقع التواصل الاجتماعي ككل منصّات جذابة، تجذب أعداداً هائلة من الشباب إليها.

ومع تزايد أعداد روّاد هذه المواقع، استطاعت تلك المنصات أن تستحوذ على مكانة مرموقة في لائحة اهتمامات الشباب. ومن هنا انطلقت الدراسات التي تسعى إلى دراسة مدى قدرتها على التأثير. ففي دراسة أجريت سنة 2008، كان الهدف هو فهم تأثير الفيسبوك على الطلبة في الجامعات السعودية. وقد خلصت الدراسة إلى النتيجة الآتية: إن الفيسبوك استطاع أن يتخطى في حجم تأثيره وسائل الإعلام الأخرى[39].

أما فيما يخص الصفحات الإسرائيلية الرسمية الناطقة باللغة العربية، فللأسف، تغيب الدراسات التي ترصد حجم تأثير هذه الصفحات في الشباب العربي، أو حتى الدراسات

التي تتناول التفاعل العربي وردود الفعل على هذه الصفحات. ومع قلة المصادر وغياب الدراسات في هذا البحث، يمكن، لمعرفة مدى تأثير هذه الصفحات، الاعتماد على مؤشرات ومعطيات أخرى.

وبالاستناد إلى المؤشرات التي سيتم شرحها في الأسفل، يمكن القول إن صفحات الفيسبوك الرسمية الإسرائيلية قد استطاعت التأثير في المخاطب العربي المستهدف، وإن هذه الصفحات باتت تسير في المسار الصحيح للوصول إلى أهدافها. ويمكن الاستدلال على ذلك بالرجوع إلى المعايير الآتية، التي رجّحها الباحث في ظل غياب الدراسات الإحصائية. وتلك المعايير هي:

تزايد عدد المتابعين:

إذ تشهد الصفحات الإسرائيلية على الفيسبوك ارتفاعاً في عدد المتابعين الذين تجاوزوا المليونين في صفحة إسرائيل تتكلم بالعربية؛ و لم تشهد هذه الصفحة انخفاضاً في عدد المتابعين أو المعجبين خلال فترة الدراسة[40].

تزايد التفاعلات:

كما تشهد الصفحات كميات هائلة من التفاعلات، سواء كانت عبارة عن إعجاب بالمنشورات أو التعليق عليها، وحتى في بعض الأحيان يتم مشاركتها. فعلى صفحة إسرائيل تتكلم بالعربية، تسجّل بعض المنشورات 25 ألفاً[41]. أما فيما خص التعليقات، فيمكن القول إن متوسط عدد التعليقات يتراوح بين 1.5 و2 ألف تعليق، فيما ترتفع المشاركات للمنشورات لتصل إلى 2.1 ألفاً في بعض المنشورات، وتنخفض إلى ما دون ال 200 في بعضها الآخر[42]. أما المشاهدات التي تسجّلها المنشورات التي تكون على شكل فيديو، فهي تبلغ ذروتها لتصل إلى ما فوق 1.5 مليون مشاهدة[43].

ثبات النشر على هذه الصفحات:

يمكن لمراقب هذه الصفحات أن يدرك أنه خلال فترة الدراسة كان النشر على هذه الصفحات مستمراً دون انقطاع. كما لم يشهد أي انخفاض في عدد المنشورات على هذه الصفحات؛ فعلى سبيل المثال، في صفحة أفيخاي أدرعي تم نشر 352 منشوراً، من

الأول من تموز سنة 2019 حتى آخر كانون الثاني 2020، أي خلال ستة أشهر؛ فيما تم نشر حوالي 451 منشوراً في الستة أشهر اللاحقة[44] . وهذا إن دلّ على شيء، فهو يؤكد على عدم تراجع وتيرة النشر؛ بل حتى يمكن القول إن النشر قد أصبح أكثر نشاطاً.

توسع الحضور الإسرائيلي في المواقع الاجتماعية:

بعد إنشاء هذه الصفحات على منصة الفيسبوك، شهدنا افتتاح صفحات مشابهة لهذه الصفحات في المنصات الإجتماعية الأخرى، كالإنستغرام. وهذا يدل على أن هذه الصفحات مهمة. كما شهدنا افتتاح صفحات جديدة على ذات المنصة، وهي الفيسبوك؛ فقد تم افتتاح صفحة إسرئيل باللهجة العراقية سنة 2018 أي بعد حوالي 7 سنوات على افتتاح صفحة أفيخاي أدرعي وصفحة اسرائيل تتكلم العربية[45].

تخصيص فرق خاصة بمجال المعلومات:

ما يعزز ويؤكد التأثير الكبير الذي تحققه هذه الصفحات هو افتتاح فرق خاصة داخل إسرائيل تتابع مواقع التواصل الاجتماعي. فقد تم إنشاء الفرقة 8200، وهي وحدة متخصصة بالتجسس عن طريق عمليات الحوسبة وغيرها، بالإضافة إلى الفرقة131، وهي وحدة معلومات تهتم بالأبعاد الثقافية والإسلامية وتوظيفها في مجال المعلومات[46]. كما أن اهتمام إسرائيل بالدبلوماسية الرقمية من مؤشرات تأثير هذه الصفحات.

الخاتمة:

طغت على إسرائيل منذ نشأتها الهواجس الأمنية، حيث كانت القوة العسكرية والتحالف مع الغرب هما العاملان الأكثر تأثيراً في تحديد إمكانية بقاء هذا الكيان. ومع تطور الظروف الدولية، تطورت نظريات الأمن الإسرائيلية، التي عملت على الانسجام مع الواقع الجديد بما يحقق الأهداف والمصالح الإسرائيلية على أحسن وجه. وبشكل عام، شكّلت مشكلة البيئة المحيطة بإسرائيل تهديداً وتحدياً أمنياً لها في جميع مراحل الصراع. ومع صعود مصطلح القوة الناعمة في العلاقات الدولية، بدأ الحديث عن أهمية هذه القوة وفاعليتها في السياسة الخارجية للدول؛ كل هذا جرى في ظل نقاشات حادة كان يديرها المخالفون والمشككون بقدرة القوة الجديدة على تحقيق الأهداف الخارجية للدول. وفي

الوقت نفسه الذي ولد فيه مفهوم القوة الناعمة مع جوزيف ناي، الذي كان أول من عرّفه وتحدث عنه، كان العالم يشهد ثورة معلوماتية كثّفت من دور الإعلام وتأثيره في صياغة الرأي العام في دولة ما. كل هذه العوامل رفعت من أهمية القوة الناعمة في تحقيق السياسة الخارجية للدول، بما يخدم أمنها القومي، وباتت القوة العسكرية وحدها عاجزة عن أن تحقق مصالح الدول، في ظل بروز تهديدات غير أمنية تتهدد الدولة؛ وطغى مصطلح الأمن المجتمعي ليعبّر عن التهديدات غير العسكرية.

وإسرائيل،التي تدرك أن أهمية انتصارها في معركة الوعي ضد الجمهور العربي كأهمية انتصارها في المعركة العسكرية ضد المقاومة، وأن الردع العسكري وحده لن يكون الضامن الأساسي الذي سيجعل إسرائيل دولة طبيعية في المنطقة، لديها مصالح وأطماع بعيداً عن صفة الكيان الغاصب، كان لابد لها أن تعمل بشكل حثيث على توظيف القوة الناعمة للتأثير على الجمهور العربي، إذ لا يمكن حلّ الصراع العربي– الإسرائيلي دون حصول تغيير جذري في الرؤية العربية تجاه إسرائيل، ما يجعلنا نعبر من مرحلة الرفض الكلي لإسرائيل إلى مرحلة الحديث عنها كدولة مثل باقي دول المنطقة.

وبالنظر إلى المشاكل والتحديات التي تقف حائلاً دون تقديم «إسرائيل» لأفكارها وعرضها لها في الإعلام العربي الرسمي، فقد شكّل الفيسبوك فرصةً ذهبية أمام إسرائيل لإيصال صوتها إلى أصغر مواطن عربي، خصوصاً الجيل الصاعد الذي يقضي أغلب وقته على هذه المواقع الاجتماعية، وخصوصاً الفيسبوك. فالجمهور العربي حاضر بكثافة على منصة الفيسبوك، التي تشكّل منصة حرّة، حيث عمدت إسرائيل الى افتتاح صفحات رسمية لها في منصة الفيسبوك. وبعد دراسة عيّنة من هذه الصفحات، باستخدام منهج تحليل المضمون خلال الفترة الزمنية المحددة، كان بالإمكان فهم الإطار العام الذي تتحرك فيه هذه الصفحات، من خلال استخدام القوة الناعمة التي تعددت مضامينها في تلك الصفحات حسب الجمهور المستهدف. ولكن، بشكل عام، فإن سياسة تحسين صورة إسرائيل في العالم العربي، وتسويق القيم الثقافية والأفكار الصهيونية، تُعدّان من أهم السياسات الناعمة الإسرائيلية التي تتوجه عبر هذه الصفحات إلى الجمهور العربي ككل.

المراجع:

(1) مرتضى، إحسان أديب، الأمن القومي الإسرائيلي في تطوراته المفهومية والعملانية (مركز باحث للدراسات، بيروت، 2006) ص 42.

(2) منصور، عطا الله، الصحافة العربية في إسرائيل (كيشير، 1990)، ص 75.

(3) مرتضى، مرجع سابق، ص 54.

(4) «مركز أبحاث إسرائيلي: الرأي العام العربي يحول دون التطبيع العلني مع الأنظمة»، موقع العربي الجديد، 26 يوليو 2020، (تاريخ الدخول: 1يناير 2021):

https://2u.pw/6h6KF

(5) M.Rothgeb, john, Defining power: Influence and Force In the Contemporary International System, (St.Martins press, New York, 1993), p 6-7.

(6) ناي، جوزيف، القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ترجمة محمد توفيق البجيرمي (دار العبيكان للنشر، 2007)، ص5–4.

(7) المرجع السابق، ص 25.

(8) المرجع السابق، ص 26.

(9) المرجع السابق، ص 26.

(10) المرجع السابق، ص 27.

(11) Nye, Joseph, The Future of Power, (Public Affairs, New York, 2011), pp20-21.

(12) Ibid, pp 84-87.ا

(13) معوض، علي جلال، مفهوم القوة الناعمة وتحليل السياسة الخارجية. (مكتبة الإسكندرية، مركز الدراسات الاستراتيجية، الإسكندرية، مصر، 2019)، ص 24.

(14) النعيمي، أحمد نوري، «البنيوية العصرية في العلاقات الدولية» من مجلة العلوم السياسية، (جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، يوليو 2013).

(15) حسين، أحمد؛ القحطاني،سعد؛ جار الله، عاتق؛ الصفاري، مطهر، القوة الناعمة في المنطقة العربية (السعودية، تركيا، إيران) دراسة في الاستراتيجيات و التأثير، (مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، 2018)، ص 26.

(16) ناي، جوزيف، قدرت نرم، ترجمه سيد محمد روحاني ومهدي ذو الفقاري، (دانشكاه امام صادق (ع)، تهران، 1387) ص 44.

(17) Reinold, Theresa, Soft Power in Foreign Policy. (VDV Verlag, Berlin, Germany, 2003), p 13.

(18) جعفري هرندي، أمير رضا، مديريت نفوذ ايالات متحده در عراق جديد، (دانشكاه امام صادق

(ع)، تهران، 1395) ص 43.

(19) شرفة، الياس، «تحليل المعطيات وقراءتها كيفياً (منهج تحليل المضمون)"، جامعة سكيكدة 2012، ص 5.

(20) المصري، محمد، «نظرية الأمن الإسرائيلي «، من مجلة دنيا الوطن، (المركز الفلسطيني للبحوث و الدراسات الاستراتيجية، نابلس، يوليو 2009)، ص 12.

https://2u.pw/OotDw

(21) الزرو، نواف، «آفاق التسوية للصراع العربي– الإسرائيلي في اسرائيل وتوجهاتها إزاء الدولة الفلسطينية»، من ندوة لمركز دراسات الشرق الأوسط تحت عنوان «إسرائيل ومستقبلها حتى عام 2015م»، 2007 ص 6.

(22) فلنائي، ميتان، الوضع الأمني الإسرائيلي، ص 127.

(23) يسرائيل، تال،أمن إسرائيل في الثمانينيات، مؤسسة الدراسات العربية، بيروت 1980، ص 62.

(24) الفاعوري، أحمد عواد نويران، التحولات الإقليمية وأثرها على نظرية الأمن الإسرائيلية، رسالة ماجستير من جامعة الشرق الأوسط، سنة 2011، ص 63.

(25) **גרשון הכהן. מה לאומי בביטחון הלאומי؟** ؟ (ما هو مفهوم الأمن القومي) **משרד הביטחון** (وزارة الدفاع) 2014، ص 20.

(26) معوض، مرجع سابق، ص 123.

.27) Nye, Ibid, p 95)

(28) معوض، مرجع سابق، ص 72.

(29) محبي، محمود، «إسرائيل تتكلم بالعربية!.. حرب العقول»، من موقع اليوم السابع، 22 نوفمبر 2020 (تاريخ الدخول: 23 ديسمبر 2020):

https://2u.pw/YLu1W

(30) النعامي، صالح، «الدعاية الإسرائيلية بالعربية: الأهداف والأدوات والشخوص» من موقع العربي الجديد 5 يناير 2017، (تاريخ الدخول 1 يناير 2021):

https://2u.pw/wogN

(31) زيتون، عبد العالي، «عربياً.. من يستخدم فيسبوك أكثر ؟ و من يستخدم تويتر ؟»،من موقع ارفع صوتك، 19 مارس 2018 (تاريخ الدخول 23 ديسمبر 2020) :

https://2u.pw/9Ciiz6

(32) Social Media Stats Worldwide Nov 2019 - Nov 2020, from gs.statcounter.com/social-media-stats (2020, November). Retrieved in December 2020 from gs.statcounter.com/social-media-stats:

https://2u.pw/hNq7m

(33) البرديني، أحمد، «إسرائيل تتكلم بالعربية: أهلاً بكم في الإعلام الإسرائيلي البديل"، من موقع رصيف 7 22، فبراير 2017، (تاريخ الدخول 25 نوفمبر 2020):

https://2u.pw/Erq5M

(34) الزيادات، أنور، «العلاقات الأردنية الإسرائيلية بانتظار الصدام الكبير»، من موقع العربي الجديد، 23 مايو 2020 (تاريخ الدخول 25 نوفمبر 2020):

https://2u.pw/TWh2m

(35) صفحة إسرائيل باللهجة العراقية على الفيسبوك:

https://2u.pw/fQHv8

(36) صفحة إسرائيل في مصر على الفيسبوك:

https://2u.pw/HvAP1

(37) صفحة أفيخاي أدرعي على الفيسبوك:

https://2u.pw/90ntA

(38) خليفة، أسماء، «اضغط إعجاب حتى تصلك إسرائيل»، من موقع إضاءات، 25 فبراير 2017، (تاريخ الدخول 25 نوفمبر 2020):

https://2u.pw/lrGY3

(39) «أثر وسائل التواصل الاجتماعي على سلوكيات وقيم الشباب من منظور التربية الإسلامية»، من مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد 169،يوليو 2016، ص 340.

(40) صفحة إسرائيل تتكلم بالعربية على الفيسبوك:

https://2u.pw/bNHgB

(41) المرجع السابق.

(42) المرجع السابق.

(43) المرجع السابق.

(44) صفحة أفيخاي أدرعي، مرجع سابق.

(45) صفحة إسرائيل باللهجة العراقية، مرجع سابق.

(46) جلعود، وليد غسان سعيد، دور الحرب الإلكترونية في الصراع العربي– الإسرائيلي (رسالة جامعية في جامعة النجاح، غزة 2013)، ص 155.

ندوات المركز الدورية

حلقة نقاش خاصة

قراءة في اتفاق

التعاون الاستراتيجي الشامل بين الصين وإيران

المشاركون في الحلقة:

– **البروفسور يوسف نصرالله**، رئيس مركز باحث للدراسات.

– **الأستاذ محمد خواجة**، نائب عن كتلة التنمية والتحرير في البرلمان وعضو مكتب سياسي في حركة أمل.

– **الدكتور عماد رزق**، رئيس الاستشارية للدراسات الاستراتجية.

– **الدكتور عباس إسماعيل**، الباحث والخبير في الشأن الإسرائيلي.

– **الدكتور حسن سرور**، باحث وخبير اقتصادي.

– **الدكتور حسام مطر**، باحث وأستاذ جامعي.

– **الدكتور محمود جباعي**، خبير اقتصادي.

– **الأستاذ محمود ريا**، مدير موقع الصين بعيون عربية.

– **الإعلامي الأستاذ محمد شري**.

عُقِدت في مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، في 9/04/2021، حلقة نقاش خاصة بعنوان «قراءة في اتفاق التعاون الاستراتيجي الشامل بين الصين وإيران» والتي أدارها مدير مركز باحث الدكتور يوسف نصرالله وذلك بحضور عدد من الخبراء والأساتذة الجامعيين والباحثين المتخصصين بقضايا المنطقة.

وقد بدأت حلقة النقاش بكلمة للدكتور يوسف نصرالله جاء فيها:

البروفسور يوسف نصرالله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأعز المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم. أود أن أبدأ بتقديم الشكر والامتنان للأساتذة الكرام وأرحب بكم في حلقة النقاش هذه بعنوان: «قراءة في الاتفاق الإستراتيجي بين إيران والصين».لا شك أن مسار هذا الاتفاق لا زال في بدايته، ولعل من المبكر إصدار أحكام قطعية حول ما يمكن أن ينتج عن هذا الإتفاق من مكاسب وما قد ينطوي عليه من نتائج وخلاصات أو ما يفتح عليه من سيناريوهات واحتمالات؛ لكن القدر المتيقن أن هذا الاتفاق هو متغير استراتيجي من المتغيرات التي تُعيد ترسيم النفوذ وصياغة موازين القوى وتترك تداعيات على الوضعين الإقليمي والدولية، ويشكّل محكماً ومفصلاً بين ما قبله وما بعده في حال وصل إلى التنفيذ، سواءً لجهة ما يتصل بمستقبل إيران ومشاغلها الإقليمية، أو ما يتصل بصعود الصين عالمياً، وتعزيز مكانتها كقوة اقتصادية عظمى، وترسيخ موطئ قدم لها في منطقة عالية الحساسية للولايات المتحدة الأميركية. صحيح أن شعار العودة المزعومة إلى الاتفاق النووي الإيراني الذي رفعته الإدارة الأميركية الحالية في المنطقة، كان يستبطن جملة من الأهداف، منها ما يتصل بتقليل منسوب التوتر في الإقليم وتخفيف الضغط على القواعد الأميركية في المنطقة، وتقليل التدخل الأميركي المباشر في أزمات الشرق الأوسط والتفرغ لمواجهة التهديدين الصيني والروسي على الحلبة الدولية، لأن هذه المقاربة تحتّم على الولايات المتحدة فك الإشتباك القائم مع إيران وفق ما تقتضيه استراتيجية احتواء صعود الصين والاستدارة شرقاً؛ لكنه يستبطن أيضاً، أي شعار العودة المزعوم، فرملة الاندفاع الإيراني باتجاه الشرق، وجعل إيران أقل انخراطاً في بناء شركات مع الصين، مما يضعف من قدرة الصين على التمدد في الخليج وفي الشرق الأوسط. وهذا أكثر ما يُقلق الجانب الأميركي، لا سيما أن عداء واشنطن المستحكم لإيران هو الذي جعل اتفاق الشراكة الضخم الذي جرى ترتيبه بين الجانبين الصيني والإيراني قابلاً للتطبيق، لأن واشنطن تدرك تماماً أن قرار إيران بالتوقيع على الاتفاق جاء ربطاً بسياسة الضغوط القصوى التي تبناها

ترامب في مواجهة إيران، لجلبها إلى طاولة المفاوضات وفق شروطه؛ وهذا ما لم يتحقق. لقد كان لعدوانية الولايات المتحدة التأثير المباشر في دفع أطراف لا روابط أو مشتركات أيديولوجية فيما بينها إلى التحالف والتنسيق والتعاون، والإرتقاء من حالة التقابل الظرفي إلى مستوى الشراكة الاستراتيجية ،في سياق السعي إلى بناء فضاء لمواجهة الهيمنة الأميركية على العالم، ما يعني أن الكابوس الذي لطالما أرّق كبار الاستراتيجيين الأميركيين بإمكانية تشكّل فضاء منسجم إلى حد بعيد سياسياً، ومتداخل ومتشابك اقتصادياً، وبما يهدد استمرار تفرد الولايات المتحدة الأميركية، قد دخل في حيّز التنفيذ .

والأمر الخطير، اليوم، أن بايدن جاء ليدفع باتجاه جهد أمريكي أوروبي لمواجهة الصين من جهة، مع تحقيق تقارب في السياستين الأميركية والأوروبية حيال الملف النووي الإيراني، والسعي إلى تقليص مساحة التباينات في مواقفهما اتجاه إيران، ما يؤدي إلى إضعاف قدرة الأخيرة على المناورة في التوظيف لهذه التباينات القائمة بين الجانب الأوروبي والجانب الأميركي.

وبالتالي،سيتم تقليص هوامش الخيارات المتاحة أمام إيران. ومن هذه الزواية كان يُراد ابتزازها، لأن عدم الوصول لهذا التفاهم مع الأميركي، ربطاً بإصرار طهران على رفض أي إجراء جديد فيما يخص البرنامج الصاروخي والدور الإقليمي وإدخال أي طرف جديد في المحادثات، كان يُمكن أن يدفع بالاختلافات الإيرانية الأوروبية العالقة إلى مستوى متصاعد دراماتيكي خطير، وبالتالي وضع إيران في مواجهة كتلة غربية متماسكة، وزيادة في حدة الضغوطات التي تتعرض لها.

والحال، فإن أهمية الاتفاق أنه جاء ليُخرج إيران من عُزلة دولية كان يُراد إدخالها فيها، فضلاً عن مكاسب وفوائد عديدة ومتنوعة ذات طوابع اقتصادية وسياسية وعسكرية وتكنولوجية، وهي أبعاد متداخلة. وقد أثارت هذه الأبعاد قلق واشنطن وتل أبيب وكل خصوم إيران، لناحية أن الاتفاق أصاب بشكل مباشر سياسة الضغوط القصوى التي تبنّتها واشنطن في مواجهة إيران؛ فهو منح إيران وسائل لإنقاذ اقتصادها، ووفّر لها قدرة الالتفاف على العقوبات، ما شكّك بإمكانية استمرار الرهان على هذه العقوبات لإضعاف إيران ودفعها إلى الاستسلام.

إن واشنطن وتل أبيب تعلمان تماماً أن تعزيز قدرات إيران الاقتصادية والعسكرية سسينعكس إيجاباً على قدرات حلفاء إيران في المنطقة، وأن هذا الاتفاق يزيد من قوة إيران التفاوضية في أي محادثات قد تُجرى بين إيران والولايات المتحدة الأميركية، ويمنح إيران القدرة على موازنة الاحتكاك في الملف النووي وسواه، نظراً لما تمثله الصين من ثقل ووزن دولي، وأن الاتفاق قد يشكل ظاهرة لتنامي وتعاظم الحضور الإيراني في المنطقة والإقليم.

لكن، مع هذا تبقى هناك أسئلة مشروعة مرتبطة في أن يصل هذا الاتفاق إلى خواتيمه، وتتصل بإمكانية إحداث تغيير في مسارات العلاقة الإيرانية–الصينية عبر واشنطن، وفق ما يُراهن الإسرائيلي؛ وتتصل أيضاً بقلق الصيني على علاقاته مع الخارج ومع الإسرائيليين في المنطقة نتيجة لهذا الاتفاق؛ بالإضافة لقلقه في ما يخص المخاطر على استثماراته في البنى التحتية والمنشآت الحساسة في حال تصاعد التوتر ونشوب مواجهة عسكرية أو مواجهة استراتيجية واسعة بين محور المقاومة–إيران والمحورالأميركي – الإسرائيلي، وحلفائهما؛ وأيضاً هناك قلق إيراني من قدرة الأميركي على عرقلة الاتفاق مع الصين، لا سيما أن الذاكرة الإيرانية لم تنسى بعد انسحاب الشركات البترولية الصينية الوطنية على إثر العقوبات الأمريكية «الترامبية» على إيران.

سوف تحاول حلقة النقاش اليوم الإجابة على هذه الأسئلة وسواها.

الدكتور عماد رزق: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ الورقة التي أعددتها تطرح مجموعة أسئلة وإشكاليات حول نظرة الدول الكبرى، وتحديداً الولايات المتحدة وأوروبا وروسيا، لما يجري، لنصل إلى خلاصة في اتجاهين: أولاً، الإنتخابات الرئاسية الإيرانية التي قد تُحدد مساراً لورقة التفاهم بين الصين وإيران ؛وهناك أيضاً نقاط أخرى مرتبطة بهذا التفاهم .

بين الصين وإيران، هناك أربع نقاط محورية:

ما تم هو مذكّرة تفاهم أو وثيقة تعاون. فالقراءات الغربية تُسميها مذكّرة تفاهم، وتقلّل من أهميتها كوثيقة استراتيجية.

هذه الورقة ليست في الأطر الاستراتيجية الطويلة الأمد، بل هي مرتبطة بالمصالح الآنية

للصين؛ فبعد فشل الاتفاق في ألاسكا بين الجانبين الصيني والأميركي، أراد الصيني إيصال رسالة إلى الأميركي من خلال إيران .

تم الحديث أنه كي تكون هذه الورقة كاملة، تحتاج كل فقرة فيها إلى مجموعة عناصر تنفيذية تكون منفصلة عن بعضها، لكي تصبح مقبولة في المجلس الدستوري في إيران.

يُمكن عدم تنفيذ هذه الورقة؛ فالشعب الإيراني قد يفضّل أثناء الاستفتاء الرئاسي القادم علاقته مع الغرب على علاقته مع الصين؛ وبالتالي يعتقد الأميركيون أن هذه الورقة قد تؤدي إلى شرخ في المستقبل بين التوجهات الشعبية، وحصول خلافات كبيرة بين قوى المعارضة والتوجهات الرسمية.

لذا لا تضمن هذه الورقة أن تكون إطاراً ثابتاً للتعاون في المستقبل.

لقد ركّزت مراكز الدراسات الأوروبية على ضعف العلاقات الإيرانية–الصينية التاريخية. فالصين أعلنت الحياد أثناء الحرب العراقية–الإيرانية، و لم تدعم الجانب الإيراني؛ وهي كانت تبيع الجانب العراقي ثلاثة أضعاف ما تبيعه لإيران.

أيضاً، إن الضغوطات على إيران كانت من أهم دوافع الصين لإمضاء هذا الاتفاق. وهناك كلام عن أن الأميركيين كانوا يعملون على دفع إيران باتجاه الاتفاق مع الصين، لأن هذا الاتفاق سيؤدي إلى سوء تفاهم مع الجانب الروسي. كما أن الأوروبيين سيعودون إلى الأميركيين لتوحيد الموقف من الاتفاق المذكور.

والرؤية لا تزال غير واضحة حول إمكانية تطبيق هذه الورقة.

بالتزامن مع الإعلان الرسمي عن توقيع الاتفاقية، فإن وزارة خارجية الصين قامت بزيارات دبلوماسية لمنافسي طهران: الإمارات، البحرين ، السعودية وتركيا، على مستوى وزراء الخارجية.

في الوثيقة حديث عن تعميق الدعم العسكري، تطوير أسلحة وتبادل معلومات استراتيجية، مع أن بعض الداخل الإيراني قد يرفض تواجد الصينيين على أراضي إيران .

كما أن المنافسة في تطوير الأسلحة بين روسيا والصين ستكون محتدمة، خاصة أن إيران تُعتبر سوقاً مهمة لروسيا.

إن الجانب الروسي يُراقب هذه الخطوة، كمايُراقب النشاط الصيني في آسيا الوسطى وغيرها.

كما أن توقيع هذا الاتفاق قد يكون مرتبطاً بمسار الانتخابات في إيران؛ وكأن هذه المعاهدة تعطي ترجيحاً لطرف على آخر في الساحة الإيرانية. ويتحدث الروسي – في حلقة جامعية– أن الجانب الإيراني تقصد تسريب أمر الاتفاق مع الصين لاستطلاع رد فعل الجانب الروسي، واستكملها بهذه الخطوة، وكأنه يقول إنه يقوم بكل شيء لحماية المصالح القومية الإيرانية فقط. لكن هذا الأمر غير مستحب من الجانب الروسي.

عندما كانت المفاوضات الإيرانية–الصينية تسير بشكل بطيء، جاءت الخطوات التي أقرّها الرئيس الأميركي دونالد ترامب في فرض العقوبات على إيران لتسرّع في خطوات توقيع هذه المعاهدة مع الصين، في إشارة إلى أن هناك دفعاً أميركياً خفياً لصالح هذه المعاهدة بهدف إضعاف النفوذ الروسي. فهناك تأكيد من الجانب الروسي على أن الاشتباك المفترض لن يكون روسياً–أميركياً بل صينياً–روسياً.

كذلك، هذه المعاهدة أعطت إشارة حول إعلان «إسرائيل» عن بدء المواجهة مع إيران وفروعها في المنطقة، وهي لن تكون في إطار توازن القوى بل التصادم.

وكما أن الصين أخذت القرار بالاقتراب من شرق المتوسط، فإن روسيا كانت تعتقد أن سيطرتها على المثلث: سوريا، قبرص إسرائيل، كافيةللسيطرة على شرق المتوسط؛ لكن دخول الصين سيحوّل مسار الاصطدام، وسيجعل المنطقة تسقط بشكل أسهل في يد الإسرائيلي والأميركي.

وبرأيي، ما سنشهده في المرحلة القادمة: تعثّر في المفاوضات الإيرانية النووية مع الغرب، بالتزامن مع الدخول الصيني؛ مع حصول إرباك في الساحة الإيرانية الداخلية. ومن الممكن التوجه إلى عرقلة التفاوض من قبل الجانب الروسي، الذي استبق هذه الخطوة؛ فهو الآن يُقدِّم تنازلات للجانب التركي في إطار تفاهم أذربيجان–تركيا في باكستان.

وعليه، من المرجح إيقاف محادثات فيينا، في ظل اعتقاد الجانب الغربي أن الاتفاق بين إيران والصين لن يتعدى وثيقة التفاهم.

الأستاذ محمود ريا: أنا سألخص رؤيتي لردود الفعل على الاتفاقية الصينية–الإيرانية، حيث تقع هذه الردود بين ثلاثة مستويات: التهليل المبالغ به، والتهويل المبالغ به أيضاً، والتبخيس الناتج عن الضعف والحقد.

التهليل معروف المصدر؛ فهو أتى من قبل المقرّبين من إيران ضمن محور المقاومة في المنطقة، والذي اعتبر أن هذه الاتفاقية ستؤدي إلى خلق نظام جديد، وانهيار الولايات المتحدة الأميركية، أو زوال هيمنتها العالمية.

أما التهويل، فهو من قبل المحور المقابل، الذي اعتبر أن هذه الاتفاقية ستغيّر العالم ،وإن لم يتم التحرك الآن ضدها، فهي ستؤدي إلى سيطرة الإرهاب والتطرف والديكتاتوريات؛ والمقصود بهاهنا: إيران والصين وروسيا معاً.

أمابالنسبة للتبخيس، فقد رأى عدد من المراقبين والخبراء أن هذه الاتفاقية لن تؤدي إلى أي تغيير في العالم.

وبرأيي، أن هذه الاتفاقية التي لا نعلم بعد مدى الآفاق التي ستفتحها، هي مجرد وثيقة تفاهم واسعة، وكل بند منها بحاجة إلى اتفاقيات كي تكون منتجة ومؤثرة على مستوى المنطقة والعالم. ولا يزال الوقت مبكراً للحديث عن فعاليتها؛ فالعلاقات الصينية–الإيرانية هي علاقات تاريخية، وقد شهدت تطوراً كبيراً خلال العقود الأخيرة.

إن «الإسلام الصيني» اليوم هو «إسلام فارسي»؛ فكل الكتب الصينية الإسلامية هي كتب لعلماء فارسيين أساساً.

وقد شهدت العلاقات الصينية–الإيرانية تطورات عديدة منذ عهد الإمبراطورية. وأثناء الحرب العراقية–الإيرانية كانت الصين تبيع السلاح للطرفين؛ ولكن المميز في هذا الموضوع أن إيران كانت تتلقى السلاح فقط من الصين، بينما العراق كانت تتلقى السلاح من العديد من الدول. لذا، كان الإيرانيون يدينون للصينيين في هذه الناحية.

وخلال السنوات التالية، كان هناك الكثير من التقدم في العلاقات الاقتصادية وغيرها من المجالات.

ما أريد قوله إن الاتفاقية لم تُنشئ بحد ذاتها العلاقة الصينية–الإيرانية، وهي لن تؤدي

إلى ترسيخ الأطر الاستراتيجية بين الصين وإيران؛ إلا أنها ستكون المترجم الرسمي لهذه العلاقات، مع التأكيد على تحفيزها والوصول بها إلى مستويات أرقى.

لذا من الممكن القول إن إعطاء الاتفاقية قيمة أكثر من حقها ليس بالأمر المستحب؛ وأيضاً، التبخيس بها واعتبار أنها اتفاقية لا تأثير لها أو أن تأثيرها ضعيف، ليس بالأمر المستحب؛ بل يجب وضع الاتفاقية في إطارها الاقتصادي، السياسي والأمني الدقيق فحسب.

إن معظم ما جرى التكلم عنه بالنسبة للاتفاقية ليس صادراً عن مصادر رسمية.

أما بالنسبة لرؤية الصين للاتفاقية، فإنها اتفاقية مهمة جداً، ولكنها تُعدّ اتفاقية تفاهم استراتيجية تُشبه تلك التي وُقّعت مع السعودية أو مع الكيان الصهيوني؛ وهي تأتي في إطار تأكيد الصين على علاقاتها مع كل دول العالم، وليس تأكيداً لعلاقتها بدولة دون أخرى، أو لإنشاء محور مع إيران ضد طرف آخر. لكن الظرف الذي رافق توقيع هذه الاتفاقية هو ما جعل المحلّلين حول العالم يعطونها هذه الأهمية القصوى.

ولا بدّ هنا من الإشارة إلى أن العلاقات الصينية–الإيرانية تعود إلى ما قبل ولادة السيد المسيح، وهي ستستمر، لأنها علاقات بين حضارتين عالميتين عريقتين، وليست كعلاقات القوى الأخرى التي تعيش القلق الدائم على مستقبلها.

الدكتور عباس إسماعيل : السلام عليكم؛إن أي اتفاقية توقّعها أي دولة مع إيران، ستعارضها اسرائيل، أوتحاول تمنع حصولها؛ والسبب أن إسرائيل تعتبر أن أي اتفاق بين إيران وأي دولة قد يمس بمشروعها، ويساعد إيران أيضاً على الخروج من العزلة التي تحاول هي مع أميركا فرضها عليها.

ومع أن إسرائيل تضغط على الدول التي توقّع على اتفاقات مع إيران، ولكنها لا تستطيع أن تفرض ضغطاً على الدول القوية التي يحكمها زعماء أقوياء، مثل روسيا.

إسرائيل تتعامل مع الصين على أنها جسر اقتصادي منذ فترة. وعلى الرغم من أن إسرائيل ترفع شعار محاربة إيران، ومكافحة النووي الإيراني، لكنها في مقابل مقاربة النووي والاقتصاد تفصل بين المتغير الذي يحصل مع الصين وإيران والمتغير على الصعيد

النووي الإيراني. فلا تربط بين علاقاتها الاقتصادية مع الصين والعلاقة بين الصين وإيران.

وتسعى إسرائيل من خلال علاقتها مع الصين إلى جني فوائد اقتصادية فقط؛ وهذه نقطة مهمة،أي.بمعنى أن لا تؤدي علاقاتها الاقتصادية مع الصين إلى تضرر علاقاتها الاستراتيجية مع الولايات المتحدة الأميركية.

ولذا، كان هناك صمت إسرائيلي على المستوى السياسي والاقتصادي يرتبط بالصين والإتفاق مع إيران ، بينما كان هناك مستوى من الاهتمام البحثي برفع مستوى القلق المندرج ضمن معسكر التهويل. فقداعتبر باحثون إسرائيليون هذا الاتفاق بمثابة تهديد استراتيجي لإسرائيل، وقد يتطور إلى أبعاد وجودية.

ومن ضمن القراءة الإسرائيلية العامة لهذا الاتفاق، أنه يحمل فوائد سياسية وعسكرية لإيران، ويزيد قدرتها التفاوضية مقابل الولايات المتحدة الأميركية، ويعزز نفوذ إيران في المنطقة، ويزيد من التوتر الصيني–الأميركي.

مع توقيع الاتفاقية المذكورة، سيكون لإسرائيل سبب للقلق من وجهة نظر استراتيجية وأمنية وسياسية، لأن تنفيذ البنود المتعلقة بالتطور التكنولوجي العسكري والتعاون العسكري والاستخباري بين الصين وإيران، يمس بقدرة الولايات المتحدة وإسرائيل في مجال إفشال المشروع النووي الإيراني؛ خاصة وأن إيران استطاعت التقدم أخيراً نحو القنبلة النووية!

كما يتخوف الاسرائيلي من أنه في حال تطور الحلف الإيراني–الصيني، فقد يجد الشرق الأوسط نفسه في حرب بين القوى العظمى ما يهدد إسرائيل.

مع ذلك، هناك بعض الخبراء الإسرائيليين الذين رأوا في هذا الاتفاق عدة فرص: أولاً، لا يوجد تطابق في الرؤى بين الصين وإيران؛ فإيران تسعى للتخلص من إسرائيل في المنطقة، بينما الصين لا تسعى لذلك. كما أن الصين ترغب بأسعار نفط منخفضة، بينما إيران تسعى إلى أسعار مرتفعة. إضافة إلى أن الصين تفضّل استقرار الشرق الأوسط، لأن ذلك يحقق لها أهدافاً اقتصادية، بينما إيران لا تريد الاستقرار في المنطقة، بحسب الآراء الإسرائيلية.

في السنوات الأخيرة، زاد الاعتماد الإيراني على الصين؛ وهذا قد يعني زيادة التأثير الصيني على إيران، ما قد يدفع بالصين إلى تخفيف العدوانية الإيرانية في المنطقة، بحسب التحليل الإسرائيلي. أيضاً، علاقة الصين مع إيران تمثل تقاطعاً بين التهديد الأول على الولايات المتحدة، وهي الصين، والتهديد الأول على إسرائيل وهي إيران؛ وهذا يرسم مجالاً لتعاون أوسع بين إسرائيل والولايات المتحدة.

بناءً على ما تقدم، صدرت مجموعة من التوصيات من قبل صنّاع الرأي في إسرائيل لمواجهة الاتفاق الإيراني – الصيني ، ومنها أنه يجب تفعيل المتابعة الاستخباراتية المنظمة والممنهجة للعلاقة الصينية–الإيرانية والسعي إلى حوار على مستوى رفيع مع الصين. وأيضاً العمل مع قنوات أكاديمية ومع معاهد البحث في الصين. بالإضافة إلى إطلاق حوار استراتيجي بين الصين والولايات المتحدة حول العلاقات بين الصين وإيران، ويشمل المستوى السياسي، والاقتصادي، والأمني والتكنولوجي، ودراسة النواحي الاستراتيجية والأمنية لسياسة الصين في إطار تقديرات الوضع من قبل الاستخبارات، وأن على اسرائيل أن ترتّب حوارتها المستمر مع الولايات المتحدة ضمن سلّم من الأولويات، وعلى رأسها الصين.

الدكتور حسن سرور: السلام عليكم، وشكراً للقيّمين على هذا النقاش. كنت أتمنى أن يكون هذا الاتفاق خياراً وليس رداً، وأن تكون المواجهة مع الغرب هي الأساس في السنوات الماضية، لأن هذا الغرب أثبت أنه يتلاعب بكل هذا العالم ولا يعبأ بمصالح أحد غيره. لذا أجد أن التوجه الإيراني نحو الصين هو خيار موفّق.

لقد اعتمدت الصين على الاتفاقات الثنائية في المجالات الاقتصادية. فهي وقّعت 40 اتفاقية مع 40 دولة أفريقية، وكان من الطبيعي أن تقوم باتفاقات شراكة معها إلى جانب الاتفاقات الاقتصادية.

إن الصين هي أكبر إمبراطورية اقتصادية عبر التاريخ، وأجزم بأنها كانت الوحيدة عبر التاريخ، قبل وبعد الميلاد.

وقد شكّل الاقتصاد الصيني في عهد ميلاد المسيح (ع) 26% من الاقتصاد العالمي؛

وسنة 1000 ميلادي كان يقدّر بـ23%، وسنة 1500 كان يقدّر ب 25% من حجم الاقتصاد العالمي؛ وهو وصل إلى ذروته في عام 1820 بنسبة 33% من حجم الاقتصاد العالمي؛ وهنا كمن سرّ الهجوم الأمريكي، الروسي، البريطاني، الفرنسي واليابان، والذي أدى إلى تقسيم الصين وضرب اقتصادها من الداخل، والذي تراجع إلى 10% من حجم الناتج المحلي العام.

وطبعاً، في بداية القرن العشرين، ومع احتلال اليابان للصين، تم ضرب كل مقومات الاقتصاد الصيني،الذي انهار مجدداً إلى 5% عام 1950. والعودة الناجحة لهذا الاقتصاد كانت اعتباراً من العام 1980، مع العلم أنه في العام 1990 لم يتجاوز الاقتصاد الصيني 400 مليار دولار؛ لكنه اليوم يشكل ما يقارب 18–17% من إجمالي الناتج المحلي في العالم. وطبعاً هذا مؤشر على عودة الصين القوية، ونسبة 25% لم تعد بعيدة. في إطار الدراسات التي كانت قائمة عام 2000 حتى 2010، كان من المفترض أن يتجاوز الاقتصاد الصيني الاقتصاد الأميركي في ثلاثينات القرن الحالي.

لكن من المؤكد أن الاقتصاد الصيني سيتجاوز الاقتصاد الأميركي عام 2028.

من الجانب البشري، شكّلت الصين 25% من سكان العالم.

فعند مولد المسيح (ع) كان عدد سكان الصين 75 مليون من أصل 300 مليون بشري؛ وعام 1820 كان عدد سكانها 298 مليون من أصل 900 مليون. عام 1900 كان هناك 420 مليون صيني من أصل 1،7 مليار؛ والآن يعيش 1.380 مليار صيني من أصل 7 مليار نسمة.

إيران هي دولة عظيمة من حيث المساحة: مليون و600 ألف كيلومتر، وعدد سكانها 80 مليون نسمة. كانت إمبراطورية تاريخية لأكثر من 2000 عام. وهي دولة إقليمية قوية رغم الحصارات والعقوبات التي فرضت عليها. وقد تمثل الحضور الإقليمي لإيران بوجود محور ضد الاستعمار والهيمنة على المستوى الإقليمي أو الدولي.

وهناك نوع من الاقتصاد المقاوم للصمود أمام التحديات. إيران غنية بمصادر الطاقة (النفط والغاز)، وهي تمتلك ثاني احتياط غاز طبيعي في العالم، وثالث احتياط نفط في العالم.

هل الضغوطات المستقبلية التي يمكن أن تتعرض لها الصين أن تدفع بها للخروج من هذا الاتفاق التاريخي مع إيران؟

هنا يأتي دور السياسة الإيرانية الذي يجب أن تؤديه في هذه المرحلة الفاصلة.

لقد ركّز الاتفاق على الموضوع الاقتصادي؛ لكن أهمية الاتفاق لا تكمن في 450 مليار دولار. فنحن نجد أن الصين باتت الشريك للأول للاتحاد الأوروبي؛ والولايات المتحدة الأميركية باتت الشريك الثالث للصين وليس الأول كما كانت منذ سنوات.

قيمة المبادلات التجارية للصين مع دول «آسيان « تقارب 700 مليار دولار، بينمابلغت مع الاتحاد الأوروبي أكثر من 600 مليار دولار. أما مع الولايات المتحدة الأميركية، فبلغت حوالي 586 مليار دولار.

معدّل نمو الصادرات والواردات الصينية هو 6% سنوياً. ومن خلال هذه الأرقام، ستصبح قيمة المبادلات، خلال 25 عاماً، مع دول آسيان، 26600 مليار دولار، ومع دول الاتحاد الأوروبي 22800 مليار دولار؛ أما مع الولايات المتحدة الأميركية، فستبلغ 22200 مليار دولار.

وعليه، أعتقد أن أهمية هذا الاتفاق تنطلق من عاملين:

بالنسبة للنفط، بلغ حجم استهلاك الصين عام 2020: 14،1 مليون برميل يومي من النفط، تستورد منها 11 مليون برميل. المملكة العربية السعودية كانت المصدّر الأول للصين، لكن الكميات تراجعت بشكل كبير عام 2020؛ وبالتالي من الممكن أن يزيد عدد البراميل المستهلكة في السنوات القادمة نتيجة النشاط الاقتصادي ليتخطى ال 20 مليون برميل.

الاتفاقية المبدئية التي تم إبرامها مع إيران تضمن تدفق 2 مليون برميل بالحد الأدنى، لأنه من ضمن الإتفاقية هناك 250 مليار مخصصة في مجال النفط والغاز؛ وبالتالي تطوير الإنتاج إلى 2 مليون برميل.

ويهم الصين وصول النفط إليها بطريقة سلسة، وبأسعار مخفضة، بنسبة 30 %.

كما يضمن الاتفاق الصيني التزام إيران خطة الحزام والطريق، والذي من الممكن أن يشكل عصب وشريان التجارة الدولية في السنوات القادمة. فحتى هذه اللحظة، هو

يشمل 130 دولة حول العالم، والصين وقّعت اتفاقيات مع 105 دول، أي أكثر من 75% من الدول التي تتعامل معها.

وهنا قد نتكلم عن نمو الإنتاج النفطي والغازي في إيران نتيجة لهذا الاتفاق.

الاتفاق بالنسبة للصين قد يسهم في تعميق دور الشركات الصينية في الداخل الإيراني، وتحقيق نمو اقتصادي بنسبة 5% في إيران خلال 25 سنة؛ أي أن مبلغ 450 مليار دولار سيقفز إلى عتبة 1500 مليار دولار.

ومن المرتقب أن تكون أغلب الاستثمارات الصينية في النفط والغاز، ما يعني نمواً في استثمارات الشركات الصينية التي تعمل في مجال البنى التحتية.

وقد يُشكّل الحضور الصيني في إيران حافزاً لتعاون أكبرمع الدول المجاورة لها.

هذا الاتفاق سوف يسمح لإيران بالانفتاح على العالم لارتباط اقتصادها بالاقتصاد الصيني، والذي يعتبر الأول في العالم.

من الناحية السياسية، سيؤدي هذا الاتفاق إلى تفعيل تعاون إيران السياسي مع الصين.

فهو سيضمن الدعم السياسي الصيني في المحافل الدولية لإيران وحمايتها من الضغوطات. لذا تعي إيران جيداً أن دورها على المستوى الإقليمي والعالمي لايمكن أن يتم إلا إذا كان لها حضور مهم وعلاقات جيدة مع العديد من القوى الصاعدة عالمياً، وعلى رأسها الصين.

لا أعتقد أن إمبراطورية أميركا ستنهار بسبب هذا الاتفاق، والتي تحتاج لمجموعة ضربات تحد من جرأتها؛ بينما هذا الاتفاق هو صفعة لكسر هيبة أميركا.

أعتقد أننا نعيش في عالم مأزوم فيه العديد من المتغيرات المتسارع. إن الولايات المتحدة المسيطرة على العالم تكبدت أخيراً خسائر بشرية واقتصادية فادحة؛ وأزمة كورونا كشفت ضعفاً في القطاع الصحي الأميركي. كما ارتفع الدين الأميركي إلى 27 ألف مليار، وتراجع حجم الاقتصاد الأميركي 3،2% عام 2020.

في المقابل، خلال هذه العقود الثلاثة استطاعت الصين تحقيق التفوق اقتصادياً.

إن تسارع النمو الصيني وتراجع الاقتصاد الأميركي أدّيا إلى تقليص الوقت أوالمدة الزمنية لتفوق الاقتصاد الصيني.

وفي النهاية، في عالم سريع التغير،يبرز السؤال: هل سيستمر هذا الاتفاق؟ هل يمكن لأي ضغوطات أميركية أو أوروبية أن تسهم في عرقلة هذا الاتفاق؟ هل يمكن لأي اتفاق إيراني–أوروبي–أميركي أن يؤثر على الاتفاق مع الصين؟

مثلما ذكرت في البداية، كنت أتمنى أن يكون هذا الاتفاق خياراً لإيران وليس رداً.

الأستاذ محمد شري: السلام عليكم؛ أعتقد أن هذا الاتفاق جاء متأخراً جداً، لأنه تم

بعد الحديث عن رفع العقوبات عن إيران وبعد عودة بايدن المبدئية إلى الاتفاق النووي،فيماالشركات الصينية امتنعت عن التعامل مع إيران أثناء مرحلة الضغوطات التي فرضتها الولايات المتحدة الأميركية.

من الواضح أن الصين تبحث عن مصلحتها، وهي لا تعمل بنفس استراتيجي بالمعنى الأيديولوجي. وبالإضافة للأرقام التي ذكرها الأستاذ حسن، فإن حجم التبادل السعودي–الصيني هو 60 مليار دولار سنوياً؛ أما مع الإمارات، فيبلغ 50 مليار دولار سنوياً، وهو لمصلحة الصين طبعاً.

إن مسألة ضخ 450 مليار دولار كاستثمارات صينية في بنى تحتية وفي صناعة النفط وفي الموانئ في إيران، خطوة ممتازة، ولكن أين الدور السياسي الصيني في العالم؟

أعتقد أن عدم تحديد آليات محددة في هذا الاتفاق مقصودة كي يبقى في حدّه الأدنى، لأن الطرفين يستدرجان عروضاً أميركية وأوروبية لتحقيق المصالح، خاصة بالنسبة لإيران. فالاتفاق قابل للتوسع وقابل للتضييق.

لذا، أنا أقول إن هذا الاتفاق مهم لإيران، لكنه بالنسبة للصين شأنه شأن أي اتفاق مع دولة أخرى.

ونحن نذكر أن روسيا هي المصدر الأول للطاقة للصين؛ من هنا قد يكون مبعث الانزعاج الروسي من هذا العقد السخي الإيراني بأسعار منخفضة، لأنه قد يؤثر على التعامل الصيني–الروسي، مع العلم أن استهلاك النفط الصيني هائل.

أعتقد أن التأخر في توقيع الاتفاق كان من الجانب الصيني. ومن الجانب الاقتصادي، هو فرصة لتحقيق مصالح الدولتين.

وفي النتيجة، أرى أن هذا الاتفاق يمثل خطوة إلى الأمام على أي حال.

حسام مطر: السلام عليكم؛ أنا أتوافق مع معظم الآراء التي طرحها الأخوة ، وأزيد أن الاتفاق هو علاقة بين قوة دولية وقوة إقليمية، وليس علاقة بين شريكين. ومن الطبيعي أن إيران معنية بأبعاد مادية من الاتفاق، بينما الصين مهتمة بالتنافس وإرسال إشارة إلى الإقليم.

فالاتجاه العام أن هدف الاتفاق هوتأمين المصالح الإيرانية–الصينية، مما يؤكد أن هذه المصالح عميقة، لكنها جزء من شبكة معقدة من مصالح متداخلة في العالم. لذا فإن زخم تطبيق هذا الاتفاق مرتبط بالكثير من المتغيرات: كيف ستتعامل القوى الإقليمية الحليفة مع أميركا مع الصين؟ وهو مرتبط أيضاً بالأوضاع الداخلية في الصين، والأوضاع الداخلية في إيران؛ هل ستواصل الصين صعودها على الصعيد الاقتصادي بنفس المعدل؟ حتى في إيران لم يحسم أمر التنافس بالاتجاه شرقاً أم غرباً. هناك الكثير من العوامل التي ستسهم في زخم تطبيق هذا الاتفاق.

أنا أعتقد أن الصينيين يتجهون جنوباً نحو منطقتنا لإيجاد مصالح مشتركة مع الأميركيين تمنع وصول اللعبة بين الصين وأميركا إلى الاشتباك والتصادم. فعلاقة الصين مع المجتمع الدولي هي أعقد من كونها فقط علاقة تنافس.

الإيرانيون يسعون إلى تعديل الوضع القائم، بينما الصين ليس لديها تصور لتعديل الوضع الإقليمي ولا الوضع العالمي، بل هي تريد أن تكون شريكة مصالح.

الصين تريد من خلال هذه الاتفاقية تعزيز صورتها. أما الولايات المتحدة الأميركية، فتريد أن تدخل إلى الساحة الدولية تحت مسمى أنها ممثلة دول الجنوب والعالم الثالث.

الصين تريد أن تكون شريكاً موثوقاً للدول بمواجهة أميركا التي تتخلى عن شركائها.

هي تريد من هذا الاتفاق أن تكون في موقع تفاوضي أفضل مع القوى الإقليمية الموجودة ومع الولايات المتحدة الأميركية.

وأيضاً هي بحاجة لشركاء أو متعاونين من العالم الإسلامي لتوازن تركيا التي تعتبرها مصدر تهديد للأمن الداخلي الصيني.

الصين جاءت إلى المنطقة لتحقيق أربعة أهداف: أولاً: هدف سياسي؛ ثانياً: الإرهاب الداخلي؛ ثالثاً: المكانة كقوة عالمية؛ ورابعاً: البحث عن الأسواق.

الصينيون مهتمون بالمعبر الباكستاني–الإيراني أكثر من العمل في العراق وسوريا. وهم مستفيدون من إيران في الموازنة مع الهند وتركيا. والصين تؤسس لدور أمني وسياسي كلاعب فوق طاولة الاستقرار في الخليج.

كما يهم الصين تعطيل حسابات أمريكا في التوجه شرقاً.

بالنسبة لإيران: الاتجاه شرقاً يعطيها قوة ومكانة، ومناورة مع الأمريكان، وتنبيه روسيا والقوى الآسيوية أنه في حال عدم الالتزام يوجد لدى إيران حليف آخر؛ بالإضافة إلى الاستثمارات التي تحتاجها إيران حالياً في ظل الحصار الاقتصادي عليها.

وكخلاصة: الصين وروسيا لا تزالا في طور تكييف توقعات القوى الإقليمية. فالصيني يعوّل على طموحات القوى الإقليمية. والصيني والروسي يحاولان الدخول إلى المنطقة من خلال الإسرائيلي والتركي والإيراني.

لكن لن يطبّق الصينيون هذا الاتفاق بما يحوّل الصين إلى عدو لأي طرف في المنطقة، إلا إذا أرادت هذه الدول التحالف مع الأميركيين ضد الصين.

محمود جباعي: السلام عليكم؛ لماذا يريد الصيني أن يوسع استثماراته مع إيران والعراق، ويتوجه الآن إلى السعودية لإعداد اتفاق مشابه للاتفاق الإيراني؟

بعد عام 1980، حاولت الصين أن تخرج من وضع اقتصادي ضيق مبني على النظام الاشتراكي الماركسي، وانتقلت إلى نظام اسمه اشتراكي ديمقراطي اجتماعي، يسمح بمزيد من الاستثمارات في القطاع الاقتصادي، بهدف جلب المزيد من الاستثمارات لشركات أجنبية في الصين، لأن كلفة اليد العاملة الصينية منخفضة، مع تصدير كمية من المواد المنتجة في الصين إلى الخارج.

وبعدها اتجهت الصين لاستكمال مشروعها الاقتصادي نحو أمرين أساسيين:

التكنولوجيا والطاقة.

فهدف الصين الآن هو تعزيز الملفات الاقتصادية المتعلقة بالتكنولوجيا والطاقة؛ لذلك هي اشتركت باتفاق آسيان مع مجموعة دول ناشطة: اليابان وكوريا الجنوبية وأستراليا ونيوزيلاند؛ وهذه الدول قوتها الأساسية تكمن في القطاع التكنولوجي.

أيضاً، الصين أبرمت اتفاقاً مع دول في الاتحادالأوروبي: أسبانيا، ألمانيا وإيطاليا وغيرها؛ 150 مليار دولار استثمارات صينية داخل الاتحاد الأوروبي و109 مليار دولار استثمارات الاتحاد الأوروبي داخل الصين، وكلها استثمارات تكنولوجية.

الآن ذهبت الصين إلى إيران والعراق والخليج بسبب الطاقة.

وبرأيي، هذه الاتفاقية مهمة جداً. فهي خطوة متقدمة للجمهورية الإسلامية رغم العقوبات المفروضة عليها، خاصة بالإتفاق مع شريك عالمي قوي كالصين؛ ولا أعتقد أن هذا سيؤثر على علاقة إيران بروسيا.

وكما قال المرشد الأعلى السيد علي الخامنئي: نحن نذهب الآن إلى مثالثة: الصين–إيران–روسيا.

إن مصلحة إيران تكمن في محاولة التخفيف من العقوبات الغربية من خلال استثمارات جديدة؛ ودخول عملة صعبة إلى إيران يعطي أملاً لدول أخرى كي تقوم بالاستثمار إيران.

كوريا ودول الاتحاد الأوروبي تذهب إلى عقد الاتفاقات مع الصين على قاعدة رابح–رابح، وليس كما تفعل الولايات المتحدة الأميركية؛ فمصلحتها أولاً ثم مصلحة باقي الدول.

ومن تبعات الاتفاق الصيني الإيراني أن كوريا الجنوبية ستفرج عن أموال واستثمارات للإيرانيين.

هذه الاتفاقية ستفيد الاستثمارات، وستخلق فرص عمل في الداخل الإيراني. لكن أريد أن أختم بسؤال: أين لبنان من هكذا اتفاقيات؟ لماذا لا يكون لدينا تفكير استراتيجي ونذهب لعقد اتفاقيات مع الصين مثلاً؟ فالخيار المذكور هو خيار رابح بالتأكيد.

حلقة نقاش خاصة

«القدس – غزّة: معادلات القوّة والنصر»

بتاريخ 2021/5/6، وبمناسبة يوم القدس العالمي، نظّم مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية ولجان العمل في المخيمات لقاء سياسياً بعنوان: «القدس – غزة: معادلات القوة والنصر». وقد تحدث فيه كلٌ من رئيس مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية البروفيسور يوسف نصرالله، وممثّلو الفصائل الفلسطينية الآتية أسماؤهم:

- زياد النخالة – الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.
- محمد رعد – رئيس كتلة الوفاء للمقاومة في البرلمان اللبناني
- طلال ناجي – الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة
- فهد سليمان – نائب الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.
- فتحي أبو العردات – عضو المجلس الثوري لحركة فتح.
- ماهر الطاهر – مسؤول دائرة العلاقات السياسية في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
- أسامة حمدان – قيادي في حركة حماس.
- أبو نضال الأشقر – أمين عام جبهة التحرير الفلسطينية.

وبحضور كلٍ من:

- مروان عبد العال: مسؤول الجبهة الشعبية في لبنان.
- إحسان عطايا: ممثّل حركة الجهاد الإسلامي في لبنان.
- أبو كفاح غازي: مسؤول الجبهة الشعبية القيادة العامة في لبنان.
- أبو النايف: عضو اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية.
- شكيب العينا: مسؤول العلاقات في حركة الجهاد الإسلامي.
- حمزة البشتاوي: عضو اللجنة المركزية للقيادة العامة.
- محمد ياسين: مسؤول جبهة التحرير الفلسطينية في لبنان.
- وليد جمعة: عضو اللجنة المركزية في جبهة التحرير الفلسطينية.
- أبو محمد فواز: لجان العمل في المخيمات.
- مصطفى اللدّاوي: أمين سر اتحاد علماء المقاومة.

وتالياً وقائع الندوة:

الدكتور يوسف نصر الله:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم. أود الترحيب بكم باسمي وباسم مركز باحث للدراسات، وأشكر لكم حضوركم الكريم وتلبية الدعوة لهذا اللقاء السياسي الذي يُعقد ضمن فعاليات يوم القدس العالمي الذي أعلن عنه الإمام الخميني (قدّس سرّه) سنة 1979؛ أي بعد أشهر معدودات على انتصار الثورة الإسلامية المباركة. وقد أراد لهذا الابتكار أن يشكّل حلقة وصل بين نداءات المسلمين في القدس وبين القضية الفلسطينية ،وأن يعمّق الارتباط الروحي والإيماني بالبعد الجيواستراتيجي للصراع، ليصبح صراعاً وجودياً وصراعاً واعياً لقيمه ورسالته ولأهدافه. وقدّر لهذه المناسبة أن تتمدد وتنتشر في دول وأقطار العالم لتصبح أكبر حدث سياسي سنوي، لأنه يجمع في يوم واحد شعوب الأمّتين العربية والإسلامية وجميع شرفاء وأحرار العالم، تحت شعار التنديد بالاحتلال الإسرائيلي لفلسطين واغتصاب وتدنيس المؤسسات. ولعل الإمام الخميني هو

الوحيد الذي تلفت باكراً لأهمية جعل القدس عنواناً لاستنهاض الأمة ،وذلك ربطاً لخلفية إيمانية يتميز بها الإمام، وأيضاً ربطاً بإدراكه الرؤيوي بأن الأمة سوف تبلغ مرحلة تُحرف فيها بوصلة الصراع عن العدو الحقيقي ،ويُدفع بها إلى اصطناع أعداء وهميين جدد، فتكون القدس هي المنصّة التي تعيد تصويب هذا الصراع وتوجيهه. وأيضاً ربطاً بإدراكه الرؤوي بأن الأمّة سوف تبلغ من الضعف والوهن مستوى تتحلل فيه كل عناصر تواجدها لتبقى القدس هي الرابط الجامع القادر على استنهاض هذه الأمة وتحفيزها على بث الوعي بين أبنائها، كما يُبقي على راية فلسطين خفاقة عالية، ويبقي على القضية الفلسطينية قضية ساخنة ومحورية في الصراع، وذلك في مواجهة كل السياسات التآمرية الإسرائيلية والأميركية التي عكفت طوال عقود من الزمن على التواصل مع بعض الشخصيات والرجعيات العربية، ليس على محاولة تجويف القضية الفلسطينية وضرب محتوياتها فحسب للأسف، وإنما على محاولة طمس معالم هويتها ومحاولة اقتلاعها من ذاكرة الشعوب.

وقد تعامل الإمام الخميني مع القضية الفلسطينية على أنها قضية إنسانية وأخلاقية في المحل الأول، لأنها لا يمكن اختزالها على المستوى العربي والفلسطيني، بل يمكن تعميمها للمستوى الإنساني، لأن اغتصاب وطن وتشريد أهله وناسه وتدمير بيوته وإهلاك البشر والحجر ، واستدامة هذه الجريمة على مدى كل هذه السنوات يُعد جريمة على المستوى الإنساني. كما تعامل معها على أنها قضية دينية، وأن القتال في فلسطين هو جهاد في سبيل الله، وأنها فريضة على كل إنسان حر أياً تكن منطلقاته، وأن عطاءات الدم في هذا الطريق هي عطاءات الشهادة، وأن النصر في ساحة الكفاح هذه هو نصر محتوم ومقدّر تكفل به وعد إلهي رباني. كما جعلها الإمام قضية سياسية، حين جعل من حب فلسطين أو عدمه هو المعيار الذي يرسم خارطة التحالفات أو الاستعداءات بلحاظه تحدّد دائرة الأعداء والخصم؛ وأيضاً تحدّد دائرة الأصدقاء والحلفاء. فلا مشروعية وفق هذا الفهم لأي قتال خارج دائرة الاهتمام بالقتال والانشغال بقضية فلسطين، ولا مشروعية لأي اصطفاف أو تحشيد لقدرات ما لم تكن غايته الأولى العودة إلى فلسطين.

طرأت أخيراً مستجدات على الساحة، لناحية أنها تعيد القضية الفلسطينية إلى الواجهة، وسط دفع أمريكي بإشغال كل قطر عربي بمآزمه الداخلية، في مسعى شيطاني لإشغال

وإلهاء الشعوب عن قضاياها الكبرى. بالإضافة إلى إعادة موضعة الداخل الفلسطيني إلى ساحة الصراع مع الإسرائيلي. وقد تم الكشف أخيراً عن فشل الاستراتيجية الإسرائيلية التي كانت مفعّلة طوال السنوات الماضية، والتي كانت ترى أن الحدث الفلسطيني هو حدث إشغالي لصرف اهتمامها عن مواجهة التهديد الأكثر خطورة على الجبهة الشمالية؛ ولكن سرعان ما تبين لهم أن ما يجري على الجبهة الجنوبية ليس منفصلاً ما يحصل على الجبهة الشمالية، وأن تباهي الإسرائيلي بما يُسمّيه المعركة بين الحروب في الشمال، وفي سوريا تحديداً، كان سبباً أساسياً في تعاظم ما يسمّى اليوم «معضلة» قطاع غزة.

نرى الاسرائيلي اليوم يقف أمام قلقين: القلق الأول يتأتى من الربط الحاصل في الداخل الفلسطيني، دخول قطاع غزة إلى الساحة، نصرة المقدسيين في نهضتهم ومؤازرة ودعم الشباب الفلسطيني الأعزل في الساحات الأخرى؛ معادلة غزة–القدس دفعت الإسرائيلي مرغماً ليس فقط إلى تبنّي سياسة الاحتواء ووقف التصعيد، والمسارعة إلى تبريد غزة ونزع فتائل التفجير فيها وحسب، بل إلى الانكفاء بلحاظ تبنّيه سياسة السجل المفتوح، التي ترجمت فيه الردود على أي إطلاق من غزة بدعوى احتفاظ الجيش الإسرائيلي بحق الرد وتخيّره الزمان والمكان المناسبين؛ وهذا خلاف العادة بالرد الفوري على أي إطلاق من غزة، وهو يؤشر على تقويض الردع الإسرائيلي، وعلى أن هناك متغيراً جديداً دخل على الصراع، وهو أن الزمن الذي يُستفرد فيه الفلسطيني قد ولّى دون رجعة، وأن الزمن الذي كانت فيه المواجهة مجتزأة قد بات من الماضي، وأننا اليوم أمام معادلة جديدة هي المواجهة الشاملة، وأن المقاومة هي حامية الفلسطينيين أينما كانوا أو وجدوا.

القلق الثاني هو تحوّل المقاومة الفلسطينية إلى حالة تشبه حزب الله؛ وبالتالي امتناع الاسرائيلي وعجزه عن الاعتداء على الفلسطينيين. ومرادف لهذا القلق هو تحسين المقاومة الفلسطينية لدقة قوتها الصاروخية وتحويل كل ترسانتها إلى أسلحة ذكية، وتأثير ذلك على كل مستقبل الصراع مع العدو الاسرائيلي. ثمة أسئلة تحتاج إلى نقاش وإلى موقف وهي ضمن محورين: المحور الأول: هل ستمضي المقاومة الفلسطينية في فرض معادلة الربط بين غزة والقدس وسائر ساحات الداخل الفلسطيني وتكريس وتعزيز منطق المقاومة واقتدارها العسكري لحماية الفلسطينيين؟ ، أما المحور الثاني، فهو حول تأثير هذه التطورات على

مسارات التطبيع من ناحية تقويض الجهود الاسرائيلية المبذولة في استمالة الرأي العام العربي ودفعه باتجاه أعداء آخرين؛ وبالتالي قدرة هذه التطورات على عودة استنهاض الوعي العربي المقاوم وإعادة إدخاله كعنصر حاسم في الصراع؟

هذه الأسئلة وسواها هو ما سيعمل هذا اللقاء على توفير الإجابات عنها.

الأستاذ زياد النخالة:أمين عام حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين

أولاً، بمناسبة شهر رمضان المبارك، وبمناسبة يوم القدس الذي يمثّلنا جميعاً، والذي أتى كعنوان موحّد للأمة، وفي وقت كانت فيه فلسطين والأمة بحاجة لعامل وحدوي في ظل الظروف السياسية الموجودة. العبرة في هذا اليوم هي في اختيار التوقيت؛ فاختيار الإمام الخميني أن يكون يوم القدس في شهر رمضان المبارك، وفي الأيام الأخيرة التي تحظى باهتمام كل المسلمين في العالم، واختيار المسجد الأقصى كعنوان لما يعنيه للمسلمين والمسيحيين، والتركيز على أن هذا المكان المقدّس المُسيطَر عليه من قبل العدو الصهيوني. لذلك أتى هذا اليوم تحت عنوان توحيدي للأمة العربية والإسلامية، وتوحيد كافة المذاهب والتيارات المختلفة ،لأن مجتمعاتنا فيها تيارات متعددة. ومن لطف الله تعالى أن يوم القدس أتى كعامل مشترك بين الجميع، وقد لقي هذا اليوم إجماعاً شاملاً، مع وجود بعض الاعتراضات التي لها خلفيات سياسية، كون الإمام الخميني هو الذي دعا لهذا اليوم؛ فهم ادّعوا أن هذا اليوم هو يوم إيراني، إلا أن عنوان هذا اليوم هي القدس، والقدس هي فلسطين والإسلام والعرب والمسيحيين؛ لكن التيارات التي تخدم الولايات المتحدة، والتي تخدم العدو الصهيوني، تريد أن تهدم هذه الأمة؛ ولذلك وضعت عقبات مثل أن هذا اليوم إيراني، ويجب أن لا نحتفل بهذا اليوم لاعتبارات مذهبية.

أيضاً، هناك تيارات قوية في الأمة تتبنّى هذا الخيار، وتدرك طبيعة الهجمة المضادة؛ لذلك صمد هذا اليوم، وصمدت كل القوى التي تؤيد أن يكون يوم القدس يوماً لكل الأمة بكل تكويناتها؛ ولذا نحن اليوم نحتفل بهذا اليوم الكبير والتاريخي، والذي يرتقي لأن يكون يوماً مقدساً لحياة المسلمين. واختيار الإمام لأن يكون هذا اليوم آخر جمعة من شهر رمضان المبارك لم يكن اختياراً عفوياً، بل نحن نلمس بركات تحديد هذا الخيار في وحدة الأمة والاحتفالات التي تمتد عاماً بعد عام لتملأ وجه الكرة الأرضية. فأصبح

يوم القدس يوماً يحتفل به كل العالم للحفاظ على حق الفلسطيني، ولمعارضة العدوان الإسرائيلي الصهيوني الذي يقع على الفلسطينيين.

هذا اليوم هو يوم مبارك على المسلمين والمسيحيين. ففي القدس هناك المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، والذي نعتبره كأمّة إسلامية محور التاريخ والجغرافيا والحضارة. فالصراع على القدس سيبقى مستمراً حتى تحقيق الانتصار؛ لذلك لا يستهين أحد بها.

القدس هي الضلع الثالث من مثلّث الوحي الإلهي: مكّة– المدينة– بيت المقدس. وأخيراً، شكراً لكم وكل عام وأنتم بخير.

الحاج محمد رعد: رئيس كتلة الوفاء للمقاومة

بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أولاً يسعدنا أن نلتقي في رحاب شهر الله لنعيش قضيتنا المركزية بحيويتها الحضارية والعقائدية والاستراتيجية، حيث أراد الإمام الخميني من خلال تخصيصه ليوم القدس العالمي أن يكون يوم تكثيف البعد الحضاري والاستراتيجي لنقطة أو جوهر الصراع القائم بيننا وبين قوى العدوان في العالم. أراد الإمام لنا أن نفهم القدس باعتبارها المكثّف الحضاري الذي لا يمكن أن يزول عطره مع تقادم الزمن، ولا أن يزول إشعاعه مع تقادم الزمن؛ بل على العكس، فهو يتجوهر مع تقادم الزمن. وعندما نعبّر بالمكثّف نقصد الجوهر الأساسي لقضيتنا الذي هو تحدي الظلم، والعدوان والاحتلال؛ تحدي العبودية والمذلة والمهانة، والوقوف مع ما يليق بكرامة الإنسان وحقه في سيادته، في وطنه، وفي تحديد مصيره. هذا المكثّف عُمّي عليه من قبل قوى العدوان، أنظمة ومؤسسات؛ وانساق مع هذا العمل منظمات متخصصة في كي الوعي وفي تجفيف الذاكرة؛ لكن الذي وقف بصلابة دون أن تحقق هذه المنظمات والجهود أهدافها التي عملت عليها، هو وقفة الشعب الفلسطيني وإرادته، وفهمه لأبعاد قضيته.

في الحقيقة، عندما نستعرض ،ولو على سبيل التمثيل، بعض الحكايا الفلسطينية القديمة، وبعض قصص العجزة من فلسطين؛ بعض التراث الفلسطيني، وبعض أسماء البلدات والشوارع والتيارات، فإنما هذا يصب في مواجهة العمل المدروس والموجّه لتجفيف

ذاكرة الشعب الفلسطيني، لأنه طالما هناك تواصل فعلي ميداني وتاريخي ونضالي بين الشعب الفلسطيني وبين أمّه القدس طالما هناك مقاومة ومواجهة وتحدي. والقصد هو إلغاء هذه الروح لدى الشعب الفلسطيني؛ لكن وقفة هذا الشعب ، ووعيه، وتنامي هذا الوعي، مع مواصلته للصراع بكل الأشكال ضد العدو الصهيوني الغازي والمحل، هو الذي حفظ للقضية تألّقها وفرضها على العالم بأسره؛ ولا يمكن أن يستقر أمن في المنطقة ولا سلام في المنطقة ما لم نستعد ونحرّر فلسطين ويخرج المحتل من أرض فلسطين. هذا هو المعنى الأول الذي نستشفّه من تخصيص يوم القدس كيوم عالمي للتضامن مع القدس وقضيتها وشعبها، وتبيين عدالة هذه القضية وأحقيتها.

الأمر الآخر الذي نلتفت له في يوم القدس، أن القدس على مدى التاريخ كانت المؤشر على صحة وضع الأمة. فعندما تكون القدس معافاة، تكون الأمة في أحسن عافية؛ ولكن عندما تكون القدس قد أصابها صداع أو تفكك أو تعرضت لعدوان أو غزو أو استيطاني، عندها نستشعر أن الأمة لا يمكن أن تحقق وحدتها أو تبني قدراتها أو تحقق تنميتها، ما لم تستعد القدس عافيتها وأمانها واستقلاليتها وسيادتها. هذه حقيقة تاريخية، وهي محل استفادة.

الأمر الآخر، والذي نستفيده مما يحصل اليوم في القدس، أن ذاكرة الشعب الفلسطيني هي ذاكرة متوهجة، وإرادته هي إرادة قوية تستأصل من يلوي ذراعها، طاغ أم جبّار. والدليل على ذلك هو هذا الجيل الذي يواجه الاستيطان؛ نحن نفهم، حضارياً وعينياً، أنه بعد مرور خمسين أو ستين سنة على الاحتلال أن ينبت شعب متوهج بالمقاومة، يرفض الاحتلال ومصافحته ويحن إلى اللحظة التي ينتهزها فرصة ليقلبها عليه. وما كان لهذا التوهج في الأجيال الصاعدة الفلسطينية، المقدسية بالتحديد، لولا إبقاء جذوة المقاومة الفلسطينية مستعرة ومتوهجة على امتداد الوطن الفلسطيني بكل الأشكال المتاحة. فكل شكل من هذه الأشكال المتنامية في دفق وتيار المقاومة، مع تنامي الخبرات، ليس الفلسطينية فحسب، بل قدرات الأمة العربية والإسلامية، التي راح وعيها يستيقظ من غفلته ليجد أن سبيل الخلاص لاستقرار وسيادة الأمة له مدخل طبيعي واضطراري وحيد

هو استعادة القدس وتحرير فلسطين؛ وبمعنى آخر زوال العدوان الجاثم في قلب منطقتها وفي قلب عالمها العربي والإسلامي.

هكذا نفهم صراعنا مع العدو، وهذه هي منطلقاتنا في فهم هذا الصراع. أما بالنسبة لمعادلة الصراع، فهي معادلة متغيرة لمصلحة المقاومة، وإن كنا طبّلنا وزمّرنا لقطار المطبّعين المنهزمين الذين طويت صفحتهم، لأن لا جمهور لهم وليسوا من أصحاب هذه القضية. الآن هؤلاء ليسوا شيئاً في المعادلة؛ فالذي يرسم معادلة الصراع ويتحكم بها هم أصحاب الخيار المقاوم، الذي يجد قاعدته في أكثر من بلد في العالم العربي والإسلامي، ويمتد ضمن تيار يحاول أن يستقر من أجل أن يرفد المقاومة الفلسطينية والمقاومة العربية في محيط فلسطين بكل وسائل الدعم والمساندة، حتى يتحقق الهدف الأساس لهذا الخيار المقاوم، وهو تحرير فلسطين من البحر إلى النهر.

نحن في يوم القدس العالمي نؤكد أن مواصلة تبنّي خيار المقاومة وعدم التقصير في تحمّل أعباء هذا الخيار، وبذل الجهد من أجل تحقيق المزيد من الإنجازات على قاعدة هذا الخيار، والبحث عن سبل لمّ الشمل وتنسيق الجهود والحرص على توحيد الموقف الوطني، يؤسس لعمل أومستوى أعلى من التنسيق، مع إعادة النظر والمراجعة ضمن الساحة الفلسطينية لمصلحة خيار المقاومة ولمصلحة أهداف هذا الخيار. نشدّ على أيديكم، ونحن في صلب معركتكم إلى أن يحقّق الله على أيدينا وعلى أيديكم ما نصبو إليه من عزّة وكرامة وسيادة لنا في أوطاننا، والحمد لله رب العالمين.

الدكتور طلال ناجي:الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة

بسم الله الرحمن الرحيم؛ أولاً شكراً جزيلاً على هذه الدعوة في هذه الأيام الفضيلة من شهر رمضان المبارك. لا شك أن يوم القدس العالمي له خصوصية في العالم العربي والإسلامي. نحن جميعاً نظرنا بتقدير إلى سماحة الإمام الخميني (قدس) عندما أطلق هذه الدعوة الكريمة، بأن يُحتفى في الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك، وأن يكون

يوم القدس العالمي نُصرة لأهلنا في القدس، لأنها ليست مدينة تخص الفلسطينيين فقط بل تخص كل المسلمين والشرفاء في العالم.

هذه الدعوة التي جاءت من إمام عظيم وفي أيام عصيبة، في أجواء اتفاقات كامب– دايفد وغيرها، وكانت قد خرجت أكبر دولة عربية (مصر) من صف المواجهة ضد العدو الإسرائيلي، وكنّا نشعر بالإحباط وقتها، خاصة أن مصر كانت تتولى قيادة الأمة سياسياً وعسكرياً، وإذا بها تُبرم اتفاقاً مع «إسرائيل» وتتخلى عن القضية الفلسطينية وعن الأمة العربية.

جاءت الثورة الإسلامية في إيران عام 1979 كتعويض إلهي، ثم جاءت دعوة الإمام الجليل؛ وهو احتفى بهذا اليوم تأكيداً لمعاني أن تكون هذه المدينة تخص كل المسلمين والمسيحيين الشرفاء في العالم قاطبة. فهي أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين، وفيها كنيسة القيامة للسيد المسيح عليه السلام؛ فهي تتميز عن باقي المدن بخصوصيتها وفرادتها بدليل ما وقع عندما أطلق الإمام الجليل هذه الدعوة، وكان لها صدى عند عموم المسلمين وفي العالم؛ وبعد مضي أكثر من 42 عاماً، لا يزال العالم يحتفي بهذا اليوم، حيث يتواجد شرفاء المسلمين والمسيحيين منددينّ بهذه الغزوة الهمجية الصهيونية التي تصادر تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا.

لذلك نحن نحيي في هذا اليوم روح الإمام الخميني. والإمام الخامنئي (أدام الله ظلّه) لا يزال متمسكاً بهذه القضية، ويحرص عليها بنفسه. وهو في كل عام يحضّ المسلمين في العالم أجمع على إحياء يوم القدس . وقد أثّر هذا اليوم بالفعل في مسارات نصرة القدس. وأيضاً، في هذه المناسبة أحيّي روح الشهيد الخالد، الشهيد قاسم سليماني ،الذي كان من دواعي الشرف لنا ان يُكنّى باسم قائد فيلق القدس، بل فيالق القدس. فقد وضع نُصب عينيه توصيات وتوجيهات الإمام الخميني (قدّس سرّه) والإمام الخامنئي (دام ظلّه) بالعمل من أجل نصرة وتحرير القدس، وأن تكون القدس من أولوياته؛ وهو استُشهد على هذا الخط ومن أجله.

أيها الأعزاء، أريد أن أغتنم هذه المناسبة للتحدث عن محاولة تشويه وطمس معالم القدس من قبل العدو الإسرائيلي؛ القدس لم تكن يوماً عاصمة للصهاينة؛ بل هي مدينة لسكانها من العرب المسلمين والمسيحيين. وهم ا يحاولون اليوم تهويد معالمها وتشويه المعلومات والثقافة العامة بشأنها.

أولاً، في حرب 1948، عام النكبة، شرّد 800 ألف فلسطيني، في حين كان يسكنها مليون و400 ألف كانوا يعيشون في ألف و300 قرية ومدينة فلسطينية.

- عام 1967، هُجِّر 200 ألف فلسطيني من قرى الضفة الغربية،فيما ارتكب الاحتلال 70 مجزرة في قرى ومدن فلسطين منذ نهاية ثلاثينات إلى مطلع الخمسينيات.
- بلغ عدد الفلسطينيين عام 1914، قبل وعد بلفور، 690 ألف نسمة؛ وكانت نسبة اليهود 8%، عدد كبير منهم كانوا قد هربوا من روسيا القيصرية نتيجة مذابح ارتكبت ضدهم!
- عدد الفلسطينيين الآن، في عام 2020، أصبح 13 مليون و700 ألف، يعيش 5 مليون و200 ألف منهم في الأراضي المحتلة عام 3 :1967 مليون و100 ألف في الضفة الغربية، ومليونان و100 ألف في قطاع غزة. حوالي مليون و600 ألف فلسطيني يعيشون في الأراضي المحتلة عام 1948.
- وقد بلغ عدد الفلسطينيين في الدول العربية المجاورة لفلسطين 6 مليون و200 ألف.
- وبلغ عدد الفلسطينيين في الدول الأجنبية 738 ألف.
- يسيطر الاحتلال الآن على أكثر من 85% من المساحة الكلية لفلسطين.
- كان اليهود، في عهد الانتداب البريطاني، يسيطرون على ألف و682 كيلومتر مربع من المساحة الفلسطينية التاريخية، أي بنسبة 6.2%.
- مساحة شطري القدس 126 كيلومتر مربع، أي ما يعادل 2.1% من مساحة الضفة الغربية؛ تحت سيطرة الاحتلال 72 كيلومتر مربع، أي 54 كيلومتر مربع تحت

سيطرة الفلسطينيين. طرد الاحتلال ما يُقارب 160 ألف مقدسي خارج جدار الفصل العنصري في القدس، وصنّفوهم أنهم لا يملكون الهوية التي تُتيح لهم البقاء في القدس.

- صادر العدو زهاء 35% من مساحة القدس تحت ذريعة المصلحة العامة. واستولى الاحتلال على 52% من المناطق التي أصبحت شوارع، وهو يستولي حالياً على 87% من مساحة القدس، ولم يبق للفلسطينيين غير 13%، أي 14.3 كيلومتر مربع يمكن أن يبني عليها.
- عدد سكان القدس العرب عام 1967 كان 70 ألفاً في شرق القدس؛ وحالياً يوجد 320 ألف فلسطيني. يبلغ عدد المستوطنين اليوم في شرق القدس 220 ألف نسمة؛ أما إذا جمعنا القدس الغربية والشرقية، فالأغلبية ستكون لليهود؛ ففي الغربية يوجد 560 ألف يهودي.
- استغل الإسرائيلي تصنيف الأراضي حسب اتفاقية أوسلو. تبلغ مساحة المنطقة أ 18% من مساحة الضفة، ومن المفترض أن تكون تحت سيطرة الفلسطينيين إدارياً وأمنياً.وتبلغ مساحة المنطقة ب 22% من مساحة الضفة الغربية؛ وهذه فيها سيطرة أمنية للسلطة الفلسطينية نظرياً، فيما تبلغ مساحة المنطقة ج 60% من مساحة الضفة الغربية، وهي تحت سيطرة الاحتلال بالكامل: أمنياً وإدارياً.
- بلغت مساحة نفوذ المستعمرات الإسرائيلية في الضفة الغربية 542 كيلومتر مربع. أما في نهاية العام 2020، فتمثّل مدينة القدس ما نسبته 10% من مساحة الضفة الغربية بموجب المخططات الإسرائيلية.
- المساحات المصادرة للقواعد العسكرية والتدريب نسبتها 18% من مساحة الضفة الغربية، بينما يبلغ طول الجدار الذي بُني من شمال الضفة إلى جنوبها 770 كيلومتر،وهو يعزل 10% من مساحة الضفة الغربية بسكانها.
- ويبلغ طول الجدار المحيط بالقدس 202 كيلومتر، غير جدار الضفة.

- بلغ مجموع الاستعمارات الإسرائيلية والقواعد العسكرية في نهاية العام 2019، في الضفة الغربية، 461 موقعاً، منها 151 مستعمرة،و 26 بؤرة مأهولة تم اعتبارها أحياء تابعة لمستعمرات قائمة و140 بؤرة استعمارية.
- بلغ عدد المستوطنين في الضفة الغربية 688 ألفاً و262 مستعمر في مطلع العام 2020، بمعدّل نمو سكاني 2.6%. ويتضح من البيانات أن 46% من المستعمرين يسكنون في محافظة القدس، حيث بلغ عددهم 316 ألفاً و176 مستعمر، منهم 232 ألفاً في القدس.
- نسبة المستعمرين إلى الفلسطينيين في الضفة الغربية هي 23 مستعمر مقابل 100 فلسطيني، وأعلاها وصل إلى 69 مستعمر مقابل 100 فلسطيني.
- بلغ عدد الشهداء الفلسطينيين منذ النكبة عام 1948 حوالي 100 ألف شهيد. عدد الشهداء منذ انتفاضة الأقصى 10 آلاف و969 شهيد. خلال العام 2020 بلغ عدد الشهداء 43 شهيداً، منهم 9 شهداء أطفال و3 سيدات، بينما بلغ عدد الجرحى 1650 جريح.
- بلغ عدد الأسرى في سجون الاحتلال خلال العام 440 ،2020 أسيراً، منهم 170 أسرى أطفال دون 18 سنة؛ إضافة إلى 35 أسيرة، بينهن 12 أماً. بلغ عدد حالات الاعتقال 4634 حالة خلال عام 2020 ،من بينها 543 طفلاً و128 امرأة.

وعليه، أقول إن القدس في خطر، رغم كل المواقف المشرّفة التي فرضت على العدو التراجع. وهم الآن يطردون أهلنا من حج الشيخ الجراح، ويسكن المستوطنون مكانهم بعد أن طردوا أهلنا من حي المغاربة.

إن القدس اليوم بحاجة للمساندة والمؤازرة والدعم. فهي تمثّل الجميع دون استثناء، وهي في خطر حقيقي.

الأستاذ فهد سليمان: نائب الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

الشكر بداية لمركز باحث على دعوتنا لهذا اللقاء التضامني الذي يعنينا جميعاً.

إن الثورة الإيرانية هي حدث تاريخي بكل المقاييس؛ فهي تحتفظ بهذه السمة، حتى لو اقتصرت على ما جرى عام 1979. وإلى هذا الحدث نزيد الحدث الأممي الذي نجحت الدولة الإسلامية الإيرانية في إضفائه على الحدث الكبير؛ أي أن الثورة الإيرانية لم تكن حدثاً قومياً فحسب، بل هي أعطت لنفسها بعداً أممياً ، بوضعها لنفسها جدول أعمال يشمل العالم بأسره إذا ما نظرنا إليه من زاوية نصرة المضطهدين، والمظلومين، والشعوب التي تسعى للانعتاق من نير الامبريالية.

إذاً، هذه مناسبة أممية بامتياز. وهي موجّهة إلى كل أحرار العالم، وإلى المسلمين، وإلى العرب، وإلى كل أحرار العالم.

أود أن أتكلم عن عنوانين مهمين:

أولاً: فلسطين، هي رواية المكان، تجمع ما بين المقدّس والتاريخي والكفاحي؛ ونادراً ما تجد مكاناً في فلسطين لا يملك واحداً من هذه المدلولات أو هذه المدلولات مجتمعة.

بالنسبة لأبناء فلسطين، لكل مكان مدلول، ولكل مكان رواية، ولكل مكان برنامج، ولا أريد أن أتوغل كثيراً في التاريخ، ولكن سأذكر بعض الإشارات.

عندما نتكلم عن قطاع غزة، المدلول يكون المقاومة. عندما نتكلم عن مخيّم جنين، الذي جسّد مقولة العين التي تقاوم المخرز عندما صمد أكثر من 30 يوماً في وجه الجيش الإسرائيلي، فالمدلول هنا هو العين التي تقاوم المخرز. وعندما نتكلم عن القدس فنحن نتكلم عن بوّابات القدس.

حين قرّر المركز القيادي في منظمة التحرير تأجيل الانتخابات، والذي يعني إلغاء الانتخابات، متذرعاً بعدم قدرته على إجرائها بسبب الرفض الإسرائيلي، قلنا له مباشرةً: الانتخابات في القدس لا تجري ببيان، ولا بالمطالبة بتطبيق بروتوكولات أو تدخلات، بل من خلال البوابات: بوابات الأقصر عام 2017 التي كسرت إرادة المحتل، مصلّى باب الرحمة عام 2019 الذي أحبط المشروع الإسرائيلي بإقامة الكنيست في هذا المكان

المقدس. ومن خلال البوابات لا نستطيع أن نجري الانتخابات رغم أنف الإسرائيليين فحسب، بل نستطيع ان نتقدم على طريق النضال والتحرر الوطني والوحدة الفلسطينية.

بالنسبة لنا في فلسطين، المكان هو الرواية، الأمكنة هي الرواية؛ ونزعم أن الخريطة هي البلدان في العالم التي تجمع الكم الكبير من الأمكنة التي تملك هذه المدلولات. القدس مقدسة بما تنطوي عليه من قيم دينية وروحية وإيمانية وتاريخية وإنسانية وثقافية وحضارية. وكل سنتيمتر مربع من القدس هو مكان مقدس.

أما العنوان الثاني،فهو غزة المقاومة، ماذا تعني بالنسبة لنا بالنسبة للتقدير الاستراتيجي؟

الآن، القوة العسكرية الموجودة في غزة تندرج في إطار المنظومة الدفاعية التي تنطوي على مفهوم الردع. عندما تستطيع هذه الرقعة الصغيرةبمساحتها، الكبيرة بعدد سكانها، أن تبني مدينة تحت الأرض لتدير من خلالها العمل المقاوم، فهذا إنجاز كبير نعتز به ونفخر به ونعتمد عليه.

ونوجّه الشكر لكل من أسهم في بناء هذا الصرح الكبير للمقاومة الفلسطينية. أقول هذا مؤكداً بأن أي استراتيجية دفاعية عندما تطوّر أسلحتها تنتقل من صواريخ المساحة إلى الصواريخ النقطية إلى الصواريخ الدقيقة.

يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن المقاومة الفلسطينية تجمع كل أشكال النضال،. لذلك، بوابات القدس تلتقي مع صواريخ غزة، وبوابات غزة تلتقي مع صواريخ القدس بعد وقت قريب إن شاء الله. وشكراً لكم.

الأستاذ فتحي أبو العردات: أمين سر حركة فتح وفصائل منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وشكراً للأخ العزيز الدكتور يوسف نصر الله على الدعوة. في البداية لا بد من الإشارة إلى أهمية إعلان سماحة الإمام الخميني، المرشد للأعلى للثورة في إيران، رحمه الله، بعد انتصار الثورة الإيرانية، يوم القدس العالمي في آب 1979، الجمعة الخيرة من شهر رمضان المبارك، ليصار إلى إحياء

هذه المناسبة في كل عام لنصرة القدس والمظلومين.

ولهذا اليوم أهمية بالغة، باعتبار ان القدس، وقبل أن تكون عاصمة لدولة فلسطين ،هي تشكّل عامل وحدة لأديان سماوية: الإسلامية والمسيحية ؛فهي قبلة المسلمين الأولى ومسرى نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلّم؛ وفيها دُفِن سيدنا المسيح عليه السلام . وهي تشكّل عامل وحدة لكل فئات الأمة ، على اختلاف العقائد والمذاهب والأديان فيها.

القدس هي ركن من هويتنا العربية والإسلامية، ولا يمكن أن تكتمل هويتنا دونها. الثورة الإسلامية في إيران هي التي رفعت أول شعار لها بعد انتصارها: اليوم إيران، وغداً فلسطين. وقد حوّلت وكر الجواسيس في السفارة الأميركية إلى أول سفارة لدولة فلسطين؛ فتحيّة للجمهورية الإسلامية الإيرانية في صمودها، لأن المقاومة هي عملية صمود في أعتى المواجهات.

ونذكر هنا أنه في عام 1978، أُقيم مهرجان في الأونيسكو لدعم الثورة الإيرانية، حضرته كل الفصائل الفلسطينية، وكان هناك وفد من الثوار الإيرانيين، تحدث فيه الشهيد أبو عمّار وكل الأمناء العامين للفصائل الفلسطينية، دعماً للثورة في إيران. اقترب أحد الصحافيين من أبو عمار وسأله: أنت تدعم الآن الثورة الإيرانية لكنها لم تنتصر بعد؛فأجابه أن القضية مبدأ، وأؤكد لك أن الثورة ستنتصر؛ وهي فعلاً انتصرت.

فنحن كفلسطينيين كنّا منذ البداية نشعر أننا نرتبط بهذه الثورة ارتباطاً وثيقاً، لأننا كنّا نعتبر أن انتصار الثورة في إيران سيقرّب المسافة من القدس.

اليوم نحيي يوم القدس العالمي في ظل ارتفاع وتيرة الهجمة الصهيونية ضد الفلسطينيين في المدينة المقدسة، التي شهدت أخيراً أحداثاً متسارعة وهجمات من قبل قوات الاحتلال على المصوّرين والموجودين في باب العامود. كما كثّفت جماعات المستوطنين من اقتحاماتها للمسجد الأقصى واستفزازها للمصوّرين وللمواطنين؛ وبلغ الأمر حدّ قيام ما يسمى بتراث جبل الهيكل بتوجيه رسالة إلى وزير الاحتلال لمطالبته بالسماح لليهود بإدخال الطعام والشراب إلى الأقصى في شهر رمضان، والسماح لهم بتناولها في ساحات

المسجد الأقصى. كما مارست سلطات الاحتلال أقصى أنواع العقوبات والانتهاكات الاستفزازية بحق المقدسيين والأقصى، خاصة في بداية شهر رمضان المبارك، حيث تعمدت إغلاق الطرق المؤدية إلى باحات الأقصى والبلدة القديمة بحواجز عسكرية لأداء صلوات الجمعة الثلاث، واعتدت على مدار 18 يوماً على المصلّين بعد خروجهم من صلاة التراويح؛ كما شهدت منطقة باب العامود مواجهات ليلية مع شرطة الاحتلال والمستوطنين، أصيب خلالها العديد من المواطنين العزّل، فاعتقلت وأبعدت العديد ومنعت المئات من دخول الصلاة وحجزت الحافلات، وأحاطت البلدة القديمة والمسجد الأقصى بسلسلة من الحواجز ومئات العناصر من شرطة الاحتلال.

لكن القدس قالت كلمتها ،بصمود المقدسيين في مواجهة شرطة الاحتلال ،ما أجبرها مساء الأحد الماضي على الانسحاب من باب العامود وإزالة حواجزها بعد ثورة أهل القدس والمرابطين في الأقصى الشريف ؛وهذا نتيجة الصمود ووحدة الموقف الميداني الفلسطيني.

إن انتصار شعبنا في القدس أثبت للاحتلال وللعالم أنه لا يمكن سلخ 360 ألف مقدسي من العمق الفلسطيني والعربي والإسلامي؛ ولن يستسلم شعبنا، بل سيقاوم لمنع فصل القدس عن الضفة الغربية وقطاع غزة. فالمواجهات التي يخوضها شعبنا في القدس، والمعركة السياسية التي نخوضها اليوم ضد الاحتلال نسفت كل أثر لصفقة ترامب أو صفقة القرن بسبب صمودنا. فمعركتنا الحقيقية هي اليوم في القدس، بمشاركة فصائلنا وشعبنا وحركتنا التي قدّمت ياسر عرفات شهيداً عندما لم يقبل التنازل عنها، وحوصر بسببها مما أدى إلى اغتياله. إن كل انتفاضات شعبنا كانت من أجل القدس، من انتفاضة الأقصى إلى معركة البوابات، ثم باب الرحمة؛ وأخيراً انتصار باب العامود بإجبار العدو على فتحه. ومعركتنا اليوم تندرج في إطار الدفاع عن القدس المحتلة؛ واليوم يدفع أبناء شعبنا التضحيات العظام لأنهم يمارسون السيادة الفلسطينية في القدس؛ فهي كانت وستبقى لبّ الصراع والمعركة المفتوحة مع الاحتلال لفرض سيادتنا باعتبارها عاصمة دولة فلسطين.

إننا نستذكر اليوم ما قاله الشهيد ياسر عرفات: «ليس منّا وليس فينا من يتخلى عن القدس». فالمطلوب منّا ومن كل الفصائل الفلسطينية تعزيز وحدتنا الفلسطينية، وتعزيز المقاومة بكل أشكالها واستمرارها وتصاعدها، ووضع خطة ضمن برنامج وطني جامع تعدّه القيادة الفلسطينية، وتتولّى تسهيل ودعم المقاومة بشتى الوسائل الممكنة، لأن الاحتلال يريد أن يبقى بلا كلفة، وأن يكرّس ما يريده في ظل الانقسام والاختلاف بين الفصائل.

لذا، من الأهمية بمكان الاستمرار في الحوار ووضع الأمور الخلافية جانباً، والذهاب إلى استكمال ما تم الاتفاق عليه في لقاء الفصائل والأمناء العامين في بيروت، ورام الله وتركيا والقاهرة وغيرها. وعلى المجتمع الدولي، بكل مؤسساته ومنظماته الدولية، وجامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي، ممارسة مسؤولياتهم للحد من هذه الممارسات الإحلالية، سيما في مدينة القدس، وإجبار سلطات الاحتلال على الرضوخ للقانون الدولي والسياسي لمدينة القدس، كونها مدينة محتلة ينطبق عليها ما ينطبق على المدن المحتلة التي تشملها اتفاقيات جنيف الأربع.

إن الوضع القائم في مدينة القدس، وإبعاد المناضلين ورجال الدين عنها، وكذلك في الضفة الغربية وقطاع غزة، والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبها جيش الاحتلال في قطاع غزة، يفرض أولاً على المحكمة الجنائية الدولية قول كلمتها؛ كما يفرض على مجلس الأمن الدولي وضع نظام خاص للحماية الدولية؛ ويفرض ثالثاً عقد اجتماع عاجل لأطراف اتفاقية جنيف الرابعة لضمان التزام «اسرائيل» بتلك الاتفاقيات.

لقد علّمتنا غزة، بمقاومتها الباسلة ووحدة الميدان ومسيرات العودة، الكبرى دروساً في الصمود والكرامة والمقاومة والعزة. وهي استطاعت دحر وردع الاحتلال ووضع حد لاجتياحاته، وأصبح قادة وجنرالات العدو يحسبون ألف حساب لأي مغامرة بالهجوم على غزة التي أصبحت تكلفتها باهظة بالنسبة لهم.

في هذه المناسبة نحيّي صمود أهلنا في غزة والضفة والـ48 والشتات، وندعو إلى استعادة الوحدة الفلسطينية لتمكين شعبنا من الخروج من حالة اليأس والحصار التي

يعانيها بسبب العدوان المستمر عليه. كما نؤكد على ضرورة إعادة إعمار ما تهدم في غزة نتيجة العدوان.

إن انتصار شعبنا في القدس وفي عموم الأراضي الفلسطينية المحتلة على الاحتلال لن يكتمل إلا بإعادة الوحدة الوطنية الفلسطينية، لأن لا سبيل لتحقيق آمال وطوحات شعبنا إلا بالوحدة.

التطبيع هو خنجر مسموم في خاصرة الشعب الفلسطيني.

الأستاذ ماهر الطاهر: مسؤول دائرة العلاقات السياسية في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

كل الشكر لمركز باحث وللصديق العزيز الدكتور يوسف نصر الله، الذي أتاح لنا هذا اللقاء بمناسبة يوم القدس العالمي في ظل التطورات العميقة والخطيرة التي تمر بها القضية الفلسطينية والمنطقة والعالم الإسلامي.

أولاً، أتوجه بالتحية للشعب الإيراني الشقيق والثورة المباركة التي أحدثت تحولاً استراتيجياً في المنطقة لصالح القضية الفلسطينية، منذ لحظة انتصارها الأولى وحتى هذه اللحظة. وهي واجهت كل الضغوط والتحديات والحصار والمخططات التي استهدفتها، بسبب وقوفها المبدئي إلى جانب أهم قضية في هذا العصر؛ وكانت إيران على استعداد، ولا تزال، لدفع كل ما يترتب من أثمان بسبب موقفها من القضية الفلسطينية، ومن القضايا العادلة في المنطقة وفي العالم بأسره.

ثانياً، عندما أطلق الإمام الخميني صرخته ونداءه التاريخي حول القدس، وحدّد الجمعة الخيرة من رمضان يوماً للقدس.،هو حدّد نظرته الاستراتيجية الثاقبة والبعيدة المدى حول أهمية القدس ومحوريتها في مواجهة العدو الصهيوني، الذي يضع في قلب مخططاته السيطرة على المدينة المقدسة. واليوم، فإن الصراع على القدس يحتدم، وشعبنا الفلسطيني الصامد على أرض فلسطين برهن عن التزامه بالقدس عبر انتفاضاته وجهاده المتواصل ودمائه الزكية، وأحدثها وليس آخرها هبّة القدس والأقصى، التي أرسلت رسالة واضحة

لقادة ومستوطني الكيان بأن لا تحلموا بالسيطرة على القدس، وأننا سنحميها بأرواحنا ودمائنا مهما كان الثمن.

عاماً بعد عام، يزداد الاهتمام بيوم القدس العالمي، وهذا الأمر فيه معنى عميق.يجب إحياء هذه المناسبة في العواصم العربية والإسلامية والعديد من العواصم العالمية.

ثالثاً،إن الدمعة في عيوننا والحزن في قلوبنا؛ لكنه الحزن المقرون بالاعتزاز، لأننا نحيي يوم القدس العالمي بغياب شهيد القدس، شهيد فلسطين، شهيد الحرية في العالم ، قمر الشهداء قاسم سليماني، والشهيد أبو مهدي المهندس، رحمهما الله، مؤكدين العهد للشهيدين ولكل الشهداء بأننا سنواصل درب المقاومة والجهاد حتى يرتفع علم فلسطين فوق القدس، وحتى يرتفع علم فلسطين فوق كل ذرة من تراب فلسطين من بحرها إلى نهرها.

رابعاً، قضية فلسطين، وبعد توقيع اتفاقات أوسلو، تم تشويهها كقضية تحرر وطني، وحدثت انقسامات حادة بين أبناء الشعب الفلسطيني بعد هذه الاتفاقيات؛ ونحن نعيش تداعيات ذلك حتى الآن، حيث لمسنا أن الهدف الأساسي لقيام الكيان الإسرائيلي كان ولا يزال من وراء هذه الاتفاقيات هو تمزيق مشروع التحرر الوطني. لذلك، وعلى ضوء التجربة، لا بد من إصلاح الأمور وتصويبها على قاعدة أننا حركة تحرر وطني نواجه مشروعاً صهيونياً استعمارياً يستهدف استمرار اغتصاب الأرض الفلسطينية والسيطرة على المنطقة بأسرها، اقتصادياً وأمنياً وسياسياً ،من خلال التطبيع مع دول عربية تابعة أبدت الاستعداد ووقّعت اتفاقيات تحمل عنوان التحالف مع هذا الكيان الغاصب.

من هنا، نقول وبكل وضوح: لن تستقيم الأمور في الساحة الفلسطينية ما لم تُلغى اتفاقات أوسلو ويسحب الاعتراف بالكيان الصهيوني، حتى نضع القضية الفلسطينية على المسار الصحيح. وإن كان أوسلو انتهى كما يُقال، فلنعلن أن الكيان الصهيوني انتهى.

هناك استحالة للوصول إلى حل سياسي مع كيان عنصري إجلائي استيطاني، يقبل بحل واحد يقوم على قاعدة حكم إداري ذاتي محدود تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة، اقتصادياً وأمنياً وسياسياً، بهدف حل مشاكل الكيان الإسرائيلي لأنه يعيش مشاكل حقيقية.

إن الحقائق تؤكد بأن الصراع مع الكيان الصهيوني هو صراع وجود بكل معنى الكلمة. ولذلك علينا أن نعيد الاعتبار لمعنى فلسطين (حيفا وعكا والناصرة وكل بقعة على أرض فلسطين). الكيان الإسرائيلي بدأ يتحدث عن الخطر الوجودي الذي يواجهه. كما يتخبّط حالياً في مأزق سياسي، وهو على أبواب إجراء انتخابات برلمانية خامسة.

إن الرهانات على إدارة الرئيس الأميركي بايدن بأنها ستمارس سياسة بعيدة عن سياسة إدارة ترامب وصفقة القرن، هي رهانات بائسة وخاسرة ، لأن سياسة بايدن تختلف من حيث الشكل، ولكن في الجوهر هي تبنّت ما قام به ترامب في القدس وحولها، ورفضت أن تتابع المحكمة الجنائية الدولية ما قام به العدو من جرائم بحق الفلسطينيين؛ فإذاً هي تؤكد دعمها وحمايتها لهذا الكيان.

تتحدث إدارة بايدن عن حل الدولتين، ولكن ما تعنيه هو حكم إداري ذاتي تحت السيطرة الإسرائيلية، من الممكن أن نطلق عليه اسم الدولة لكنها دولة بلا مضمون.

خامساً، لقد أوضحنا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أن المدخل السليم لإنهاء الانقسام في الداخل الفلسطيني ليس بانتخاب المجلس التشريعي. وقد حذّرنا أن هذا المدخل قد تكون نتيجته تفاقم المشكلات. قلنا هذا أكثر من مرة، وقلنا إنه لا يمكن تجاهل العامل الإسرائيلي في موضوع الانتخابات. وها نحن الآن أمام واقع يؤكد أن المدخل السليم لهذا الانقسام البدء بعنوان منظمة التحرير الفلسطينية، كإطار جامع للشعب الفلسطيني داخل الأراضي وخارجها وإعادة بناء مؤسسات ها، ومشاركة كافة القوى والفصائل ضمن إطارها من خلال إنشاء مجلس وطني فلسطيني شامل يرسم ويبلور استراتيجية عمل فلسطينية جديدة، ويقوم على قاعدة الوحدة والمقاومة بكل أشكالها، وعلى رأسها المقاومة المسلحة، كخيار استراتيجي في مواجهة الاحتلال.

إن جوهر قضيتنا ليس في الانشغال بانتخابات تشريعية وقوائم انتخابية وطعون، وتجاهل تأثير الاحتلال على كل مفاصل حياتنا؛ بل جوهر قضيتنا هو أننا حركة تحرر وطني تواجه احتلال واستيطان لا يمكن رحيله عن أرضنا إلا بالمقاومة؛ وهذا ما يؤكده شعبنا كل يوم، في نابلس وجنين والقدس وأم الفحم وكل بقعة من فلسطين.

إن كل ما نتعرض له من مخططات ومشاريع يستهدف فكرة المقاومة والمواجهة. ومن هنا فإن كل الفصائل الفلسطينية بحاجة إلى نفض الغبار عن ذاتها وتقييم تجربتها للإعداد لمقاومة وانتفاضة شاملة لمواجهة العدو الذي لا يفهم إلا بالقوة؛ وهذا ما أكدته هبّة القدس منذ أيام ،حيث استنفرت قوى إقليمية ودولية لتهدئة الأمور، لأنهم يعرفون ما معنى انتفاضة فلسطينية شاملة في ظل صمود وتنامي محور المقاومة في السنوات الماضية؛ صمود سوريا الكبير والاستراتيجي، صمود المقاومة في لبنان، صمود الشعب اليمني العظيم، صمود الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ هذا الصمود الاستراتيجي لمحور المقاومة، وفي قلبه صمود الشعب الفلسطيني، بدأنا نلمس نتائجه اليوم عبر الكثير من التطورات في المشهد السياسي، إقليمياً ودولياً.

سادساً وأخيراً، إن التطورات السياسية على المستوى الدولي، والانتقال من الحكم ذي القطب الواحد إلى النظام العالمي المتعدد الأقطاب، وبروز وتنامي قوى عالمية صاعدة، وتراجع الدور الأميركي؛ إضافة إلى التطورات على الصعيد العالمي، كلها تؤكد أنها ستكون لصالح قوى التحرر ولصالح القضية الفلسطينية. وبالتالي، فإن الظروف والعوامل الموضوعية يمكن أن تصب في صالحنا، شرط تصليب العامل الذاتي الفلسطيني الذي يعيش أزمة عميقة ومتعددة الأبعاد، لكي يعالج مواضع الخلل العميقة التي تضعف هذا العامل.

أخيراً، بعد عملية حاجز «زعترة» البطولية التي نفذها شاب فلسطيني قبل أيام، نقول: لا يكتسب رصاص المقاومة الذي أصاب رجال الإرهاب والاحتلال قيمته من عدد الذين أصيبوا في العملية، بل ممّا حمله هذا الفعل وعبّر عنه من معالم متعددة تتصل بقناعات شعبنا وبجذور هذا الصراع التاريخي.

الأستاذ أسامة حمدان: قيادي في حركة حماس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله. السلام عليكم.

كثيرة هي دلالات يوم القدس الذي أطلقه الإمام الخميني رحمه الله، دلالات سياسية

ومعنوية وغير ذلك. لكنني أعتقد أن واحدة من أهم الدلالات هي تكريس طبيعة الصراع مع هذا العدو الصهيوني وربطه بعبادة هي ركن من أركان الدين عند المسلمين، ما يعطي الصراع بعداً عقائدياً ودينياً. فالموقف السياسي عند الإمام الخميني لا عمق له ما لم يكن مرتكزاً إلى بيئة فكرية وثقافية واجتماعية تمثّل قاعدة وحماية له من الانحراف والخلل، وتمثّل حماية لموقف القيادة من أن تتراجع تحت وطأة الضغوط؛ وهي مسألة كثيراً ما تحدث في عالم السياسة.

فيوم القدس لا يقتصر على كونه يوماً يؤكد على أن قضية القدس هي قضية لأمّة جامعة، أو يوماً تعزز فيها الأمّة حضورها للدفاع عنها، بل يشكل حماية للموقف السياسي للقدس على الصعيد الفلسطيني وعلى صعيد هذه الأمة، وهو يعزّز الرواية الحقيقية للقدس ولفلسطين.

لذا، فإن رهان العدو على تشويه الرواية وتزوير الحقائق مع تتابع الأجيال، وحرف الأمور عن حقيقتها، لا يستطيع الصمود أمام يوم تعزز فيه رواية حقنا في القدس كشعب وكمسلمين ومسيحيين.

لقد شكّل يوم القدس العالمي تكثيفاً لرمزية القضية الفلسطينية، قضية أرض وشعب وتاريخ، قضية أقصى وقيامة، قضية جهاد وتحرير، قضية وجودية الصراع مع هذا الكيان.

إن ما يجري اليوم من معركة في القدس يهدف لتهويدها، بعد أن ثبّتت إدارة بايدن السلوك الذي اختاره ترامب باعتبار القدس عاصمة للكيان الصهيوني ونقل السفارة الأميركية إليها.

إن مواجهة تهويد القدس، التي يريدها اليهود لا سمة عربية أو إسلامية فيها، تحتاج للتكاتف والجهد. فما يجري اليوم في حي الشيخ جراح ومحاولات الاستيلاء على الأقصى وتعطيل الاحتفال في كنيسة القيامة، كل هذا لا ينفصل عن نقل السفارة الأميركية وعن مسار تهويد القدس الذي يريده الاحتلال. وإن كانت إرادة شعبنا قد انتصرت في باب العامود وقبلها في معركة البوابات، فإنها اليوم ستنتصر في مواجهة 28 رمضان– العاشر من أيار، لا سيما أنها ستأتي معززة بيوم القدس الذي سيأتي فيه أن شعب فلسطين وأن أهل القدس لا يقفون في الميدان وحدهم، وإنما تقف إلى جانبهم أمّة تربو عن المليار، وأن هذه

الأمة لا ترى القدس دعماً إنما ترى القدس قضية لها، وهي مستعدة للدفاع والقتال من أجلها والعمل على تحريرها. وإن إصرار العدو على تهويد القدس يعني بأنه يريد أن يذهب بهذا الصراع إلى دفع هذا المليار نحو المشاركة المباشرة فيه.

إن المطلوب اليوم هو توحيد الشعب الفلسطيني وإعادة العمل بالمؤسسات؛ ويشمل أيضاً إعادة الاعتبار أولاً للمشروع الوطني الفلسطيني كمشروع صمود وعودة، ودعم صمود شعبنا وتواصل المقاومة على أرض فلسطين. وإن عملية «الزعترة» تعبّر عن إرادة المقاومة لدى هذا الشعب رغم كل محاولات النيل من إرادته ومحاولة تطبيعه وجعله يستسلم لهذا الاحتلال.

إن عملية زعترة ستكون مساراً جديداً للمقاومة التي سيفرض شعبنا من خلاله إرادته على الاحتلال.

إن المقاومة اليوم تسعى لفرض معادلة جديدة تقول إن النيل من القدس يعني عدم استقرار تل أبيب، وإن صواريخ المقاومة ستطالها بإذن الله. فالمقاومة التي لمست وهن بيت العنكبوت ليست اليوم بوارد التراجع، بل هي بصدد مواجهة الاحتلال.

أخيراً، في واقع أمّتنا اليوم، ونحن نحتفي بيوم القدس الذي ستحييه شعوب كثيرة، هناك ظاهرة شاذة على هذه الأمة، وهي التطبيع؛ وهي ظاهرة تتعلق بفئة محدودة ضلّت الطريق وقرأت الأمور على غير حقيقتها؛ ولو قرأنا الأمور مثلها لضاعت قضية فلسطين. لهؤلاء رسالة واضحة: إن الرهان على هذا العدو رهان في غير موضعه، فهو كيان زائل وستزول معه الرهانات وربما الذين راهنوا عليه.

لذا، نحن نؤكد في يوم القدس العالمي أن مشوارنا متواصل، وأن مقاومتنا بإذن الله متواصلة حتى يتحقق زوال هذه الغدّة السرطانية من الوجود.

الأستاذ أبو نضال الأشقر:الأمين العام لجبهة التحرير الفلسطينية

شكراً لمركز باحث وللدكتور يوسف نصر الله على هذا اللقاء في يوم القدس العالمي.

تحيّة لروح من أطلق هذا اليوم في الجمعة الأخيرة من أيام شهر رمضان المبارك، آية الله

الإمام الخميني (قدس سرّه). يوم القدس العالمي ليس مناسبة لنحييها فقط؛ إنها مناسبة لنتذكر فيها واجباتنا اتجاه قضايانا؛ إنه يوم لنصرة المستضعفين ضد المستكبرين ويوم لثورة المظلومين ضد الظالمين. في كل عام، عندما نحتفل في هذا اليوم، نقف أمام المبادرات والانتصارات لمواصلة تحقيقها، ولإزالة كل السلبيات والتحديات التي واجهتنا خلال هذا العام.

واليوم، نحن نحتفل بيوم القدس العالمي في زمن انقلبت فيه المفاهيم، وأصبحت الردة والارتداد عن القضايا المصيرية، مع استبدال الأعداء بأصدقاء فاتحين في العديد من العواصم العربية. وفي هذا المجال نجد أن الشعب العربي الفلسطيني يُعيد الاعتبار لقضيته من جديد، وخاصة أهلنا في القدس، الذين ينتفضون اليوم كي يُعيدوا الاعتبار للقضية الوطنية الفلسطينية ويُعيدوا الاعتبار للأمة جمعاء، التي أراد الحكام بخسها ووضعها تحت أقدام الطغاة الصهاينة.

في هذا السياق، القدس اليوم تختصر قضايا الأمة بعنوانها الأساسي: القضية الفلسطينية. القدس اليوم، بأحيائها، بأزقّتها، بشوارعها، بمقدساتها الإسلامية والمسيحية، تتكامل لتستجمع كل عناصر القوة لهذه الأمة.

القدس هي عنوان المواجهة وعنوان الصمود والثبات في الأرض. وإن أردنا ان نبحث عن مكامن القوة في هذه الأمة نجد أولاً، الصمود في الأرض. وإذا أردنا أن نبحث عن عوامل النصر لقضيتنا الوطنية الفلسطينية وكيفية استعادة حقوقنا الوطنية والتاريخية الثابتة علينا أن نعزز وحدتنا الوطنية؛ لكن الوحدة الوطنية ليست مجرّد شعار عاطفي نردّده أينما حللنا، بل هي اتفاق على مشروع وعلى برنامج من أجل استعادة حقوقنا الوطنية والتاريخية الثابتة؛ الوحدة الوطنية هي اتفاقنا على ماهية قضيتنا الوطنية الفلسطينية التي هي قضية تحرر بامتياز؛ وعندما نتحدث عن وحدة وطنية يجب أن نتحدث عن مشروع وطني لحركة تحرر وطنية تضع كل الطاقات وكل الإمكانيات وكل الاتجاهات السياسيات والفكرية والشعبية في مواجهة هذا المشروع الاستيطاني العنصري الذي يحاول بدءً من

تهويد القدس، تهويد فلسطين من خلال المشروع الذي وضعه، وهو مشروع القومية الذي يحدد يهودية الدولة وعنصريتها في مواجهة شعبنا الفلسطيني.

وعندما نتحدث عن المقاومة يجب أن تكون المقاومة ضمن إطار المشروع الوطني لحركة التحرر الوطني، من أجل أن نُسقط كل أوهام التسوية أو إمكانية التعايش مع هذا العدو، أو التوصل إلى سلام من خلال المفاوضات أو استعادة الحقوق عبر المفاوضات أو عبر القرارات الدولية. هكذا نستعيد حقوقنا الوطنية.

في يوم القدس لنتكامل جميعاً مع أهلنا المقدسيين، ولنتكامل جميعاً مع شعبنا في فلسطين، في الضفة الغربية، في قطاع غزة، في مناطق 48 ؛ولنكن كلنا مقاومة في وحدة ميدانية، وحدة الأرض ووحدة الشعب ووحدة المصير ووحدة الحقوق الوطنية والتاريخية الثابتة في فلسطين؛ وكل عام وأنتم بخير، وشعبنا وقضيتنا ومقاومتنا وأمّتنا بخير، وشكراً.

قراءة في كتاب:

قاسم سليماني
الشخصية، والدور، والاستراتيجية

مراجعة: حسن صعب

* الناشر: مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية.
* الطبعة الأولى: 2021.

أصدر مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، في الذكرى السنوية الأولى لاستشهاد الحاج قاسم سليماني، قائد فيلق القدس، كتاباً تضمّن مشاركات وشهادات ومواقف لشخصيات قيادية في فصائل المقاومة الفلسطينية، والمقاومة اللبنانية، وكذلك لفعاليات حزبية وسياسية وفكرية من لبنان وسوريا ودول عربية أخرى، حول بعض المحطات المضيئة في سجل القائد سليماني، والذي كانت لبصماته الأثر البالغ في التحوّلات الجذرية التي حصلت في مجرى الصراع التاريخي مع الكيان الصهيوني وراعيته الولايات المتحدة الأميركية.

افتتح الكتاب الدكتور يوسف نصرالله، مدير مركز باحث، بقراءة لشهادة الحاج قاسم التي كانت بمثابة حدث تأسيسي في نهضة الأمة ورفعتها واقتدارها، وانعطافة حادة في تثويرها وتحفيزها والارتقاء بوعيها.

وأضاف: لقد أريد لإخراج الرجل من المعادلة أن يحقّق فائدة استراتيجية توفّر لواشنطن، كما لحليفتيها تل أبيب والرياض، الانفكاك عن ألدّ أعدائهم وأشدهم بأساً على مرّ أزمنة الصراع وفصوله. لكن المفاجأة الصارخة أن طهرانية الحاج قاسم الثورية أصبحت مصدر إلهام الجماهير وتحشيدهم وتحريضهم.

وكشف نصرالله أبرز أهداف الأميركي الاستراتيجية من عملية اغتيال القائد سليماني (ورفيقه أبو مهدي المهندس)، وهي تتمحور حول تعزيز واشنطن لردعها المتآكل في العراق،

والحرب على النفوذ الإقليمي لإيران، وإحكام الحصار على فلسطين، التي كان الحاج قاسم يجهد في بعث مقوّمات المناعة الداخلية فيها؛ بل ولإطلاق قطار تحرير كامل ترابها.

رئيس كتلة الوفاء للمقاومة، الحاج محمد رعد، تحدث عن عناصر التميّز في شخصية القائد سليماني (رضوان الله عليه)، وأهمها:

أولاً: الموفقية في متابعة سير الاستقامة ومواصلة العروج في طريق التكامل، وصولاً إلى تحقيق العبودية الخالصة لله عزّ وجلّ، والأخوّة الجاذبة والمحبّبة لدى البشر.

ثانياً: الطاعة المعبّرة عن الحب الصادق لوليّ الأمر، وتوطين النفس على الانضباط والالتزام الصارم بتعليماته وأوامره.

ثالثاً: الحرص على تحمّل المسؤولية عبر مواصلة التعلّم والاطلاع واستنفاد الخبرة والإبداع، والجمع بين الفهم الاستراتيجي والمراس التكتيكي والميداني، وحسن توزيع الأعمال.

رابعاً: التعبّد بواجب إنجاز التكليف، وتحقيق الأهداف، والإكثار من النجاحات المتحققة بقيادته، وضمن فترة قياسية قصيرة.

وختم رعد مقالته حول الشهيد سليماني بأن اغتياله على أيدي الجيش الأميركي، وبالطريقة الخسيسة والغادرة التي نفّذت، سيُبقيه كابوس عار على من قتله ودبّر اغتياله.. وفرح به.. وأدخل الحزن إلى «قلوب المؤمنين ليوم يُبعثون».

زياد النخالة، أمين عام حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، أكد أن الشهيد سليماني لم يكن قائداً عسكرياً أو ضابطاً أنهى فترة خدمته وذهب متقاعداً بعد سنوات طويلة من القتال؛ بل كان بحضوره الدائم وتضحياته واحداً من أهم القادة في المنطقة والعالم، الذين شكّلوا مدرسة للأجيال القادمة في كيفية مواجهة هيمنة المشروع الأميركي والصهيوني على الأمة.

وأضاف: كان الحاج قاسم حاضراً وفاعلاً في كل جبهات القتال، في مواجهة أميركا وحلفائها، وفي جبهة فلسطين على وجه الخصوص؛ و لم يتأخر يوماً في تقديم كل ما تحتاجه من إمكانيات وخبرات عسكرية، لأن معاركه كانت أيضاً من أجل فلسطين.

أما رئيس الوزراء العراقي الأسبق، نوري المالكي، فأكد أن الشعب العراقي، بل والشعوب العربية والإسلامية برمّتها، لن تنسى الدور المفصلي الذي أدّاه الشهيد قاسم سليماني بعد العام 2013، حين أسهم إلى جانب القيادة العراقية، في قيادة أكبر عملية ميدانية إقليمية مضادة، تمّ فيها إحباط أكبر مخطط إقليمي عدواني، يقلب الأوضاع رأساً على عقب، ويعزّز الدور الإسرائيلي

والجماعات التكفيرية الطائفية.

ويضيف المالكي: كان من أهم خصال الشهيد سليماني تفهّمه للواقع العراقي الذي يعاني تبعات الاحتلال ومخلّفات دكتاتورية البعث. فهو كان يعي الضرورة التي نتعامل من خلالها مع القوّة المحتلة الطارئة، بوصفها أمراً واقعاً ضاغطاً موقتاً، ويتفهم خطابنا الإعلامي التوازني وعلاقاتنا التوافقية.

بثينة شعبان، المستشارة السياسية والإعلامية للرئيس السوري بشار الأسد، لاحظت أن تواضع وبساطة القائد سليماني لم يحجبا فكره الاستراتيجي المدرك لأهداف الخصوم وتعقيدات السيناريوهات التي وضعوها للمنطقة، كي يحرموها من عناصر القوة واستقلالية الرأي والقرار.

وأكدت شعبان أن احتضان إرث الشهيد، والسير على نوره، بتفاصيله المهمة واستراتيجاته الكبرى، يجعل من نهجه عملاً مستمراً، ودائماً يؤتي أكله حتى بعد التحاق صاحبه بالرفيق الأعلى، ويلقّن الذين ارتكبوا هذه الجريمة البشعة درساً بأنهم لا يستطيعون إيقاف مسار روح استمدّت قوّتها ورؤيتها من روح وعزة الخالق عزّ وجلّ.

من جهته، «أدهم خنجر»، وهو من كوادر المقاومة الإسلامية الأوائل، تحدث عن بدايات العمل مع الشهيد سليماني، منذ العام 1982، أي منذ الاجتياح الإسرائيلي للبنان وقدوم عناصر حرس الثورة الإسلامية للمساعدة، حيث نشأت علاقة امتدّت وتطورت طيلة السنوات اللاحقة.

وتحدث الكادر عن اللقاءات التي جمعته بالحاج قاسم، والتي عرّفته على أساليبه المبدعة وحجم عطائه المذهل. ومن ميزاته الجرأة والاستعداد للمغامرة فوراً وبلا إبطاء، حتى وإن خالف بعض الأصول وانتقد من بعض أصحاب أهل الخبرة؛ إضافة إلى العمق في فكر الشهيد سليماني الاستراتيجي، إذ تصوّر منذ البداية أن النجاح في المواجهات الأولى مع العدو سيحقّق تحولاً جذرياً في مستوى الصراع، من مجموعات صغيرة متواضعة القدرة والتنظيم في مواجهات محدودة، إلى وضع مختلف تماماً يشاهد فيه المستقبل وكأنه يراه ويعيشه.

وعلى مشارف العام 2000 (عام تحرير جنوب لبنان) ، وبعده، استطاع الحاج قاسم أن يحوّل التنظيم الصغير (لحزب الله) خلال ست سنوات، إلى قوّة شكّلت خلال حرب تموز 2006 خطراً يعادل خطر جيوش تابعة لدول، رغم تطوير الجيش الإسرائيلي لقدراته، من عام 1973 إلى عام 2006.

وتحدث الكادر عن مساعي الحاج قاسم (والمقاومة) لتفعيل العمل المقاوم في فلسطين بعد

إغلاق جبهة (جرح) لبنان من قبل الجيش الصهيوني. وابتداء من العام 2000، بدأ العمل على الصناعات الصاروخية اليدوية في الأراضي المحتلة التي يمكن الاستفادة منها في فلسطين، حيث بذل الحاج قاسم جهداً مضاعفاً عن الجهد الذي بذله للمقاومة في لبنان.

وكذلك كان نهج الحاج قاسم المبدع والمبادر في دعم المقاومة العراقية ضد المحتل الأميركي؛ فهو كان حاضراً في الجبهة، وفي التسليح، وفي التخطيط لعدد كبير جداً من الفصائل، وحاضراً أيضاً في التنفيذ، حتى على الخط الأول في الجبهة.

وأخيراً، شرح الكادر تجربة الحاج قاسم مع اليمنيين، قبل وبعد «الربيع العربي»، حيث تعامل مع مختلف القوى والجهات السياسية والعشائر للحفاظ على وحدة اليمن ولمواجهة القوى التكفيرية؛ وكان يقول ويردّد: إن اليمن كنز كان مدفوناً تحت الرمال، وكشفته العاصفة.

تحت عنوان (قاسم سليماني عاشق فلسطين)، كتب إسماعيل رضوان، عضو المكتب السياسي في حركة حماس، عن الحاج قاسم، الرجل الاستثنائي الذي مثّل فقدانه خسارة كبرى لفلسطين والمقاومة.

وأشار رضوان إلى أن سليماني أحبّ فلسطين وتعلق قلبه بالقدس، منطلقاً من اعتقاده الديني والفكري، وواجبه الشرعي والجهادي تجاه القضية المركزية للأمّة، فحُقّ له أن يُسمى باسم «عاشق فلسطين»؛ وقد سمّاه د. إسماعيل هنية، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، «شهيد القدس»، لأن بوصلته كانت باتجاه القدس وفلسطين، حيث لم يترك لحظة من لحظات الإعداد والدعم للمقاومة الفلسطينية في كل المراحل، بالمال والسلاح والتدريب والتقنيات المطلوبة لتطويرها.

وختم رضوان بأن الوفاء لروح الشهيد قاسم يتطلب التمسك بالثوابت الإسلامية، وعلى رأسها قضية فلسطين، وحشد طاقات الأمة في معركة التحرير، وتحقيق الوحدة الإسلامية، وتوحيد جبهات المقاومة لمواجهة مشاريع تصفية القضية المركزية للأمة، مع التركيز على البناء الإيماني والفكري والسياسي في إعداد المجاهدين، ودعم المقاومة وتطوير أدواتها ومراكمة القوة استعداداً لمعركة التحرير الكبرى.

رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المقاومة، الشيخ ماهر حمود، لفت إلى أن القدرة على قيادة الناس هي موهبة يهبها الله تعالى لمن يشاء. وقد اجتمعت هذه الموهبة الربانية لدى سليماني مع المكان المناسب ومع الهدف الأسمى، وهو تحرير القدس، لتعطي الشهيد سليماني هالة لم يحصل عليها آخرون.

وجاء انخراط إيران في معركة الدفاع عن القضية الفلسطينية، وتعيين هذا القائد الفذ مسؤولاً عن العمل على طريق فلسطين، في وقت «ارتدّت» فيه الأمة كلها تقريباً عن تلك القضية المقدسة. وقد أصبح فيلق القدس أكثر أهمية لأن قائده مميّز وفريد. ولو كان على رأس العمل غير الحاج (قاسم) لما نجح هذا العمل، ولما وصل إلى ما وصل إليه.

وأضاف حمود: إن انخراط سليماني (رحمه الله) في مواجهة «داعش» و«النصرة» وما يماثلهما لم يكن إلا على طريق تحرير فلسطين. ولا يجوز في النتيجة أن ننسى البعد الغيبي في المواجهة التي قادها الحاج قاسم، في إطار الحديث عن تطوير الأسلحة، وحيازة الصواريخ العابرة، والحاملة للرؤوس النووية أو ما يشبهها؛ أو حتى تلك القوة النووية التي تخدم الاقتصاد ويخشى الغرب دائماً من تحوّلها إلى قوة عسكرية!

في ثنايا الكتاب وردت أيضاً شهادات حيّة حول الشهيد سليماني ومواقف للتاريخ، سجّلها كلٌ من:

– طلال ناجي: الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة.
– ماهر الطاهر: مسؤول دائرة العلاقات السياسية في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
– عبد الحميد الدشتي: نائب كويتي سابق.
– خالد العبود: عضو مجلس الشعب السوري.
– مباركة الإبراهيمي: نائب في البرلمان التونسي.
– عبدالملك العجري: عضو المكتب السياسي لحركة أنصار الله (اليمن).
– معن الجربا: رئيس حزب كرامة السعودي (المعارض).
– إبراهيم الديلمي: سفير اليمن في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
– حسن النحوي: كاتب وباحث عراقي.
– أبو علي البصري – عدنان إبراهيم: معاون الشهيد أبو مهدي المهندس لشؤون العمليات.
– أبو عمّار الطيب: معاون الشهيد أبو مهدي المهندس لشؤون الحركات المقاومة.
– أحمد راسم النفيس: طبيب وأستاذ جامعي وناشط إسلامي (مصر).
– إدريس هاني: عضو منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين في المغرب.
– علي فيصل: عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.

– مروان عبد العال: مسؤول الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في لبنان.
– حمزة البشتاوي: عضو اللجنة المركزية للجبهة الشعبية – القيادة العامة.
– رامز مصطفى: عضو المكتب السياسي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة.
– إبراهيم علّوش: المنسّق العام للائحة القومي العربي (الأردن).
– أنيس نقّاش: منسّق شبكة أمان للأبحاث والدراسات.
– ناصر قنديل: رئيس تحرير جريدة البناء اللبنانية.
– شارل أبي نادر: عميد متقاعد في الجيش اللبناني.

ملحق خاص

بيوم القدس العالمي

إضاءة على ما تضمنه إعلان يوم القدس العالمي

رامز مصطفى*

بعد مرور 42 عاماً على إطلاق الراحل الإمام الخميني، رحمه الله، دعوته بإعلان الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك، يوماً عالمياً للقدس، لا زلنا بحاجة لاستكشاف الأبعاد التي وقفت وراء الإعلان، ولتلك القراءة الدقيقة والمعمقة والعميقة التي عكفّ عليها الإمام الخميني في فهم الجذور والأصول والإيديولوجيا الخبيثة التي انطلقت منها الحركة الصهيونية لتستوطن وتغتصب الأرض الفلسطينية، وتتمسك بمدينة القدس عاصمة كيانها المصطنع.

في العودة إلى قراءة الإعلان،ولمرات عديدة، والتوقف ملياً، بل والتمعن جيداً في كلماته، لما تضمنته من استشراف استراتيجي لتلك الأهداف التي تعمل عليها قوى الاستكبار العالمي، وغدّتها السرطانية الكيان الصهيوني، على غير صعيد ومستوى، وبما هو متاح، لابد من الإضاءة على بعض ما جاء به إعلان الراحل الإمام الخميني رحمه الله :-

أعلن لدول العالم أجمع، وفي المقدمة منهم الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني، أنّ هوية الجمهورية الإسلامية الإيرانية هي فلسطين وعاصمتها القدس، ونصرة المستضعفين في العالم؛ والشعب الفلسطيني وقضيته ومقاومته في سلّم أولويات هذه المناصرة . فكانت أولى مدلولات تبنّي هذه

* عضو المكتب السياسي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة.

الهوية، طرد السفير الصهيوني من طهران، ووضع سفارة فلسطين مكان سفارة الكيان، وإطلاق شعار: اليوم طهران وغداً فلسطين.

أعطى إعلان الإمام للصراع مع الكيان الصهيوني بعده الإسلامي، لكي لا يبقى في البعد العربي بما فيه الفلسطيني، بعداً مستفرداً به، في دلالة بالغة أنّ فلسطين وفي القلب منها القدس؛ فبقدر ما هي قضية عربية هي أيضاً قضية إسلامية .

أكد الإمام على أنّ الصراع مع الكيان الصهيوني هو صراع وجود لا صراع حدود، لأن الكيان هو دخيل وغاصب ومحتل، ولا حق له في العيش والاستمرار على أرض فلسطين؛ مهما حاول هذا الكيان أن يتلطى وراء أكذوبة محارق الهولوكوست، بهدف استثارة عواطف دول العالم لكسب التأييد الرخيص .

وإن أكّد الإعلان على قدرة الشعب الفلسطيني على تحقيق الانتصار، فهو طالبه بالثبات على الإيمان بقضيته، وتوحيد كلمته . وكلام الإمام جاء من خلفية أنّ تحقيق الانتصار مشروط بالوحدة والإيمان، لأنهّ بغير ذلك لا يمكن طرد وكنس الاحتلال الصهيوني . وللأسف تلك هي حال المشهد الفصائلي لناحية الانقسام السياسي والجغرافي ؛ وهو ما يوظفه الكيان في فرض وقائعه الميدانية على عناوين القضية الفلسطينية، وفي القلب منها القدس.

من المؤكد أنّ الإمام الخميني كان يُدرك أنّ الأنظمة الرجعية العربية تحرص جداً على إقامة علاقات صداقة (تطبيع) مع الكيان الصهيوني، والتي تطورت اليوم إلى تحالفات مشبوهة تستهدف مصالح الأمة وتطلعاتها وقوى المقاومة فيها، وقضية فلسطين في المقدمة منها؛ و«صفقة القرن وخطة الضم وتهويد القدس ومقدساتها» في أولويات هذا التحالف الشيطاني . لذلك قال الإمام : «إنني أعتبر مساندة المشروع، الذي يمنح الاستقلال والاعتراف الرسمي لاسرائيل، فاجعة كبرى للمسلمين، وانتحاراً للحكومات الإسلامية؛ وأعتبر معارضة ذلك فريضة إسلامية كبرى» .

دعوة الإمام الصريحة بأنّ تحرير القدس لا يكون بالمقاومة المسلحة وحدها؛ فهو قال: «في تحرير القدس، يجب الاستفادة من الأسلحة الرشاشة المستندة إلى الإيمان وقدرة الإسلام، وترك الألاعيب السياسية التي تفوح منها رائحة المساومة وإرضاء القوى العظمى جانباً» .

يوم القدس العالمي والحراك الشبابي

حمزة البشتاوي*

مارس الشعب الفلسطيني، منذ بداية إدراكه لطبيعة المشروع الصهيوني الإحلالي الذي يستهدف أرضه ومحو وجوده، أشكالاً متنوعة من النضال والمقاومة، تراوحت بين الحراك العفوي، كما حصل في مواجهة بناء أول مستوطنة صهيونية على أرضه عام 1886 والهبّات المحدودة، كما حصل عام 1920 ،والحراك الشعبي، كما حصل عام 1929 أثناء ثورة البراق ،وثورة العام 1936 ،والثورة المسلحة التي انطلقت عام 1965، وصولاً إلى الانتفاضة الشعبية الكبرى عام 1987 وانتفاضة عام 2000 وانتفاضة عام 2015. واستمراراً لهذه الأشكال النضالية، تشهد فلسطين، ومدينة القدس، شكلاً جديداً من أشكال النضال والمقاومة عنوانه الحراك الشبابي الفلسطيني، انطلاقاً من إدراك الشباب الفلسطيني لدوره في مواصلة الصمود والانتفاضة، متسلحاً بالوعي والوحدة، ومعلناً حضوره المدوي في كافة الميادين والمساحات، وبشكل خاص في مدينة القدس، حاملاً شعلة المقاومة والانتفاضة والأمل والعنوان. ورغم كل المخاطر والتحديات والمؤامرات، يشارك الشباب الفلسطيني بقوة في إحياء يوم القدس العالمي بأشكال ووسائل متعددة، تبدأ أولاً بالحفاظ على بقائهم في القدس، بمساجدها وكنائسها وأحيائها وشوارعها وأسواقها، والدفاع عن هذا الوجود، ومقاومة المحتل

* عضو اللجنة المركزية للجبهة الشعبية – القيادة العامة.

الذي يسعى لأسرلة المدينة بمختلف أنواع أسلحته النارية والأمنية والسياسية، بمشاركة بعض الأنظمة العربية التي تتآمر على القدس.

مواجهة الحملات الأمنية

يخوض الشباب الفلسطيني المعركة ببسالة وإبداع وأساليب وأطر جديدة، يتفاعل معها المجتمع الشبابي في القدس وباقي المدن والبلدات والقرى والمخيمات. فقد تشكلت في القدس وباقي المناطق مجموعات عدة مثل :(شباب لأجل القدس) و(شباب البلد) و (الحراك الشبابي في القدس)، وغيرها من المجموعات الشبابية التي تعمل في ميدان النضال الفعلي في القدس، رغم ملاحقات جهاز الشاباك الإسرائيلي واعتقال عدد منهم وإتهامهم بالانتماء إلى منظمة إرهابية. ولمواجهة تلك الحملات الأمنية والاعتقالات، تحوّل الحراك الشبابي في مدينة القدس إلى حالة شعبية وشبابية تعمل على مواجهة سياسات التهويد والاستيطان وعمليات تدنيس المسجد الأقصى التي تقوم بها عصابات المستوطنين المرتبطين مباشرة بالحكومة والجيش الإسرائيلي. وقد شكلت تجربة الحراك الشبابي عامل جذب للشباب من مناطق الـ 48 والضفة الغربية، خاصة في ذروة الاقتحامات والاستهدافات الإسرائيلية للمسجد الأقصى.

الحراك النوعي طويل الأمد

يكون الحراك الشبابي أحياناً بطيئاً نتيجة عدة أسباب، ولكنه طويل الأمد ويسير بمقاومة يومية داخل الأحياء والشوارع والمساحات، مظهراً أبهى صور التحدي للاحتلا. ويشكّل إحياء يوم القدس العالمي رافعة ثورية للحراك الشبابي الذي يتصاعد عام بعد عام، وتبدأ فعالياته فور انتهاء صلاة يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك، حيث يتحرك الشباب في هذا اليوم بمسيرات مركزية أمام بوابات المسجد الأقصى؛ وفروعها تنطلق من عدة أحياء، حيث يقومون بإطلاق الهتافات والتكبيرات ويرفعون قبضاتهم التي تشكل خط الدفاع الأول عن القدس، غير آبهين ببطش الاحتلال، و الحرب الضروس التي تشنّها المخابرات الإسرائيلية ووحدة المستعربين التي تقوم باقتحام بيوت الشباب المشاركين بالحراك في ساعات الفجر الأولى، وتقودهم إلى مراكز التحقيق والتعذيب، وخاصة مركز (الجلمة) ومركز (المسكوبية)؛ إضافة إلى مركز بتاح تكفا شرق تل أبيب، حيث توجّه لهم تهمة

التحضير لأنشطة إرهابية. وتتصاعد هذه الاقتحامات مع اقتراب يوم القدس، حيث يتحضر الجيش والأجهزة الأمنية الإسرائيلية لإعلان حالة الاستنفار القصوى لمنع إحياء يوم القدس العالمي داخل مدينة القدس والمسجد الأقصى. وتبدأ الحملة الأمنية بالاعتقالات والتضييق ومنع إدخال المياه ووجبات الإفطار، إضافة لمنع إقامة الآذان وتعطيل مكبّرات الصوت وقطع الأسلاك الكهربائية. ولكن الشباب الفلسطيني، الذي يأخذ من سيرة ومسيرة المقاومة والشهداء القدوة والنموذج، يتحرك بشجاعة ووعي لأهمية إحياء هذا اليوم، من خلال توسيع دائرة المشاركة الشعبية وعدم الاكتفاء بالاجتماعات وإصدار البيانات، بل السير وفق أسس وأهداف يوم القدس العالمي، رغم كل الصعوبات والتحديات والتهديد بالاعتقال والقتل وسحب الإقامات والهويات لعدد من المشاركين بالحراك الشبابي في القدس. وقد تم استدعاء شبّان من العيساوية وسلوان ووادي الجوز ومخيم شعفاط للتحقيق بتهمة التحضير لإحياء يوم القدس؛ ولكن ردّ الشباب الفلسطيني كان حاسماً في إحياء يوم القدس في الشوارع والساحات وليس في الصالات المغلقة، واستبدال الوقفات وإلقاء الكلمات بالتوجه إلى نقاط الاحتكاك مع جيش الاحتلال، دون أن يمنع ذلك أشكالاً أخرى، ومنها التحضير لمسيرة في حي العيساوية يسير فيها الأطفال بلباس موحد ويحملون قطعاً خشبية على شكل بنادق؛ إضافة لرفع الأعلام والرايات. كما أصبحت مشاركة الحراك الشبابي في يافا والحراك الشبابي في حيفا إضافة نوعية هذا العام.

كلمة السر

سيبقى الشباب الفلسطيني يضرب أروع الأمثلة بالمقاومة والتمسك بالحقوق وتحدي المحتل، مؤكداً بحراكه أنه كلمة السر في يوم القدس، وبوصلة القلب والروح لأبناء القدس وأحيائها وحاراتها ومخيماتها، الذين يوقدون شعلة الأمل وشرارة الغضب على إيقاع النشيد الذي يردّدونه بمسيراتهم؛ ويقول النشيد: طالع لك يا عدوّي طالع / من كل بيت وحارة وشارع / بسلاحي وإيماني طالع/ ومن كل حيطة وبيت طايحين/ بالبساطير وبالسكانين / وبقنابلنا اليدوية/ أعلنّا الحرب الشعبية/ وليصدح هذا الإيقاع الثوري كتعبير حقيقي عن مقاومة مستمرة تليق بعدالة القضية وتضحيات الشهداء.

القدس تدقّ على الأبواب

مروان عبد العال*

القدس تدق على أبوابها الـ7 المفتوحة، كنوافذ إلى العالم، كونها تتوزع على سور المدينة القديم الذي بني في العهد الكنعاني. تدق على الأبواب، لأن المقاومة أجدى أشكال البقاء . تدق الأبواب، كصرخة الـ(لا) في وجه الظلم والطغيان؛ لأنها تؤمن بأنها على الحق. تمسك بمعتقداتها سلاحاً للنجاة؛ مقاومتها وعي جمعي وذاكرة جماعية إنسانية، مستمرة، أفقية وعامودية، يتضاعف كل شيء خالد فيها؛ أن تمارس شهوة البقاء وتحدي الوجود وجمالية المقاومة التي تليق بروح فلسطين . عندما تدق على أبوابها المفتوحة على العمق التاريخي للصراع، لكونها الأبواب الموصدة في وجه المعتدي على هويتها وشخصيتها وروحها وناسها وطمس ذاكرتها، وهي اختبار الثورات والنضال والأفكار، وكل هوية دونها ناقصة.

تدق على (باب العامود)، ليرتدي قميصاً أبيضاً ، في مدينة هي سرّ الله فينا. هي قداسة كل مرابط فيها له شرف مجاورة مقدساتها، ولكنها ملك أمّة واحدة ممتدة في مساحة عابرة بين الإسراء والمعراج؛ هنا باب العامود، بمنتصف الحائط الشمالي للسور، ويعود تاريخه لعهد سليمان القانوني ؛ وعند مدخل الأقصى يحفر نفقاً في عمق التاريخ نحو طريق الجلجلة، يتسلق جبل المكبر وقبّة الصخرة؛ القدس فيها تقاطع طرق بين الارض والسماء. بين المسافات

* مسؤول الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في لبنان.

في التاريخ والذاكرة، حين ينهض المعراج مرة ثانية، ويعاد صلب السيد المسيح، والواقع المجبول بالدم المشع من نبعه الأول؛ جسده الذي صار خبزاً أبدياً لكل فدائي يشهر في وجه الطاغوت قلبه وحلمه وسلاحه. وما الحُسين إلا إحدى محطاتها الحسنى على وعد اللقاء معها حقاً وحباً وعدلاً.

تدق على (باب الساهرة)، لأنّها المدينة اليقظة التي لا ينام فيها الزمان، وكأن التاريخ فيها قد بدأ للتو: لن يغلق باب المحراب ولا باب المدينة ولا ممراً جغرافياً للعابرين، لأنها القدس باب التاريخ والذاكرة؛ متمازجان بواقع حسّي إلى درجته القصوى؛ هي ليست مساحة محدودة، في الزمان والمكان، بل حول المكان كله وفي الزمان كله، وعلى المسافة الممتدة على طريق الخليل، وصولاً إلى من صان المثوى وأمانة المساحة؛ ولكنها التي لا يملك أحد قدرة تحقيقها في الزمان الطازج أبداً والمكان المقدس دوماً، العام جداً ولكن الخاص جداً في آن معاً.

تدق على (باب الخليل) عند المدخل الغربي للبلدة القديمة، لتزيل آثار القدم الهمجية، التي مرّت أرصفتها، وانكفأت خائبة؛ تسير خلف الأبواب إلى صليب الآلام في طريق الجلجلة. بعد وقبل الميلاد يرقد فيها التاريخ وينبض بحقيقتها، من ميلادها إلى نهوضها الأزلي بعد أن تم تدميرها عبر التاريخ على يد الغزاة أكثر من 18 مرة. وتصل إلى أبواب «حي الشيخ جراح»؛ فصل من فصول التطهير العرقي الواسع للفلسطينيين في هذا الحي، وفي حارات القدس القديمة بشكل عام، والهدف هو إنهاء وجود الأحياء العربية ، لتطبيق خطة فيما يسمى بالحوض المقدس، وخطة شاليم، وخطة وادي السيليكون في واد الجوز التي من المخطط تحويل المنطقة فيها إلى «حديقة قومية». وبالمناسبة الشيخ جراح سمّي بهذا الاسم نسبة لطبيب صلاح الدين، واسمه الشيخ حسام الدين بن شرف الدين عيسى «الجرّاح» قبل 900 عام، ومن ثم تحول المكان إلى قرية فلسطينية ملاصقة لأسوار القدس؛ خطته أرض أكثر، وتقليص الوجود الفلسطيني إلى أدنى مستوياته، حتى يتمكن من تحويل القدس إلى «مركز اليهودية في العالم»؛ عاصمة الدولة اليهودية أو عاصمة الاتحاد الإبراهيمي.

تدق على (باب المغاربة) على الحائط الجنوبي للسور، ويعدّ أصغر الأبواب السبعة،

واتخذ اسمه من حي المغاربة الذين رابطوا هناك، منذ العام 1187 ميلادي. وعلى كل طريق آت، بجياد الرهبة آتٍ وكوجه الله الغامر، تدق رؤوس أصحاب الألسنة السامة واللغة المتسخة من دعاة الخروج من التاريخ ومن ذاتهم ومن أمّتهم . اتباع الدبلوماسية الروحية لاختراق روح الأمة قبل جسدها، يسيرون وراء سيدهم الذي يعدهم بولادة مرحلة من الاستعمار الجديد للسيطرة على مستقبل المنطقة. والعبيد يهجسون بدعواتهم للذهاب الى المستقبل بل الخروج من التاريخ؛ وبكلمة أدق :الخروج من الذات، وبتسريب العقارات والسمسرة، والتسليم برواية الهيكل، بالصمت الرسمي والترويج لهذيان سيّدهم المستعمر و الدنس والقبيح والعدواني.

تدق على (باب الأسباط) عند الحائط الشرقي، وسمّي أيضاً باب القديس «إسطيفان». الأبعاد السامية والمكونات التأسيسية للأمة تواجه من يحاول محوها أو طمسها أو عبرنتها؛ وهم أولئك الذين توارثوا تاريخاً خلقوه من العدم بذاكرة مزيفة لما يسمّى أرض الميعاد، الممتدة من النيل إلى الفرات، حسب الرواية التوراتية؛ وكما قال المفكر إدوارد سعيد: « فلسطين صراع على وجود يمكن تذكره، لا رواية مخترعة بلا ذاكرة «. وسأفتحها الأبواب، يوم تعرضت على مرأى ومسمع العالم لعملية اغتيال مبرمج للرموز الدينية وطمس التاريخ لتزييف الشرعية و بناء ذاكرة زائفة طالت مركزية القدس. مورست العنصرية المطلقة للاحتلال، حسب وصف «ميشيل فوكو»، ليس باحتلال الأرض فقط، بل بطمس التاريخ أيضاً والذاكرة، واختراع شرعية دينية زائفة في معادلة لسرقة هوية المكان واغتيال الحقيقة والحق والعدالة؛ سلوك التقاطع الأميركي/ الصهيوني هذا، ذات الطبيعة الإحلالية ومحرّكها الإبادة الثقافية، نجده يمارس في فلسطين كأنما يتعاطى مع أمة بلا ذاكرة؛ لن تقف إرادتها بين استلاب وحرية، بين النهضة أو السقوط ، بين التقدم والتخلف، بين ابتسار التاريخ أو استمراريته.

ستدق على (باب النبي داوود)، الذي أنشئ في عهد سليمان القانوني. ويقال إنه كان يعد ليكون شبيهاً بباب العامود؛ ولسرعة الإنشاء ظهر بما هو عليه. لن يُقفل باب مدينتنا؛ فالهوية والمكانة لا تحميها إضاعة الوقت ، بل بالانتقال إلى استراتيجية تقطع بشكل منهجي مع السياسة التفاوضية العقيمة، وبشروط استراتيجية لبناء الوحدة الوطنية والمؤسسة الوطنية الفاعلة والكفوءة والحديثة لتجديد هياكلها وأدائها ووظيفتها وفق

استراتيجية مقاومة وطنية شاملة .

تدق على (باب الحديد) في الجانب الشمالي للسور، والذي فتح عام 1898م خلال زيارة الإمبراطور الألماني (غليوم الثاني) للقدس، ولتهزم وجه القوّة، بالرد التاريخي ولكن المشروط بالتمسك بالحق الذي لا يتجزأ أو يؤجّل. الذاكرة لا يمكن أن تتجزأ والهوية كذلك، ثم الحقيقة التاريخية القدس عربية فلسطينية، كما هي باريس فرنسية، لأن الهوية لا يمكن ابتسارها أو اختصارها إلى شرقية وغربية، وقديمة وجديدة، ويهودية ومسيحية وإسلامية، والشريف وغير الشريف. هي عاصمة الحقيقة التاريخية التي تتكثف فيها طهارة الزمان والمكان والإنسان معاً. فيها يكمن منطق الصراع وغايته الأسمى وطبيعته التي تتجلى في أبعاد شتى موحدة، وعلى نحوٍ عالٍ من الانسجام في الماهية الواحدة، متداخلة بألوان قوس قزح.

في يوم القدس العالمي ندقّ على الأبواب؛ سنفتحها الأبواب ولنعيد بهاء القدس. نحيي كل القدس التي يسكنها كل التاريخ وعلى مدى الصراع، لأنها تستحق يومها العظيم. وكل فعل مقاوم قد يخرج دفعة واحدة وفي لحظة واحدة وكأنه في بواكيره الأولى، والسر يكمن في القدس؛ هكذا أبدعت الانتفاضات والهبّات والوقفات الكفاحية والبطولية؛ ويتجدد الصراع كلما مُسّ هذا المقدّس والتاريخي.

يوم القدس العالمي في ظل الصمود والمقاومة

هيثم أبو الغزلان*

كاتب فلسطيني، أمين سرّ العلاقات في حركة الجهاد الإسلامي/ لبنان.

تختصر القدس كل القضايا، حيث يصبح الاشتباك اليوميُّ ملاذ الفلسطينيين الأول والأخير، حين يختارون المواجهة على مزاجهم، لا على مزاج الأوصياء؛ وتصير مواجهة المشروع الصهيوني، الذي يستند إلى أساطير وخرافات دينيّة (وعد إلهي)، وأسطورة سياسية لما يسمى شعب الله المختار، والتحالف مع المشروع الاستعماري الغربي؛ ودمج الرؤية الدينية بالرؤية السياسية، ليصبح الصراع بهذا المنطق صراع وجود، لا ينتهي إلا بنفي أحد الطرفين للآخر. وبطبيعة الحال، إنّ الاحتلال الصهيوني لفلسطين لا يُشبه أي احتلال آخر؛ لكن رغم ذلك سيزول. لقد احتلّ الرّومان فلسطين 600 عام، والإفرنج احتلوا بيت المقدس تسعين عامًا، وهُزمت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت على أسوار عكا؛ ولن يكون مصير الاحتلال الصهيوني الحالي إلا الهزيمة والاندثار.

قاوم الفلسطينيون منذ العام (1882) الغزو الصهيوني، وقدّموا نماذج رائعة من البطولة والفداء والتضحية في سبيل تحرير الأرض وهزيمة المشروع الصهيوني؛ فكانت ثورة وهبّات وانتفاضات (1965 .. 1936 ، 1929، 1921 2000، 1987..)؛ وكلّها أكّدت على إصرار الفلسطينيين على تحرير أرضهم ومقدّساتهم..

أحدث انتصار الثورة وإسقاط نظام الشاه،

وقيام الجمهورية الإسلامية في إيران، في شباط / فبراير 1979، جملة من المزايا والانعكاسات على القضية الفلسطينية، حيث أمر الإمام الخميني بإغلاق سفارة «إسرائيل» في طهران، وطرد «الإسرائيليين»، وتحويل السفارة «الإسرائيلية» إلى سفارة لفلسطين، وقطع إمداد الكيان الصهيوني بالنفط الإيراني الذي كان يعتمد عليه بنسبة (90 %)، وإيقاف المشاريع المشتركة بين البلدين. وعليه، حدّدت الثورة الإسلامية الإيرانية بشكل واضح الشعار الذي ترفعه: «اليوم إيران وغداً فلسطين»، ما يُظهر ترابطًا وجدانيًا وإيمانيًا، وسياسيًا وفكرياً عميقًا، بين الثورة الإسلامية والقضية الفلسطينية.

ولأنّ القدس تحظى بالمكانة الرفيعة لدى المسلمين كافة، وتُعدّ رمزاً لوحدة المسلمين وقوّتهم، أطلق الإمام الخميني في (7/8/1979)، نداءه لجعل الجمعة الأخيرة من شهر رمضان من كل عام يومًا للقدس العالمي، ليُعلن من خلال هذا النداء أنه «في يوم القدس يمتاز الحق عن الباطل، وأنه يوم الفصل بين الحق والباطل، ويوم افتضاح المتآمرين الموالين لإسرائيل».

فالقدس بالنسبة للإمام الخميني ليست مسألة شخصية، وليست خاصة ببلد ما، ولا هي مسألة خاصة بالمسلمين في العصر الحاضر، بل هي قضية جميع المُوحّدين والمؤمنين في العالم، السالفين منهم والمعاصرين واللاحقين. وهذا يعني أن مناصرة الثورة والشعب الإيراني للقضية الفلسطينية لأنها قضية تحمل صفة المظلوميّة؛ وعليه، تحمّلت إيران مواجهة كلّ التحديات والحصار والحرب، بسبب هذه المواقف الجذرية المنادية بالموت لـ «إسرائيل»، والمواقف الداعمة لفلسطين؛ القضية، والشعب، والمقدسات، والمقاومة. ويشير الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، زياد النخالة، (قناة الميادين، 18– 2020–5) إلى أنه «بوجود الدعم الإيراني لخيار المقاومة، فإن مستقبل المقاومة في المنطقة بخير»، ويلفت إلى أن «المقاومة قادرة على أن تفرض على العدو تقديم تنازلات».

إن فلسطين هي بوّابة العرب والمسلمين التاريخية والجغرافية لأي دور حضاري عالمي راهن أو مستقبلي. ولا شك أنه لا حياة لمشروع عربي أو إسلامي نهضوي إلا بموت المشروع الصهيوني. فالمعركة ضد «إإسرائيل» بصفتها رأس حربة المشروع الغربي، لأن إسقاط هذا الكيان في فلسطين هو إسقاط للهجمة الغربية برمّتها؛ وهو الكفيل بإزالة حالة

التفرقة والتفتيت والتجزئة. فاستعادة الأمة الإسلامية لوعيها بهويتها وذاتها (مشروع النهضة)، والحفاظ على الوحدة الإسلامية، والتأكيد على مركزية الصراع في فلسطين، يُقرّب من لحظة التّغلّب على كل المعوقات التي تمنع التحرير وإنهاء التجزئة والتفرقة والتغريب..

إنّ مصادفة يوم القدس العالمي مع الهبّة المقدسية، تعبّر عن تمسّك الفلسطيني بأرضه ووطنه، ورفضه لكل الاعتداءات والإجراءات الصهيونية والاستيطانية التي تهدف إلى السيطرة على القدس المحتلة والأقصى وكل الأرض الفلسطينية. ولذلك فإن الصراع على الأرض في فلسطين هو بين مشروعين؛ مشروع صهيوني استعماري إحلالي استيطاني، ومشروع عربي إسلامي إنساني؛ وبهذا المعنى هو صراع على الوجود لا يمكن أن ينتهي إلاّ بالقضاء على المشروع الصهيوني على أرضنا. وفي الختام، إنّ الاستمرار بالمقاومة والتصدّي للهجمة الاستيطانية الإحلالية الصهيونية المتصاعدة والمتمادية يُقرّب النصر والتحرير.

سميرأحمد*

في يومها العالمي القدس حامية القضية الفلسطينية وعنصرها الموحّد

كاتب فلسطيني مقيم في بيروت.

قبل أيام عدة من إحياء «يوم القدس العالمي»، الذي كرّسته دعوة الإمام الخميني، قائد الثورة الإسلامية الإيرانية، في آخر جمعة من شهر رمضان، حيث يحتفل فيه أبناء الأمّة في كل مكان من عالمنا العربي والإسلامي، وأحرار العالم، وينتصرون للقدس، مركز الصراع العربي الصهيوني، ولأبنائها الذين يدافعون عن حاضرها ومستقبلها ويحمون المقدسات، وفي المقدمة منها المسجد الأقصى المبارك... قبل أيام عدة من إحياء يوم القدس العالمي، انفجر الغضب الفلسطيني بمدينة القدس المحتلة، في وجه سلطات الاحتلال الصهيوني وإجراءاتها التهويدية والقمعية، وآخرها زرع الحواجز الحديدية في ساحة باب العامود، منذ بداية شهر رمضان المبارك، للحيلولة دون وصول المقدسيين وباقي المصلّين من الوصول إلى المسجد الأقصى المبارك في شهر رمضان الفضيل... انفجر غضب المقدسيين في وجه قطعان المستوطنين، الذين تضاعفت وتيرة استفزازاتهم واعتداءاتهم على أبناء الضفة الغربية المحتلة، عامة، والمقدسيين وتدنيس المسجد الأقصى، بخاصة.

هذا الانفجار الشعبي في ساحة باب العامود، والذي امتد للضفة الغربية وقطاع غزة والأراضي المحتلة عام 48، وأخرج اللاجئين الفلسطينيين إلى شوارع وساحات المخيمات،

جاء بعد سنتين من الركود وتسارع مشاريع ومخططات التهويد في المدينة، فوق الأرض وتحتها، وهدم المزيد من المباني والبيوت الفلسطينية، في حي الشيخ جراح، وغيره من أحياء المدينة، وإسكان المزيد من المستوطنين الصهاينة في بلدة سلوان، وتزايد مساعي التقسيم المكاني والزماني للمسجد الأقصى، في مسعى خبيث لتكرار ما جرى في المسجد الإبراهيمي بمدينة الخليل..

وأهمية ساحة باب العامود تكمن في كونها المدخل الرئيس الى مدينة القدس القديمة، وأن سيطرة سلطات الاحتلال الصهيوني عليها، سياسياً وأمنياً، يعني تطويق ليس المقدسات فحسب، بل البلدة القديمة وحاراتها وأسواقها وأهلها أيضاً، والتضييق الكامل على أبناء القدس وكل المرابطين في المسجد الأقصى، الذين يتوافدون من أنحاء فلسطين، كل فلسطين.

لذلك، يقول المتابعون للوضع في القدس المحتلة، إن ساحة باب العمود الفلسطينية، بحجارتها وناسها، بأبنائها وبروّادها، بتاريخها وحاضرها، بتقاليدها وعاداتها، هي الحيّز الفلسطيني لانطلاق المهرجانات والمناسبات الوطنية والدينية، وسوف تبقى بيد الفلسطينيين.

من هنا جاء التعبير عن الانتصار بعد إزالة الحواجز الحديدية، وكسر وإزالة كاميرات المراقبة «الإسرائيلية» المنصوبة في الساحة، رفضاً للسيطرة والهيمنة الأمنية الصهيونية؛ وهي تكرار لما جرى قبل بضع سنوات، مع انتفاضة البوابات الإلكترونية والكاميرات، في صيف العام 2017...

لقد أثبتت القدس نفسها مرة أخرى، كإحدى المسائل القليلة التي تنجح في إخراج الفلسطينيين إلى الشوارع، رغم وجود جملة من الأزمات بين السلطة وكيان العدو.. ورغم العمل المحموم الذي تقوم به أطراف «اتفاق أبراهام»، من صرف مليارات الدولارات في محاولة لتسهيل مهمة الصهاينة لتهويد المدينة المقدسة.

فالقدس وحدها القادرة على إخراج كل الفلسطينيين الى الشوارع، والدفع باتجاه المواجهة مع الاحتلال الصهيوني.. هذا ما جرى في انتفاضة القدس العام 2000 وهبّة البوابات الإلكترونية في العام 2015.

إنتفاضة الأقصى 2000

في العام 2000 ،هبَّ المقدسيون دفاعاً عن الأقصى، حينما أعلن رئيس وزراء العدو حينها أرئيل شارون سعيه لاقتحام المسجد في 28 أيلول 2000، برفقة قوات من الجيش الصهيوني، للتأكيد على أن الحرم القدسي سيبقى منطقة «إسرائيلية»؛ فتصدّى له الفلسطينيون وأشعلوا انتفاضة الأقصى، التي سرعان ما انتشرت نيرانها في مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية وقطاع غزة، وصولاً للداخل الفلسطيني المحتل عام 48.

حينها خرج الفلسطينيون في مظاهرات غاضبة، حصلت خلالها مواجهات مع جيش الاحتلال سقط فيها شهداء وجرحى؛ وبات الطفل محمد الدرّة رمزاً لانتفاضة الأقصى.

مهنّد الحلبي: مفجّر انتفاضة السكاكين

تواترت في النصف الثاني من العام 2015 الأحداث في القدس، من اقتحامات متلاحقة من جيش العدو الصهيوني وقطعان المستوطنين لساحات المسجد الأقصى. وتكرر الاعتداء على المرابطين في باحات الأقصى، الذين يعتكفون يومياً دفاعاً عنه؛ وكانت جريمة إحراق عائلة الرضيع علي الدوابشة، الشرارة التي أشعلت انتفاضة السكاكين...

ففي أيلول 2015 كثّفت قوات الاحتلال إجراءاتها القمعية ضد الفلسطينيين وكررت اقتحاماتها للأقصى. وأصدر حينها وزير حرب العدو موشيه يعلون أمراً بحظر نشاط مصاطب العلم والرباط في المسجد الأقصى بناءً على توصيات جهاز الأمن العام (الشاباك) والشرطة.

وتلا ذلك اقتحام وزير الزراعة الصهيوني أوري أرئيل الأقصى على رأس مجموعة متطرفين؛ وفي 22 من الشهر ذاته استشهد الشاب ضياء التلاحمة عند مفرق خرسا جنوب بلدة دورا جنوب الخليل، وهديل الهشلمون عند نقطة عسكرية بالخليل.

تسببت تلك الاعتداءات والاقتحامات في اندلاع مواجهات بين قوات الاحتلال وبين المرابطين في الأقصى وفي القدس المحتلة ومدن فلسطينية أخرى، توّجت بإقدام الشاب الفلسطيني مهنّد الحلبي على تنفيذ عملية طعن في البلدة القديمة بالقدس أسفرت عن مقتل مستوطنيْن، وإصابة آخرين بجراح خطرة، بتاريخ 3 تشرين الأول 2015. واعتبر

هذا التاريخ بداية لانتفاضة السكاكين وعمليات الدهس التي طالت العديد من جنود العدو والمستوطنين.

وقد جرت أبرز المواجهات بين الاحتلال والفلسطينيين في كلٍ من القدس وبيت لحم وبلدة بلعا شرق مدينة طولكرم والخليل، وخرجت مظاهرات مؤيدة للمقاومة ومندّدة بإجراءات الاحتلال في كل من غزة ومناطق 1948.

هبَّة الأسرى

انطلقت هبّة شعبية في 28 أبريل/نيسان 2017 من أجل الأسرى في سجون العدو الصهيوني، حيث تضامن الشعب الفلسطيني مع إضراب «الأمعاء الخاوية» عن الطعام الذي خاضه نحو 1500 أسير في سجون العدو ضد ظروف اعتقالهم. وقد استمرت الإضرابات والاحتجاجات في أرجاء الأراضي الفلسطينية المحتلة.

هبَّة الأقصى.. أو البوابات الإلكترونية

انطلقت في 16 تموز ،2017 واستمرت حتى 25 يوليو/تموز2017 ، وشكّلت تحركاً شعبياً حاشداً وواسعاً، تميز باعتصامات متواصلة على بوابات الأقصى، التي وضعت عليها سلطات الاحتلال بوابات إلكترونية لتفتيش وفحص المصلّين.

انتهت الهبّة بتحقيق المقدسيين والمنتفضين الانتصار على سلطات العدو، التي أعلنت تراجعها عن قرار البوابات الإلكترونية ، والكاميرات التي كانت تنوي تثبيتها لمراقبة المرابطين في باحات الأقصى. وقد استشهد خلال هذه الهبّة 15 فلسطينياً وأصيب المئات بجراح.

هكذا نرى أن إصرار العدو الصهيوني على الاعتداء على الفلسطينيين ومقدساتهم، وفي المقدمة منها المسجد الأقصى، هو الشرارة الدائمة لإشعال الانتفاضات الشعبية التي يشع نورها على الأرض الفلسطينية التاريخية، ومنها تنتشر في ربوع عالمنا العربي والإسلامي، وحيث يوجد الأحرار الذين يعتبرون فلسطين قضيتهم والقدس وجهتهم الثابتة والدائمة. وهو ما يؤكد مكانة القدس في العقيدة الإسلامية والوطنية والقومية والإنسانية .

لذلك حازت القدس على اهتمام الإمام الخميني، وقادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الذين يواصلون إحياء هذا اليوم التاريخي، بما يتناسب وأهمية المدينة المقدسة، ويقدّمون الدعم للمجاهدين الذين يسيرون على درب التحرير والعودة... ويواجهون مخططات التهويد التي يتشارك في تنفيذها تحالف الدول الغربية (بما فيها كيان العدو) والعربية المنضوية تحت اتفاق «أبراهام» الاستعماري...

إن الصراع على مدينة القدس هو العنوان الأبرز في مشاريع ومخططات القوى الاستعمارية، كمقدمة لازمة لإحكام سيطرتها على فلسطين أولاً، والمنطقة برمّتها، ثانياً.

فالصراع الدائر على القدس حاليًا ليس حدثًا طارئًا معزولاً عن استراتيجية صهيونية اعتمدت سياسة المراحل المتدرّجة، وصولاً إلى هدفها المركزي في تحقيق يهودية الدولة العبرية، ليس على أرض فلسطين وحسب، وإنَّما على كل المشرق العربي .

وقد تركّز الاهتمام الصهيوني على «أسرلة» القدس وتهويدها، منذ أن سيطر العدو على القسم الغربي من المدينة إبان حرب 1948، حيث أحدثت سلطات الاحتلال تغييرًا جذريًا على صعيد جغرافية هذا القسم المحتل من المدينة وديموغرافيته، وتابعت مشاريعها التهويدية مع احتلال القسم الشرقي من المدينة، خلال حرب حزيران العام 1967.

إن مناسبة إحياء يوم القدس العالمي هذا العام تكتسب أهمية استثنائية، لكونها يتزامن مع الحدث الأبرز الذي شهدته المنطقة، ألا وهو إطلاق الصاروخ السوري – الإيراني باتجاه مفاعل ديمونا الصهيوني، الموقع الأكثر حساسية في حسابات الأمن القومي لكيان العدو الصهيوني، وما يحمله من معانٍ ودلالات وانعكاسات على مجرى الصراع العربي الصهيوني، وأبرزها:

أولاً: إن إطلاق الصاروخ الإيراني من منصة فوق الأرض السورية هو إعلان واضح وصريح عن استكمال تشكّل محور المقاومة، الذي يضم إلى جانب سوريا وإيران، قوى المقاومة في لبنان وفلسطين واليمن والعراق...

ثانياً: إن نظرية العين بالعين، التي تترجمها على أرض الواقع قوى المقاومة في لبنان وفلسطين واليمن والعراق، ستتحول بعد صاروخ ديمونا إلى استراتيجية شاملة لمحور

المقاومة بكاملها؛ وهو ما ترجمته الجمهورية الإسلامية الإيرانية في الحرب البحرية التي بدأها العدو الصهيوني.. وما أكدته اليوم صواريخ غزة التي أكدت أن القدس ليست وحدها.. وصواريخ المقاومة جاهزة للرد على اعتداءات وغطرسة العدو وقطعان المستوطنين...

ثالثاً: إن «صاروخ ديمونا» بعث برسالة واضحة إلى الدول العربية اللاهثة للتطبيع مع كيان العدو ،أملًا في طلب حمايته الأمنية، ومفادها أن هذا الكيان أعجز من حماية نفسه؛ وهو يؤكد ما يقوله ويكرره الأمين العام لحزب الله، سماحة السيد حسن نصرالله: إن هذا الكيان «أوهن من بيت العنكبوت».

رابعاً: كسر الهجوم الصاروخي قاعدة «امتصاص الضربات» التي انتهجتها سوريا وإيران، لفترة من الزمن؛ وهو إشارة واضحة إلى أن الوضع السوري بات اليوم أكثر تحرراً من أعباء الاشتباك الداخلي مع قوى الاستعمار وعصاباته المسلحة، التي تلاحقها الهزائم من مكان إلى آخر... وإن قوى محور المقاومة مستعدة للوصول في مواجهة الاعتداءات الصهيونية إلى «حافة الهاوية»..

خامساً: وجّه صاروخ ديمونا ضربة قوية لمنظومات الدفاع «الإسرائيلية»، بقببها الحديدية والفولاذية والليزرية، وأكد عجزها عن إسقاط الصاروخ الإيراني – السوري الذي اخترق أجواء فلسطين المحتلة من شمالها إلى جنوبها، دون أن تتمكن منظومات الدفاع «الإسرائيلية» من التصدي له وإسقاطه قبل الوصول إلى هدفه المحدد في النقطة المفترض بها أنها الأكثر أمناً في كيان العدو. وهذا الأمر سينعكس حتماً، وبشكل سلبي، على صفقات بيع هذه المنظومة، تماماً كما حصل مع دبابة ميركافا، التي سقطت بصواريخ المقاومة اللبنانية خلال عدوان تموز 2006.

سادساً: إن صاروخ ديمونا كشف عجز القوى الأمنية الصهيونية على اختلاف أذرعها ومسمياتها، وكذلك الإدارة السياسية في كيان العدو، عن توقع مثل هذه الضربة، التي تحدث عنها علناً المحلل الإيراني سعد الله زرعي، الذي قال وبشكل واضح وصريح: يجب اتخاذ إجراءات «ضد المنشأة النووية في ديمونا»... «هذا لأنه لا يوجد فعل آخر يضاهي حادثة نطنز».

سابعاً: إن ردود الفعل التي ظهرت عبر وسائل الإعلام في الكيان الغاصب، والانتقادات التي طالت رئيس حكومة العدو بنيامين نتنياهو، وتحميله مسؤولية وتبعات «صاروخ ديمونا»، تؤكد عمق الأزمة التي يتخبط بها الكيان، خاصة في ظل إدارة أمريكية جديدة، دعت حكومة العدو، وبشكل علني، لوقف «الثرثرة» عن إنجازاتها الأمنية، في وقت تسعى فيه للعودة إلى الاتفاق النووي مع الجمهورية الاسلامية الإيرانية. وهو دليل آخر على فشل سياسة نتنياهو، حامل الملف النووي الإيراني منذ أيام الرئيس الأمريكي الأسبق باراك أوباما.

كل هذه المؤشرات الدالة على تطور دول وقوى محور المقاومة، سوف توفّر سنداً قوياً ودعامة مادية ومعنوية للصامدين فوق أرضهم، وللمجاهدين الذين وهبوا أرواحهم فداءً لفلسطين وللأقصى وكل المقدسات ... فهم الباقون فوق أرض فلسطين؛ أما الاحتلال وأذنابه فإلى زوال...

في يوم القدس العالمي هذا العام .. تبدو «القدس أقرب».

د. مصطفى يوسف اللدّاوي*

كاتب فلسطيني

يومُ القدسِ العالمي يتحدّى يومَ القدسِ اليهودي

إنه يومٌ يخشاه الإسرائيليون ويتهيّبون منه، ويستعدون له ويتهيؤون لمواجهته، ويحرّضون عليه، ويعملون على تشويهه، ويحلمون بتجاوزه ويتمنّون إجهاضه، ويتّهمون المؤمنين به، ويحاربون من يحيونه، ويهدّدون الدول التي تعظّمه والشعوب التي تحترمه، ويتجهزون كل عام في فلسطين لمواجهته ،وفي العالم لمحاربته.

فهو يومٌ ينغّص عليهم عيشهم، ويقضّ مضاجعهم، ويقلقهم على مستقبلهم، ويؤذن بزوالهم، ويؤشّر على أفول نجمهم وذهاب ملكهم وتفكك كيانهم، ويزعزع أمنهم ويضعف يقينهم. وقد عانوا من مظاهره كثيراً وشكوا من تداعياته طويلاً.

إنه مناسبةٌ إسلاميةٌ عامة، فرضها الإمام الخميني منذ بداية ثورته الإسلامية المظفرة في إيران، وسمّاها للمسلمين جميعاً على اختلاف مذاهبهم وأعراقهم وقومياتهم وجنسياتهم، ورأى فيها بشارة خيرة ودلالة أمل على أن فلسطين وعاصمتها القدس، ستتحرر من الاستيطان الصهيوني، وستنعتق من الاحتلال الإسرائيلي، وستغدو حرّةً وتعود إلى المسلمين كما كانت شامةً ودرّة.

إنه يوم القدس العالمي، الذي مضى على إحيائه أكثر من أربعين عاماً، وما زال كما في

يومه الأول حاضراً بقوّة، ثابتاً كعقيدة، يفرض نفسه في كلّ الساحاتِ بإيمان، وتحييه الشعوب المسلمة كفرضٍ وواجب، ولا تتأخر عن الوفاء به كوصيّة ودين.

فقد صدق الإمام الخميني وعده، وأخلص لله عزّ وجل قلبه، وجعل فلسطين وقدسها أمانةً في أعناق المسلمين جميعاً، وجعل نصرتها تكليفاً شرعياً، وتحريرها واجباً مقدّساً؛ ورأى الإمام أن الأمّة بخيرٍ ما كانت قدسها بخيرٍ، وما كانت فلسطينها حرّة، فاستجاب المسلمون لندائه، ولبّى المخلصون دعوته، وحملَ المقاومون وصيّته.

يدين الفلسطينيون في كلّ مكانٍ للجمهورية الإسلامية الإيرانية، ولقائدها الإمام الخميني، بالكثير من الشكر والامتنانً والتقدير والعرفان. فقد كان لهم دورٌ كبيرٌ في جعل القضية الفلسطينية قضيةً حاضرة، ومقاومتها فاعلة، وقدسها صامدة، وإرادتها قاهرة، إذ جمعوا كلمة المسلمين، وقرّبوا بين مذاهبهم، ووحّدوا صفوف مقاومتهم، وحدّدوا هدفهم، ونسّقوا جهودهم، وصوّبوا بندقيتهم، حتى غدت تصفية القضية الفلسطينية مستحيلة، والاستفراد بها صعباً، وشطب حقوق أهلها غير ممكن.

مع الجمهورية الإسلامية في إيران شعر الفلسطينيون أنهم ليسوا وحدهم، بل باتت معهم وإلى جانبهم الأمّة كلها، بشعوبها المسلمة الحرّة الأبيّة، وبإرادتها الصادقة وقدراتها الكاملة؛ يقفون إلى جانبهم ويؤيدونهم، وينصرونهم ويساعدونهم، ويدعمونهم ويساندونهم.

يحاول الإسرائيليون دائماً، وبكلّ ما أوتوا من قوّة، التصدي ليوم القدس العالمي، وإضعاف تأثيره والتقليل من أهميته، وتشويهه والطعن فيه، وتصنيفه طائفياً وإظهاره مذهبياً، وتشجيع معارضيه وبث روح الفتنة بين مناوئيه؛ وهم يدفعون لأجل هذا الهدف الخبيث أموالهم ويبذلون جهودهم، ظناً منهم أنهم سيتمكنون من قتله ومنع إحيائه، وإجهاضه والحد من تأثيره، إذ وجدوا أنه يُفشل مخططاتهم، ويهدّد أحلامهم، ويدمّر مشاريعهم، ويعرّض مستقبلهم لخطر الشطب والزوال.

لكن السنوات المتلاحقة أثبتت أن يوم القدس باقٍ في الأمّة، وأن إحياءه لديها عقيدةً وليس تقليداً، رغم أن بعض الجاهلين من الأمّة، ممّن والَوا الإسرائيليين ومالئوهم، قد أصغوا إليهم واستمعوا لهم، وحاولوا تنفيذ مخططهم والسير على منهجهم؛ لكن الأمّة الإسلامية

الأصيلة أفشلت جهودهم، وفضحت سلوكهم، وبيّنت أنهم ضلّوا الطريق وانحرفوا عن جادّة الصواب، إذ حالفوا العدو القاتل وصدّقوه، واستجابوا لأمنيته وأفرحوه.

استحدث الإسرائيليون، ومعهم دهاقنة الحركة الصهيونية، وكبار رجال الدين ورموز المتشددين القوميين في كيانهم، يوم القدس اليهودي، ليكون في مواجهة يوم القدس الإسلامي الذي دعا إليه الإمام الخميني؛ وهو اليوم الذي يعتقد الإسرائيليون أنه تم فيه توحيد شطري المدينة المقدسة، وفيه عادت مدينة القدس إلى السيادة اليهودية، وتحقق الحلم اليهودي القديم بالعودة إلى "أورشاليم". ويصادف يومهم المُدَّعَى هذا العام يوم العاشر من مايو/أيار، الموافق ليوم الثامن والعشرين من شهر رمضان المعظّم، أي بعد أربعة أيام فقط من الجمعة الأخيرة من شهر رمضان، وهي الجمعة التي أصبحت تُعرف لدى المسلمين عامةً بأنها "يوم القدس العالمي"، والذي تتهيأ له الأمّة سنوياً وتستعد، وتعدّ له العدّة وتحتفل.

يحشد الإسرائيليون لهذا اليوم كل طاقاتهم، ويدعون إلى إحيائه كل فئات شعبهم وأبناء ديانتهم من كل أنحاء العالم، ويتبادلون فيه الرسائل والدعوات عبر وسائل التواصل الاجتماعي، والإعلانات الرسمية المدفوعة الأجر، التي لا تخلو من التعبئة والتحريض، والدعوة إلى استعادة "شرف القدس"، وتطهيرها من الفلسطينيين خصوصاً، ومن العرب والمسلمين عموماً، ظناً منهم أنها مدينتهم الخالصة، وعاصمتهم الموعودة، وإرثهم القديم، ومملكتهم الأولى، التي أُخرجوا منها وشُرّدوا بسببها، فاستحقوا بعد آلاف السنوات من المحنة والعذاب العودة إليها؛ فتراهم يهنّئون أنفسهم كلما التقوا في هذه المناسبة، قائلين "رمضان القادم في القدس وحدنا بدون المسلمين".

يعدّ الإسرائيليون العدّة الكاملة لهذا اليوم، الذي يُطلقون عليه "يوم القدس اليهودي"، ويجهّزون أنفسهم لمسيراتٍ سيّارة، شعبيةٍ عملاقة، يستخدمون فيها الضوء والصوت والصورة، وكل ما يغيظ العرب والفلسطينيين ؛ يقتحمون فيها المسجد الأقصى المبارك، ويجوبون، باستفزازٍ متعمد، في شوارع القدس القديمة؛ ينغّصون على الفلسطينيين ويضيّقون عليهم، ويعتدون على بيوتهم ومحلّاتهم، ويصرخون في وجوههم، أن اخرجوا من "مدينتنا"، وارحلوا من "دولتنا".

تضم مسيرات الإسرائيليين الكيدية في يوم القدس عشرات الآلاف من أتباع الديانة اليهودية، من المستوطنين في فلسطين والزائرين لها، ويشارك فيها مسؤولون سياسيون وقادة عسكريون وضباطٌ أمنيون، ويصطحبون معهم أطفالهم وصبيانهم، ونساءهم وبناتهم، ليشهدوا معهم طقوس العودة إلى القدس، ويكون لهم دورٌ في تطهير "أورشاليم" من "العرب المحتلين والفلسطينيين الغاصبين".

يريد الإسرائيليون من العالم كله أن يقف إلى جانبهم في يومهم، وأن يتبنى رؤيتهم ويشاركهم في احتفالاتهم، وأن يدعمهم في قضيتهم، وأن يؤيدهم في معركتهم، وأن ينتصر لهم على المسلمين في حربه عليهم، وألاّ يصدّقهم في ادعائهم، وألاّ يسمح لهم بإحياء مناسبتهم والاحتفال بيومهم؛ ويحرّض الصهاينة العالم على الجمهورية الإسلامية في إيران، ويتهمونها بالتدخل في القضية الفلسطينية، ودعم الفلسطينيين بالمال والسلاح، ويظنّون أنهم بباطلهم المزعوم سيقوّضون يوم القدس الموعود، وأنهم سينتصرون بظلمهم على المسلمين وعلى من سمى للقدس يوماً، وجعله عالمياً بامتياز؛ ولكن هيهات لهم أن يحاربوا عقيدتنا، وأن يهزموا يقيننا، أو يكووا وعينا، مهما حاولوا واجتهدوا، وعملوا وبذلوا، وتآمروا وغدروا.

إنها معركة تاريخية مقدّسةٌ قداسة قضيتها، وصادقةٌ صدق رجالها، بين الهدى والضلال، وبين الحق والباطل؛ وهي الحرب القديمة بين الحقيقة والأسطورة، وبين اليقين والشك؛ وهي الصراع المستحكم بين الوعد والوهم، وبين العقيدة والخرافة؛ وهي معركة السماء على الأرض، وتحدّي الخير للشر، ومواجهة الحق التي لن تنتهي فصولها إلاّ بهزيمة الباطل وسقوط المستعلي الفاسد، واندحار الشيطان الأكبر. وسيأتي حقاً هذا اليوم الذي سينتصر فيه يوم القدس العالمي على يوم القدس اليهودي ويدحره؛ فهذا يقيننا، وهو وعدنا، وهو وصية إمامنا وبقية ديننا، وإن غداً لناظره قريب؛ "إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً".

تيسير الخطيب*

يوم القدس العالمي يوم قيامة المستضعفين وهزيمة المستكبرين

كاتب فلسطيني،

عاماً بعد عام يصبح يوم القدس العالمي العنوان الأبرز لالتفاف الأمّة ، ومعها أحرار العالم، حول فلسطين.

ولئن كانت القدس ومازالت عنواناً لقضية فلسطين، التي تعني الحق في مواجهة الباطل، والعدالة في مواجهة الظلم ، والحرية في مواجهة الاستعباد، فقد أصبحت وبمرور السنين، عنواناً أكبر لقيامة المستضعفين، بكافة شعوبهم ومللهم، في هذا العالم الذي يناضل من أجل حريّته ضد الجور و العسف والظلم وغمط الحقوق، من قبل قوى الاستكبار التي تخطّط بلا هوادة للسيطرة على مقدّرات البشرية ومواردها المشتركة، وتسعى سعيها لتحويل القسم الأعظم من الشعوب والأمم إلى أقنان وعبيد، وبكافة الوسائل والسبل.

لقد باتت أمم وشعوب العالم، في الشرق والغرب، تدرك وبعمق مركزية القضية الفلسطينية على المستوى الدولي ،وارتباط مأساة فلسطين باستمرار نظام السيطرة الامبريالية الغربية، السياسية والاقتصادية والثقافية، والتي تزداد شراسة يوماً بعد يوم، ليس في العالم العربي والإسلامي فحسب، بل على القسم الأكبر من الشعوب والأمم، والتي ما زالت ضحية للمركزية الغربية بشقّيها الأوروبي والأمريكي ، وأنه لا فكاك من هذه السيطرة الغاشمة إلا بسقوط هذا النظام الدولي المجحف وقيام نظام

أكثر عدالة، يعيد للشعوب المستضعفة حريتها، من أجل ترميم حاضرها وبناء مستقبلها؛ وأن ذلك كله لا يمكن أن يحدث إلا بتفكيك المشروع الصهيوني الغربي المسمّى إسرائيل. فهذا الكيان الذي تم زرعه عنوة، في قلب الشرق «حوض الحضارات»، لم يكن سوى غدّة سرطانية زرعها الزارعون، لجعل الكيان قاعدة للاستعمار في تجلياته غير المباشرة بعد فشل نموذج الاستعمار المباشر.

إن مشروع يوم القدس العالمي، والذي بدأ كفكرة انطلقت من الضمير وطرحتها الثورة الإسلامية في إيران عقب انتصارها، على لسان مؤسسها الإمام الخميني من أجل نصرة القدس وفلسطين، قد تحوّل بمرور الزمن إلى مشروع أممي للتحرر، ينخرط فيه كلّ من ينشد الحق والعدالة في هذا العالم، وكل من يدرك أن لا عدالة في هذا العالم إلا بتحقق العدالة في فلسطين؛ ولا حرية في هذا العالم إلا بتحقق الحرية في فلسطين؛ وإن من القدس، قلب فلسطين النابض، يبدأ السلام الحق الذي ينشده عالمنا ويحتاج. إن القدس كما هي عنوان الإيمان المشترك للتوحيد، والإيمان لأبناء إبراهيم الخليل العظيم، لابد أن تعود موئلاً للسلام والحرية ومثابة للروح والإيمان، حين تتحرر من رجس الاحتلال والصهيونية. فسلام العالم يبدأ من القدس، وإليها ينتهي، وبها كأرض للقداسة والطهارة والبركة يُصان .

يأتي يوم القدس العالمي في شهر رمضان هذا العام (1442) وقد تغير الكثير في عالمنا. وبفضل النضال المرير الذي خاضته وما زالت تخوضه قوى التصدي والمقاومة من أجل القدس و فلسطين، ومن أجل العدالة في هذا العالم، فإن قوى الاستكبار، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، قد فشلت في كل محاولاتها المستميتة لإخضاع هذه المنطقة. وهي باتت تدرك أنه لا بد من تسوية تتخلى فيها ولو عن جزء من مطامعها وأهدافها، وأن مصلحة أمريكا ليست بالضرورة متطابقة مع مصلحة الكيان الصهيوني، وأن زاوية المصالح بينها وبين هذا الكيان تتباعد، وأنه لا مجال لهزيمة القوى الحيّة والمقاومة لمشروع الهيمنة الغربي في المنطقة وربيبته «إسرائيل».

لقد بدأت مراكز الدراسات الغربية، كما وسائل الإعلام في كلٍ من أوروبا وأمريكا والعديد من دول العالم، تطرح مسألة جدوى التأييد الأعمى لكيان محتل عنصري، يتظاهر

باعتناق الديمقراطية و يمارس أسوأ أنواع التمييز ضد شعب بأكمله. كما أن السرديات الصهيونية الكاذبة لم تعد تجد من يصدّقها ويسلّم بصحّتها سوى القلّة من عنصريي العالم ومتطرفيه. و لم يمر على القضية الفلسطينية، منذ النكبة حتى يومنا هذا، أن كان للفلسطينيين هذا التأييد الشعبي الدولي المتعاظم الذي تحظى به قضيتهم العادلة؛ و لم يمر على الصهاينة وقت مثل الوقت الحالي، حيث بدأ العالم يدرك أكاذيبهم، وينفض عن رواياتهم الكاذبة .

إن ديمومة الكفاح الفلسطيني، وتنامي قوة حركات المقاومة في المنطقة، وقدرتها المستمرة على تقليص الفارق في موازين القوى مع العدو الصهيوني، وانتصار قوى المقاومة في معركة الثبات والصمود، على الرغم من كافة الظروف المعاكسة، يهيّئ الأرضية من أجل انطلاق انتفاضة فلسطينية ثالثة متحررة من أوهام التسوية؛ انتفاضة بدأت شرارتها تنطلق من القدس، بعيداً عن كل خرافات السلام المزعوم والتفاوض من أجل التفاوض، والانتخابات التي قد تحصل أو لا تحصل، وبعيداً عن كل ما يحرف وجهة الكفاح الفلسطيني والعربي والإسلامي عن بوصلته الصحيحة.

على أعتاب يوم القدس العالمي، وفي عامنا هذا، ومن القدس سوف تنطلق الشرارة ناراً تعصف بالأوهام والأكاذيب والروايات الزائفة. فكل ما جرى ويجري يُنبئ أن القدس، وعموم فلسطين ،على موعد مع الانتفاضة القادمة، التي ستنتصر وينتصر معها الحق والسلام وكل الأحرار في هذا العالم.

«يوم القدس» رمز البعد الكوني لتحرير كامل أرض فلسطين

ندیم عبده*

* كاتب فلسطيني،

من البديهي القول إن القضية الفلسطينية لا تعني الفلسطينيين وحدهم، وإنما جميع البشر، بالنظر إلى أن الكيان اليهودي "إسرائيل" هو تجسيد لكلّ عوامل الشر والفساد، وذلك ليس في فلسطين وحدها، بل في أنحاء الأرض، وبالنسبة إلى جميع بني البشر.

ومن البديهي أن تكون القدس الشريف، العاصمة المقدّسة لفلسطين، هي الرمز الساطع لهذا البعد الكوني، وبصورة خاصة في عصرنا الحاضر، حيث يسعى اليهود إلى التفرد بالسيطرة على أولى القبلتين وثالث الحرمين، مع إقصاء كلّ من لا يكون تابعاً لهم منها.

البعد الكوني لـ»يوم القدس العالمي « والقضية الفلسطينية: برز البعد الكوني لـ"يوم القدس" منذ أن أعلنه آية الله روح الله الخميني، المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران، ذلك أن انطلاق «يوم القدس» من إيران بالذات يرمز إلى البعد الإنساني الشامل للقدس الشريف، وللبعد الإنساني الذي شاء الإمام الخميني، طيّب الله ثراه، أن تتصف به الثورة الإسلامية في إيران. و لم يكن إطلاق إيران ليوم القدس مجرد "شعار" وحسب، بل إن السنوات والعقود أثبتت أن الالتزام بقضية القدس وبالقضية الفلسطينية هو من الثوابت الراسخة لنهج الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وذلك في ظل أحلك الظروف وأصعب الأيام التي مرّت على القضية

الفلسطينية، وتحديداً إبان اجتياح اليهود للبنان في العام 1982، حيث أن انغماس إيران في حرب الخليج الأولى مع العراق حينها لم يمنعها من تقديم المساندة القوية للمقاومة في لبنان وفلسطين، الأمر الذي كان له مساهمة حاسمة في عدم تحقيق الصهاينة غاياتهم من اجتياح لبنان – هذه الغايات التي يمكن اختصارها بالقضاء على القضية الفلسطينية قضاءاً مبرماً، وبجعل لبنان دويلة خاضعة كلياً لليهود – في مرحلة أولى؛ وفي مرحلة لاحقة، بمساندة انتفاضة الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الصهيوني، الأمر الذي أجبر اليهود على تقديم التنازلات؛حصل كل ذلك مع مواصلة الجهاد العسكري لتحرير لبنان من الاحتلال «الإسرائيلي»، ما أسفر في النهاية عن خروج جيش اليهود من الأراضي اللبنانية في العام 2000، إذا ما استثنينا بعض الأراضي، مثل مزارع شبعا ومرتفعات كفرشوبا.

هذا البعد الكوني تمثّل أيضاً بمشاركة شعوب عديدة بإحياء "يوم القدس»، الأمر الذي كان له أثره العميق في توعية الشعوب الأخرى حول الخطر الكبير الذي يشكّله اليهود على البشرية جمعاء، وليس على الفلسطينيين والعرب وحدهم؛ ذلك الخطر الذي يهدّد السلم العالمي، بسبب السياسات العدوانية التي يتّبعها الكيان الصهيوني؛ وذلك الضرر الذي يبرز من خلال الفساد الذي ينشره اليهود في العالم، بمختلف أوجه ذلك الفساد، المالي من خلال اختلاسات ومضاربات الشركات والجهات اليهودية، إلى فساد في السلوك، من خلال دعم وتشجيع اليهود لمختلف أنواع الشذوذ والانحلال الخلقي بين الدول والمجتمعات؛ بالإضافة إلى ممارسة اليهود مختلف أنواع الجرائم وأعمال الغش والخداع، وهم مطمئنون إلى وجود ملاذ آمن يحميهم من عواقب جرائمهم، ألا وهو الكيان اليهودي "إسرائيل"...

القدس هي الرمز التاريخي والديني لوحدة الإيمان ونبذ الفساد اليهودي: إن إدراك الإمام الخميني، طيّب الله ثراه، للأبعاد الكونية والإنسانية للقدس، لم ينبع من فراغ، بل هو يعود إلى أول أيام المسيحية والإسلام، وتحديداً إلى "العهدة العمرية" التي أُبرمت حين دخلت الجيوش العربية القدس الشريف، حيث عقد خليفة المسلمين مع بطريرك القدس معاهدة معروفة ب «العهدة العمرية"، والتي نصّت على الاحترام المتبادل للمسلمين والمسيحيين لديانتي النبي محمد – ص – والسيد المسيح – ع – ، وعلى أنه ليس لليهود مكان في القدس، حيث جاء في العهدة بالحرف : »ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود"

(إيلياء هو الاسم الروماني القديم لمنطقة القدس). هذه العهدة يجب اعتبارها صالحة لجميع المسلمين ولجميع المسيحيين؛ ذلك أنه تم إبرامها في وقت كانت ما زالت فيه الديانتان موحّدتان و لم تبرز فيهما بعد المذاهب والروافد المتعددة. والأمر المؤسف أن الذين أتوا بعد من أبرم العهدة قد انتهكوا بنودها، وهو ما أدى إلى زرع الفرقة والفتنة بين المسلمين والمسيحيين، وأيضاً داخل الديانتين، ما أتاح لليهود في نهاية المطاف العودة إلى القدس الشريف – اعتباراً من القرن التاسع عشر في ظل السلطنة التركية العثمانية – والسيطرة على المدينة المقدسة كاملة بعد حرب حزيران يونيو 1967.

الواقع الحالي: أما اليوم، فإن الواقع يبدو مظلماً وواعداً في آن. من الناحية السلبية، فإن عدداً من الدول لم يتورع عن الاعتراف بالقدس عاصمة لـ"إسرائيل"، بما في ذلك كوسوفو، التي يُفترض فيها أنها دولة تحترم الديانة الإسلامية التي تدين بها أغلبية سكانها؛ كما أن عدّة بلدان عربية تقيم علاقات ديبلوماسية واقتصادية وعسكرية مخابراتية مع الكيان اليهودي؛ وهي بذلك تعطي الذريعة لبلدان أخرى لتوثيق صلتها بالعدو الصهيوني، وبالأخص البلدان ذات الأغلبية المسلمة غير العربية... إشارة هنا إلى سعي المافيا اليهودية العالمية الدؤوب لإقامة علاقات وثيقة بين اليهود والمسلمين غير العرب؛ والمؤسف أن هذه المساعي تلقى بعض التجاوب من قبل عدد من الأطراف المسلمة غير العربية تلك... (مع التذكير على الهامش بالصلة الوثيقة، ولو البعيدة إجمالاً عن الأضواء، القائمة بين المخابرات اليهودية وبعض الجماعات التكفيرية مثل داعش والنصرة، وبصورة خاصة في الجمهورية العربية السورية...).

على أن الصورة ليست قاتمة بالكامل، بل أن العكس تماماً هو الصحيح، حيث إن عدداً متزايداً من الجهات الدولية بدأ يتعرف إلى الطبيعة الحقيقية للكيان الصهيوني، وتحديداً لجهة ممارسته سياسة التمييز العنصري بأبشع ألوانها، كما جاء أخيراً في تقرير لمنظمة العفو الدولية. (إشارة إلى أن اليهود عنصريون إزاء جميع البشر غير اليهود، وليس العرب وحدهم، وهم يسمّون البشر غير اليهود بالـ"غوييم"، أي الحيوانات باللغة العبرية...).

كما أن الوعي الشعبي العالمي إزاء حقيقة اليهود القذرة آخذٌ بالتزايد والتعزز، وبصورة خاصة في البلدين الأكثر دعماً لليهود ولـ"إسرائيل"، ونعني بهما: الولايات

المتحدة الأميركية التي تنفق ما يزيد على 11 مليون دولار على الكيان الصهيوني في كل يوم، وألمانيا التي لا تنفك – مُجبرة– تصرف مبالغ طائلة لـ"تعويض" على اليهود من "الهولوكوست" المزعوم والموهوم في الحرب العالمية الثانية، علماً أن لا دليل مادي و/أو خطي و/أو إحصائي على حقيقة وقوع هذا "الحدث" الذي لم يحدث...

ولعلّ الدليل الأكبر على تعزيز الوعي هذا هو التزايد المطّرد الذي تشهده أرقام حوادث "العداء للسامية" – أو بالأحرى العداء لليهود – في معظم البلدان التي لليهود تواجد فيها. يبقى أن تتم ترجمة هذا الوعي بتراجع قيمة الدعم المالي الذي يتلقاه اليهود وكيانهم من تلك البلدان؛ وهناك بعض المؤشرات التي تبشّر بأن الترجمة العملية لتنامي الوعي لا بدّ حاصلة – قريباً إن شاء الله، ما سيقطع الإمداد المالي لليهود، بحيث تنبض مواردهم بصورة كاملة، ويصبحون عاجزين عن الاستمرار في زرع الشر والفساد على هذه الأرض .

أما في القدس الشريف نفسه، فإن السلطات اليهودية باتت عاجزة عن فرض سيطرتها على المدينة المقدسة، بالرغم من جميع المحاولات التي قامت بها للتنكيل والتضييق على الفلسطينيين المقيمين هناك، وخاصة في موسم أعياد القيامة المسيحية وفي شهر رمضان المبارك. وقد حقّق المقدسيون مكسباً ذا شأن أخيراً، بأن أجبروا السلطات الأمنية اليهودية على إزالة الحواجز الحديدية التي وضعتها لمنع تجمعات المسلمين في ليالي رمضان المباركة...

خلاصة القول أن "يوم القدس" يأتي هذه السنة وهو يحمل في طيّاته مؤشرات إيجابية كثيرة، على الرغم من الطعنات في الظهر التي تُوجّه من قبل بعض من يُفترض فيهم أن يكونوا المساندين الأوائل لقضية القدس.

هناك الكثير الذي يمكن، بل الذي يجب فعله لتحرير القدس، وكذلك لتحرير كامل أرض فلسطين، من النهر إلى البحر. وقد استعرضنا بعض العوامل الإيجابية التي لا بد من استثمارها، وبصورة خاصة لجهة تزايد الوعي العالمي إزاء الخطر اليهودي على الإنسانية جمعاء؛ والأمر الأهم يبقى بالعودة إلى الأصول في كيفية التعامل مع القدس الشريف، ونقصد بذلك العودة إلى "العهدة العمرية" بتأكيد التوافق المسيحي – المسلم حول تحرير "زهرة المدائن" من كل وجود يهودي مندسّ، تماماً كما جاء في حرفية نص "العهدة العمرية"، لما في ذلك صالح وخير البشرية جمعاء كما مرّ بيانه، مع الأخذ بعين الاعتبار

عوامل الحياة العصرية، وبصورة خاصة العوامل الاجتماعية والاقتصادية ، وتحديداً لناحية محاربة الجهود اليهودية الخثيثة والدائمة الرامية إلى احتكار ثروات العالم، وإلى الهيمنة على مراكز القرار فيه.

حينها نكون قد حقّقنا الأهداف التي وضعها الإمام روح الله آية الله الخميني، طيّب الله ثراه، عندما أعلن «يوم القدس العالمي».